جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأنبار/كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

أمراء البحر في الدولة العربية الإسلامية إلى نهاية القرن الثالث الهجري

رسالة تقدمت بها الطالبة

بان عفتان طعمة نجم

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة الأنبار
وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ

بإشراف
الأستاذ الدكتور

مظهر عبد علي الجغيفي

١٤٤٤هـ ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ

بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

صدق الله العظيم

سورة الجاثية : هي الآية ١٢

إقرار امشرف

أشهد أَن إعداد الرسالة الموسومة بـ **(أمراء البحر في الدولة العربية الإسلامية إلى نهاية القرن الثالث الهجري)** المقدمة من طالبة الماجستير **(بان عفتان طعمة نجم)**، قد جرى بإشرافي في كلية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة الأنبار، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ.

التوقيع :

أ.د : مظهر عبد علي الجغيفي

كلية التربية الأساسية/ حديثة-جامعة الأنبار

المشرف على الرسالة

/ / ٢٠٢٢

بناءً على التوصيات التوافرة، أرشح هذه الرسالة للمناقشة.

التوقيع :

أ.د. :فهمي احمد فرحان

رئيس قسم التاريخ

/ / ٢٠٢٢

إقرار المقوم اللغوي

أشهد أنّي قد قرأت هذه الرسالة الموسومة **بـ(أمراء البحر في الدولة العربية الإسلامية إلى نهاية القرن الثالث الهجري)** المقدمة من طالبة الماجستير **(بان عفتان طعمة نجم)** إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة الأنبار وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ ووجدتها صالحة من الناحية اللغوية.

التوقيع :

الاسم واللقب العلمي : أ.د. علي مطر جرو

جامعة الأنبار/ كلية التربية للعلوم الانسانية

التاريخ : / / ٢٠٢٢

إقرار المقوم العلمي١

أشهد أني قد قرأت هذه الرسالة الموسومة **بـ (أمراء البحر في الدولة العربية الإسلامية إلى نهاية القرن الثالث الهجري)**، المقدمة من طالبة الماجستير **(بان عفتان طعمة نجم)** إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة الأنبار وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ ووجدتها صالحة من الناحية العلمية.

كما أتعهد بمراعاة الدقة في التقويم، وعدم الاكتفاء ببحث الإطار العام للرسالة ومنهج البحث العلمي والعمل على ضمان السلامة الفكرية، وعدم هدم النسيج الوطني واللحمة الوطنية، والطلب من مقدمة الرسالة حذف الفقرات والعبارات المسيئة لها، وبخلاف ذلك أتحمل التبعات القانونية كافة، ولأجله وقعت.

التوقيع :

الاسم واللقب العلمي: أ.د. خالد عبد الكريم عبد الرزاق

الجامعة العراقية/ كلية الآداب

التاريخ : / / ٢٠٢٢

إقرار المقوم العلمي٢

أشهد أني قد قرأت هذه الرسالة الموسومة **بـ (أمراء البحر في الدولة العربية الإسلامية إلى نهاية القرن الثالث الهجري)**، المقدمة من طالبة الماجستير **(بان عفتان طعمة نجم)** إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة الأنبار وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ ووجدتها صالحة من الناحية العلمية.

كما أتعهد بمراعاة الدقة في التقويم، وعدم الاكتفاء ببحث الإطار العام للرسالة ومنهج البحث العلمي والعمل على ضمان السلامة الفكرية، وعدم هدم النسيج الوطني واللحمة الوطنية، والطلب من مقدمة الرسالة حذف الفقرات والعبارات المسيئة لها، وبخلاف ذلك أتحمل التبعات القانونية كافة، ولأجله وقعت.

التوقيع :

الاسم واللقب العلمي: أ.م.د. سهام جميل جاسم

جامعة الانبار/ كلية التربية للبنات

التاريخ : / / ٢٠٢٢

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن أعضاء لجنة المناقشة بأننا اطلعنا على الرسالة الموسومة بـ **(أمراء البحر في الدولة العربية الإسلامية إلى نهاية القرن الثالث الهجري)**، المقدمـــة من طـــالبة الماجستير **(بان عفتان طعمة نجم)** في قسم التاريخ- كلية التربية للعلوم الإنسانية- جامعة الأنبـار **يوم** ..../../**٢٠٢٢**، وقد ناقشنا الطالبة في محتوياتها وفيما له علاقة بها ونعتقد أنها جديرة بالقبول لنيل شهادة الماجستير في التاريـــــخ ، بتقديـــر ( ).

التوقيع: **التوقيع:**

عضواً **عضواً**

التوقيع: **التوقيع:**

أ.د. مظهر عبد علي الجغيفي

عضواً ومشرفاً **رئيس اللجنة**

صدقها مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة الأنبار.

الأستاذ الدكتور

طه إبراهيم شبيب

عميد الكلية

/ / ٢٠٢٢

الإهداء

إلى المعلم الأعظم والرسول الأكرم إلى من أنار للبشرية طرق العلم والنور والهداية ...

محمد (صلى الله عليه وسلم)

إلى من قوّم أخلاقي بعد أن خلقني ربي...

إلى من أرشدني إلى العلم فأنار لي دربي...

إلى من ترعرعت الروح بأفضاله ولا نطمح إلا لرضاه...

أبي العزيز (حفظه الله تعالى)

إلى التي زرعت بالحياة بذرةً...

وسقتني من دمها قطرةً بعد قطرةً...

إلى التي لا تورق أغصانها إلا بماء حنانها وبركات دعائها...

أمي الغالية(حفظها الله تعالى)

إلى سندي وعدتي وعوني يوم شدتي ، إلى قرة عيني...

إلى الذين يحملون في عيونهم ذكريات طفولتي وشبابي...

أخوتي وأخواتي

إلى الشموع التي تحترق لتضيء الآخرين

زملائي وزميلاتي

إلى كل قلب خفق لي حباً ووفاءً

إلى أساتذتي الأفاضل، وكل من أسهم في تعليمي أهدي ثمرة جهدي وأرجو قبولها...

الباحثة

الشكر والثناء

ليس بعد تمام العمل من شيء أجمل ،ولا أحلى من الحمد لله والشكر له كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه ،وكما ينبغي لجزيل فضله وعظيم إحسانه على ما أنعم به عليَّ من إتمام هه الرسالة.

ومن ثم فإنني مصدقاً للقول "**تواضعوا لمن تتعلمون منه**" أتقدم بكل الشكر والعرفان والفضل والتناء إلى أستاذي الدكتور" **مظهر عبد علي الجغيفي**" عميد كلية التربية الأساسية حديثة، والمشرف على الرسالة، الذي قدم لي إنموذجاً في الإثراء العلمي ،والمتابعة الدقيقة لكل خطواتي في إعداد الرسالة ،فضلاً عن تجاوزه بوقته وجهده واجبات الإشراف ليثري الرسالة بعلمه وملاحظاته، وعلى إشرافه الدائم والمساعدة في إتمام الدراسة ،ولا يسعني إلا أن أدعو الله أن يجزيه عني كل خير، وأن يمده بالصحة والعافية ليتواصل عطاؤه الإنساني والعلمي بلا حدود.

وأشكر الأساتذة الأفاضل في قسم التاريخ في كلية التربية لعلوم الإنسانية، وأخص منهم الأستاذ الدكتور "**عثمان عبد العزيز صالح المحمدي**" رئيس قسم التاريخ الذي كان لنا عونا طوال سنوات الدراسة و إلى الاسائدة الذين تتلمذن على أيديهم في السنة التحضرية.

ويسرني أيضاً أن أتقدم بوافر الشكر والعرفان إلى الأستاذ القدير "**عبد الصمد جاسم محمد الكبيسي**" الذي لم يتوانُ عن تقديم الآراء العلمية لي، وعلى طول مدة كتابة هذه الرسالة.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر أيضاً لكل من الدكتورة "**وجدان عبد الجبار النعيمي**" ،والدكتور "**زين خلف نواف حسين الدليمي**" على تقديمهما لنا يد العون والمساعدة.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى أساتذتي أعضاء لجنة المناقشة، وأتقدم بجزيل الشكر إلى وكلّ من المقوم اللغوي والمقومين العلميين.

كما أشكر كلّ من مدّ لي يد العون من قريب أو بعيد ولو بدعاء في ظهر الغيب، بورك فيهم جميعاً، وجزاهم الله عني الجزاء الأوفى، وأسأل الله أن ينفع بهذا العمل على قدر العناء به وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم إنه على ذلك قدير.

تبث المحتويات

الموضوع	الصفحة
الآية القرآنية الكريمة	أ
إقرار المشرف	ب
إقرار المقوم اللغوي	ج
إقرار المقوم العلمي١	د
إقرار المقوم العلمي٢	هـ
إقرار لجنة المناقشة	و
الإهداء	ز
الشكر والثناء	ح
تبث المحتويات	ط-ع
المقدمة:نطاق البحث وعرض المصادر والمراجع	١-١٠
التمهيد: نشأة البحرية الإسلامية	١١-٣٧
أولاً- أمير البحر لغة واصطلاحاً:	١١-٢٧
ثانياً: الجغرافية البحرية للعالم الإسلامي منذ عهد الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) إلى نهاية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي :	٢٨-٣٤
ثالثاً- نبذة تاريخية عن نشأة البحرية الإسلامية :	٣٤-٣٧
الفصل الأول: أمراء البحر في العصر الراشدي	٣٨-٦٣
المبحث الأول : أمراء البحر في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) (١٣-٢٣هـ/ ٦٣٤-٦٤٤م) .	٣٨-٤٨
١- عرفجة بن هرثمة البارقي الأزدي:	٤١-٤٣
٢- الحكم بن أبي العاص الثقفي:	٤٣-٤٤
٣- علقمة بن مجزر:	٤٤-٤٦
٤- دور معاوية بن أبي سفيان في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه):	٤٦-٤٨
المبحث الثاني: أمراء البحر في عهد الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) (٢٣-٣٥هـ/٦٤٣-٦٥٥م).	٤٩-٦٣
١- معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه).	٤٩-٥٢
٢- سفيان بن مجيب الأزدي	٥٢-٥٣

٣- عبدالله بن قيس الجاسي	٥٤-٥٧
٤- أبو الأعور عامر بن سفيان السلمي	٥٧-٥٩
٥- عبدالله بن سعد بن أبي السرح	٥٩-٦٣
الفصل الثاني: أمراء البحر في العصر الأموي وجهودهم في الفتوحات الإسلامية	٦٤-٩٥
المبحث الأول : أمراء البحر في نشأة الدولة الاموية(٤١-٧٣هـ/٦٦١-٦٩٢م)	٦٤-٧٤
١. عقبة بن عامر الجهمي	٦٩-٧٠
٢. جناد بن أبي أمية الازدي	٧٠-٧٢
٣. عبد الرحمن بن خالد	٧٢-٧٣
٤. بسر بن أبي أرطأة	٧٣
٥. فضالة بن عبيد الأنصاري	٧٣
٦. يزيد بن شجرة الرهاوي	٧٣-٧٤
٧. مالك بن هبيرة الكوفي	٧٤
٨. عمرو بن يزيد الجهني	٧٤
المبحث الثاني: أمراء البحر من عهد القوة إلى نهاية للدولة الأموية:(٧٣-١٣٢هـ/٦٩٢-٧٤٩م)	٧٥-٩٥
١. سفيان بن عوف الغامدي وحصار القسطنطينية الأول ٤٩-٥٠هـ/ ٦٦٨-٦٦٩م:	٧٨-٧٩
٢. عبد الرحمن بن خالد وحصاره الثاني للقسطنطينية ٥٤-٦٠هـ/ ٦٧٤-٦٨٠م (حرب السنوات السبع)	٧٩-٨٤
٣. سليمان بن معاذ الانطاكي وعمر بن هبيرة الفزاري ومسلمة بن عبد الملك وحصار القسطنطينية الثالث ٩٩-١٠٠هـ/ ٧١٧-٧١٨م	٨٤-٩٤
اسباب فشل العرب في فتح القسطنطينية	٩٠-٩٤
٤.الأسود بن بلال المحاربي	٩٤-٩٥
الفصل الثالث: أمراء البحر في العصر العباسي	٩٦-١٢٢
المبحث الأول : أمراء البحر في نشأة الدولة العباسية	٩٦-١٠٥
١- خازم بن خزيمة	٩٨
٢- عبد الله بن علي	٩٨-٩٩
٣- عبد الوهاب بن ابراهيم	٩٩
٤- عبد الملك بن شهاب المسمعي	٩٩-١٠٢
٥- ثمامة بن وقاص باناكيس	١٠٢-١٠٥

المبحث الثاني: أمراء البحر في عصري المهدي وهارون الرشيد:	١٠٦-١١٣
١- الغمر بن العباس الخثعمي	١٠٧
٢- الحسن بن قحطبة	١٠٧-١٠٨
٣- خالد بن برمك	١٠٨
٤- يحيى بن خالد	١٠٩-١١١
٥- عبد الملك بن صالح العباسي	١١١-١١٢
٦- حميد بن معيوف الهمداني	١١٢-١١٣
المبحث الثالث: أمراء البحر إلى نهاية القرن الثالث الهجري/ التاسع ميلادي	١١٤-١٢٢
١- أبو حفص عمر بن شعيب الربضي	١١٦-١١٨
٢- احمد بن دينار بن عبد الله	١١٨-١١٩
٣- ليو الطرابلسي	١١٩-١٢٢
الفصل الرابع: أمراء البحر في المغرب العربي الإسلامي والأندلس	١٢٣-
المبحث الأول : أمراء البحر في المغرب العربي الإسلامي.	١٢٣-١٤٩
١- عقبة بن نافع (٥٠-٥٥هـ/ ٦٧٠-٦٧٤م):	١٢٥-١٢٧
٢- حسان بن النعمان	١٢٧-١٣١
٣- موسى بن نصير	١٣١-١٣٢
٤- عبد الله بن موسى بن نصير	١٣٢-١٣٣
اولاً/أمراء البحر ومحاولة فتح جزيرة سردينيا:	١٣٣-١٣٥
١- عطاء بن نافع الهذلي	١٣٣-١٣٤
٢- عبد الله بن حذيفة الازدي وعبد الله بن موسى بن نصير	١٣٤
٣- عبد الله بن مرة	١٣٤
٤- حسان بن محمد بن أبي بكر	١٣٥
٥- يزيد بن مسروق وحبيب بن أبي عبيدة	١٣٥
ثانياً/١- عبد الملك بن قطن الفهري ومحاولات فتح جزيرة قوصرة	١٣٥-١٣٦
٢- حبيب ابن أبي عبيدة الفهري	١٣٦-١٣٧
٣- عياش بن اخيل	١٣٧-١٣٨
٤- خالد بن كيسان	١٣٨
٥- بشر بن الوليد بن عبد الملك	١٣٨
ثالثاً/ رويفع بن ثابت الأنصاري وفتح جزيرة جربة	١٣٨-١٣٩

رابعاً/أمراء البحر وفتح جزيرة صقلية	١٣٩-١٤٩
١- عبد الله بن قيس	١٤١-١٤٢
٢- عطاء بن رافع	١٤٢
٣- محمد بن أوس الأنصاري	١٤٢-١٤٣
٤- بشر بن صفوان	١٤٣
٥- المستنير بن الحارث سنة ١١١هـ/ ٧٢٩م، وثابت بن خثيم سنة ١١٢هـ/ ٧٣٠م، وبكر بن سويد سنة ١١٥هـ/ ٧٣٣م.	١٤٣-١٤٤
٦- عثمان بن أبي عبيدة واخاه حبيب وابنه عبد الرحمن بن حبيب	١٤٤
٧- اسد بن الفرات وفتح صقلية في عهد الأغالبة سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧م	١٤٥-١٤٩
المبحث الثاني: أمراء البحر في الأندلس	١٥٠-١٥٣
١-عبد الله بن نافع	١٥٠
٢-طريف بن مالك	١٥١
٣- طارق بن زياد	١٥١-١٥٢
٤- عبد الله بن موسى بن نصير	١٥٢
٥-عقبه بن الحجاج	١٥٣
الخاتمة	١٥٤-١٥٦
تبث المصادر والمراجع	١٥٧-١٧٥
الملخصالرسالةباللغةالإنكليزية **Abstract**	A-C

المقدمة

المقدمة

الحمد الله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الله النبي الأمين، وعلى أله وصحبه أجمعين :أما بعد

يضم هذا البحث بين دفتيه أول دراسة جامعية علمية عن أمراء البحر في الدولة العربية الإسلامية إلى نهاية القرن الثالث الهجري ،وقد أثرت دراسة أمراء البحر خلال هذه المدة والتي يمكن عدها بانها المدة الذهبية للقوة البحرية العربية على الرغم من هناك دراسات متعددة تناولت هذا الموضوع، إلا أنها اقتصرت على سرد الأحداث الحربية له من غير التطرق إلى الجوانب الأخرى للبحرية العربية الإسلامية ،ولكن جرت منذ منتصف القرن الحالي أولى الدراسات العلمية عن التنظيم البحري العربي الإسلامي ،وقد سبق للدكتور علي محمود فهمي أن عرض لهذا الموضوع في كتابه الذي ترجم مؤخرا إلى اللغة العربية بعنوان (التنظيم البحري الإسلامي في شرق البحر المتوسط منذ القرن السابع الميلادي إلى القرن العاشر)، ثم ظهرت دراسة أخرى له لم تترجم إلى إلان (بعنوان القوة البحرية الإسلامية في شرق البحر المتوسط منذ القرن السابع الميلادي إلى القرن العاشر)، ولكن هذه الدراسة بقسميها اقتصرت على شرق البحر المتوسط ، كما أنها عالجت مدة طويلة تقدر بثلاثة قرون ولم يحط الأسطول البحري في القرون ثلاثة بدراسة معينة فيها.

وقام الدكتور أحمد إبراهيم العدوي من بعده بدراسة الأساطيل البحرية العربية في البحر المتوسط منذ بداية ظهور البحرية العربية في خلافة عثمان (ﷺ) حتى ظهور الدويلات العربية الإسلامية على شاطئ البحر المتوسط كالأغالبة وهو بحث عام عن الأساطيل العربية في هذه المتعلقة تكلم فيه على نحو مقتصب على الأسطول الأموي ، وهو لأيقدم فيه دراسة شاملة كاملة عن هذا الأسطول ودوره بي تثبيت أركان الدولة.

أما سعاد ماهر فقد قدمت دراسة موسعة عن(تاريخ البحرية في مصر الإسلامية وأثارها الباقية) ،تناولت فيها تطور البحرية عبر عصور التاريخ ،إلا أنها مرت على تكوين الأسطول العربي بسرعة، ولم تقدم تفاصيل وافية عنه.

كما ظهرت بعض الدراسات المتخصصة عن هذا الموضوع مثل رسالة سالم عبد علي (عنوان القوة البحرية الإسلامية في العصر الأموي)

وهناك مؤلفات متعددة عن الموضوع ولكنها أتسعت بالتركيز على سرد أهم المعارك البحرية دون التعرض للأمور التنظيمية في القوة البحرية، دون التعرض للأمور التنظيمية في القوة البحرية، مثل كتاب (تاريخ البحرية الإسلامية) بجزئية لمؤلفيه السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، و دراسة حسين مؤنس الموسوعة (المسلمون في البحر المتوسط حتى الحروب الصليبية) ،استعرض فيها سياسة المسلمين البحرية في البحر المتوسط في العصر الأموي بصورة موجزة.

لذا قمت بدراسة هذا الموضوع لرسم صورة متكاملة عن أمراء البحر في الدولة العربية الإسلامية إلى نهاية القرن الثالث الهجري ،تختلف في مضمونها ومعلوماتها عن كل الدراسات السابقة من خلال الاستفادة من الوثائق والشهادات التي حوتها المصادر التاريخية والجغرافية ،ووضع هذه الوثائق ضمن مباحث جديدة، لم

تعهد في من كتب عن موضوع البحرية الإسلامية ، وفضلا عن هذه المصادر التاريخية فان هناك الكثير من المصادر والمراجع التي أعانتني في أعداد هذه الدراسة بعد عون الله تعالى.

يتمتع البحر المتوسط منذ أقدم العصور إلي الوقت الحاضر ،بموقع جغرافي فريد ،جعله مطمع كل قوة تبغي لنفسها الازدهار والسلطان والقوة ، ولكن لم تستطع أية قوة أن تنال الخلود الذي فاز به العرب المسلمين باستقرارهم على شواطئ هذا البحر ،فبينما اندثرت حضارات ، وانهارت دعائم أمم ازدهرت على جوانب هذا البحر ،مازالت أقدام العرب المسلمين راسخة إلى اليوم في رقعة شاسعة ،تضم شواطئ مصر والشام وشمال أفريقيا ،أي ما يقرب من نصف شواطئ البحر المتوسط.

ويرجع هذا الخلود إلي أن العرب المسلمين ،أتخذوا أهبتهم لركوب البحر المتوسط ،وفق خطط مدروسة ،بعيدة عن الارتجال ،وذلك منذ أطلوا على مياهه في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي ، حاملين راية الإسلام العادلة.

ولم يلبث الأسطول العربي الإسلامي الفتي أن هزم بحرية الروم البيزنطيين ،وأنتزع منهم سيادة البحر المتوسط الذي زالت عنه صفة بحر الروم ،وصار بحيرة عربية ،ولم تلبث الأساطيل العربية أن

تعددت باهتمام العرب بها ، وقد نالت تلك الأساطيل الفوز الباهر بفضل شبكة واسعة من القواعد البحرية ودور الصناعات ،التي سهرت على خدمتها ،وكذلك نتيجة إعداد طبقة ممتازة من الرجال البحريين الذين قادوا تلك الأساطيل في براعة ومهرة إلي النصر المبين .

لقد قسمت بحثي هذا إلى تمهيد وأربعة فصوله ،احتوى التمهيد على هؤلاء القادة البحريون ، هم من يطلق عليهم أمراء البحر الذي هو قائد ورئيس الأسطول ،ويقل له أمير البحر ،ووالي البحر ،وأمير الماء ،وقد أنتقل الأخير إلي اللغات الأجنبية من العربية ،وعرف عندهم باسم "الأدميرال "، ويعرف برئيس الملاحين أو النواتيه ،أو الربان ،أو الأشتيام أي رئيس المركب ،ويعرف أيضا بالنواخذة أي ملاك سفن البحر ،أو وكلاؤهم ،وهي كلمة فارسية معربة.

وكانت الشروط التي يجب أن تتوافر في أمير البحر كثيرة ،ومتعددة ، تتطلب معرفته بعدة ثقافات ، وكان عليه أن يعرف مسالك البحر ،ومجاريه بواسطة الرهنامج وهو كتاب إرشادات الملاحة ،والذي يضم جداول فلكية ،وخطوط الطول والعرض ،ومعلومات عن الرياح والسواحل والشعاب ، والمد والجزر وخلافه من علوم البحار.

إما مهام أمير البحر فكثيرة ومنها، النظر في تدبير الجيوش وترتيبهم في النواحي ،وتقدير أرزاقهم ، ،وتجهيز الغزاة في سبيل الله، والعناية بهم ،وتسهيل خروجهم إلى الجهاد ،وحماية الدين والذب عن الحريم ومراعاة الدين من تغيير،

أو تبديل، وجهاد من يليه من الأعداء وتقسيم الغنائم بين المقاتلة ، ومنع أصحابه من التعرض للأطفال والنساء والشيوخ ،وكذلك عدم التعرض للكنائس والصوامع ومن فيها، وتفقد المراكب المنشأة حتى يحكمها ويجدد ألاتها ،ويتخير الصناع لها ،ويشرف على ما كان منها في الموانئ ،ويرفعها من البحر إلى الشاطئ في المشاتي ، وهياج الرياح المانعة من الركوب فيه، وقيادة الطلائع للتجسس على أخبار الأعداء ،والأشراف على الأسلحة ،والعناية بها حتى تكون جاهزة وقت الحاجة إليها ،وتجديد المراكب ،وإكثارها ،وتقويتها ،حتى إذا تلف شيء منها وجد ما يخلفه،

وقد حث الإسلام على ركوب البحر والجهاد في سبيل الله ،وتحفل السيرة النبوية بالكثير من الأحاديث النبوية التي وردت عن الرسول صلي الله عليه وسلم ،تبين فضل الغزو في البحر وتدعو إليه ،حيث يروي عن الرسول صلي الله عليه وسلم أنه قال " من غزا في البحر غزوة في سبيل الله

،فقد أدي إلى طاعة الله كلها ،وطلب الجنة كل مطلب ،وهرب من النار كل مهرب "(أخرجه الطبراني في المعجم الصغير).وعن عبدالله بن عمر (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ) "لا تركب البحر إلا حاجاً أو معتمراً أو غازياً في سبيل الله ،فإن تحت البحر ناراً وتحت النار بحراً(أخرجة أبو داود في السنن)،ودارسة عن صناعة السفن والأسلحة البحرية ، وأنواع السفن الحربية بنوعيها الخفيفة من خناجر وسيوف ورماح، والثقيلة كالمنجنيق والعرادة والكباس والنار البحرية.

وضم الفصل الأول دراسة عن وبدأ العرب المسلمون حملاتهم البحرية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) ،وكانت موجهة ضد الفرس ، وكانت أول حملة بحرية بقيادة أمير البحر هرثمة بن عرفجة البارقي الأزدي، في ولاية العلاء بن الحضرمي لبلاد البحرين ،وخرجت تلك الحملة من البحرين باتجاه احدي الجزر القريبة من البحرين ،وذلك لتأمين الفتوحات العربية الإسلامية في العراق وفارس ولقطع الإمدادات عن الفرس، والعمل على نشر نفوذ المسلمين في البحار ،وكانت تلك الحملة في الخليج العربي.

أما في البحر المتوسط ،فكانت أول الحملات البحرية العربية الإسلامية عام ٢٨هـ/٦٤٨م ، عندما غزا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ،والي الشام في عهد الخليفة عثمان بن عفان (ﷺ) ،جزيرة قبرص من عكا في حوالي ٢٢٠ مركبا أعدت خصيصا لهذا الغرض.

أما الفصل الثاني فقد تحدثت فيه عن دور أمراء البحر في العصر الأموي ودعهم للفتوحات الإسلامية ،فالعصر الأموي هو عصر الفتوحات بلا منازع ،سواء أكانت برية أو بحرية، فهناك أمراء للبحر عند قيام الدولة في عهد معاوية (ﷺ) رجل البحر ومؤسس البحرية العربية الإسلامية .

– أشارت الدراسة إلى أهم أعمال أمراء البحر في بداية العصر الأموي ،مثل عقبة بن عامر الجهني ،وجنادة بن أبي أمية الأزدي وفتوحات رودس وأقريطيش،

أوضحت الدراسة دور أمراء البحر في محاولا ت فتح القسطنطينية العاصمة البيزنطية ،والتي تكرر حصارها وكثرت الحملات البحرية عليها ،فقد كان فتحها هدفا ترنو إليه أفئدة المسلمين .

أشارت الدراسة لحصار القسطنطينية الأول سنة ٤٩-٥٠هـ/٦٦٨-٦٦٩م على يد أمير البحر سفيان بن عوف الغامدي، في خلافة معاوية بن أبي سفيان (ﷺ)، ثم الحصار الثاني لها سنة

٦٠هـ/٦٧٤م، بقيادة أمير البحر عبدالرحمن بن خالد ،ثم الحصار الثالث والذي طال بقيادة أمراء البحر سليمان بن معاذ الأنطاكي، وعمر بن هبيرة الفزاري، ومسلمة بن عبد الملك ،سنة ٩٩-١٠٠هـ/٧١٧-٧١٨م.

أوضحت الدراسة أسباب فشل العرب في فتح القسطنطينية في العصر الأموي ومنها تحصينات المدينة الطبيعية ،وأسوارها العالية، الداخلية والخارجية، والنار الإغريقية التي أستخدمها الروم ضد السفن العربية ،إلى جانب البرد الشديد

أما الفصل الثالث فشمل دراسة أمراء البحر في نشأة الدولة العباسية وهم أمير البحر خازم بن خزيمة في عهد الخليفة السفاح، وأمير البحر عبدالملك بن شهاب المسعي وغيرهما.

أكدت الدراسة عمق المعاك البحرية بين العباسيين والبيزنطيين والتفوق الذي أحرزته القوي البحرية البيزنطية في البداية، ثم الانتصارات المتتالية للأساطيل العربية، ولكن كان يغلب على العصر العباسي الأول الانتصارات البرية أكثر من البحرية_أبرزت الدراسة .دور أمراء البحر في العصر العباسي الأول ومنهم ملك الصوائف والشواتي مالك بن عبدالله الخثعمي، وأمراء البحر في عهد الخليفة المهدي والرشيد ودورهم البطولي، ثم أمراء البحر إلي نهاية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي ،ومنهم أمير البحر أبو حفص عمر بن شعيب الربضي وفتح جزيرة كريت في عهد الخليفة المأمون ، وأمير البحر أحمد بن دينار بن عبدالله ،عصر الخليفة المعتصم بالله ، وأشهرهم أمير البحر ليو الطرابلسي "غلام زرافة" قائد الحرب البحرية في سالونيك.

واحتوى الفصل الرابع أشارت الدراسة إلي أمراء البحر في بلاد المغرب والأندلس ،والتي كانت فيها الحروب البحرية أكثر في البحر المتوسط والمحيط الأطلنطي_، أوضحت الدراسة أن بلاد المغرب وسكانها قد ساهموا بنشاط كبير في النشاط البحري التجاري ،قبل الإسلام وبعده ،مما أكسبهم خبرة كبيرة بالبحر وركوبه.

أشارت الدراسة ألي فتوحات أمراء البحر في بلاد المغرب مثل حسان بن النعمان، مؤسس دار صناعة السفن في تونس، فهو أول من صنع قوة بحرية عربية غرب البحر المتوسط ، وكذلك موسي بن نصير الذي غزا قبرص وقد أولي البحر وركوبه أهمية خاصة وشجع الناس ولاسيما الأشراف منهم على ركوب البحر والاشتراك في الحملات البحرية.

أبرزت الدراسة دور أمراء البحر في فتح جزيرة سردينيا مثل أمير البحر عطاء بن نافع الهذلي ،وعبدالله بن مرة وعبد الملك بن قطن الفهري ومحاولات فتح جزيرة قوصرة، والتي كانت التمهيد لفتح جزيرة صقلية.

– أشارت الدراسة إلي دور الأغالبة في فتح جزيرة صقلية ومدنها الواحدة تلو الأخرى، بقيادة الفقيه المالكي أسد بن الفرات ،وأمراء البحر الذين شاركوه هذا الشرف العظيم مثل أمير البحر عبدالله بن قيس بن مخلد، وعطاء بن رافع الهذلي ،وبشر بن صفوان ،والمستنير بن الحارث ،وغيرهم .

–أبرزت الدراسة وبشكل مختصر فتوحات الأندلس وذلك لكثرة من كتب فيها ،ودور أمراء البحر في فتحها وعلى رأسهم طارق بن زياد .

مشكلة الدراسة:

حتمت مهمة نشر الدعوة الإسلامية عبر البحار على المسلمين ركوب البحر ،وكان ذلك دافعا رئيسا لنشأة وتطور البحرية العربية الإسلامية، والتي لابد أن يكون لها ربان أو أمراء وبحارة يقودونها، وعليه حاولت الإجابة عن عدة تساؤلا ومنها :

١– لماذا أهتم المسلمون بالبحر وبناء السفن؟

٢– كيف نشأت البحرية العربية الإسلامية ؟

٣– من هم أمراء البحر الذين قادوا السفن العربية الإسلامية في البحار؟

٤– ماهي مهام هؤلاء الأمراء؟

ماهي المدن والجزر والبلاد التي فتحوها شرقا وغربا؟

٥– لماذا كانت الفتوحات البحرية العربية الإسلامية في بلاد المغرب والأندلس أكثر ؟

٦– كيف حول العرب البحر المتوسط إلي السيادة العربية الإسلامية ،فجعلوه بحيرة عربية؟

أهمية الرسالة

توضيح الدراسة الدور الكبير الذي أداه أمراء البحر في الدولة العربية الإسلامية في القرون الهجرية الثلاثة الاولى من خلال قيادتهم للحملات البحرية في البحر المتوسط وأثرهم في نشر رسالة الإسلام والحضارة الإسلامية ، فقد لعب أمراء البحر دوراً كبيراً وبارزاً في عمليات الفتح الإسلامي في البحر منذ نشأته على يد معاوية بن أبي سفيان وتطوره لاحقاً على يد من أتى من بعده من الأمراء المسلمين ، وتأتي أهمية الدراسة بعدم وجود دراسة علمية تناولت أمراء البحر الإسلامي وبحثت أثرهم في الفتوحات العربية الإسلامية .

حيث لم تكن هذه الدراسة بالأمر اليسير، وذلك لأن مصادر التاريخ الإسلامي لم تقدم إلا إشارات موجزة عن البحرية الإسلامية ،حيث كانوا لا يفردون لها مجال واسع للحديث ،بل أتصفت كتاباتهم عن البحرية بالإيجاز ،ومن هنا تتضح أهمية موضوع أمراء البحر في الدولة العربية الإسلامية .

أسباب اختيار الموضوع:

تعود أسباب اختياري للموضوع إلى أن ما كتب عن البحرية العربية الإسلامية ،ولاسيما أمراء البحر ليس بالقدر الكافي ،إلى جانب رغبتي الشخصية في دراسة موضوع يتعلق بعظمة الأمة العربية الإسلامية التي أنتمي إليها ،وهو أمراء البحر ،أولئك الذين حملوا أرواحهم على أكفهم لنشر الإسلام ،والجهاد في سبيل الله عز وجل.

حدود الدراسة:

الزمانية:

المدة الزمنية لهذه الدراسة تبدأ من القرن الأول الهجري ،إلي القرن الثالث الهجري ،أي الثلاثة قرون الأولي للهجرة.

المكانية :

البحر المتوسط وشواطئه في بلاد الشام ومصر وبلاد المغرب و الأندلس .

المنهج المتبع في الدراسة:

أتبعت المنهج التاريخي الوصفي السردي التحليلي ،حيث سرد ووصف وتحليل الأحداث من خلال ما توفر من مصادر ومراجع ،ولهذا اقتضت منهجية البحث تقسيمه إلي مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع.

تحليل المصادر:

لقد كان لبعض المصادر التاريخية الدور الكبير في بناء هذا البحث ويأتي في مقدمة تلك المصادر كتاب فتوح البلدان لمؤلفه أحمد بن ٨٩٢م) ويعد هذا يحي بن جابر البلاذري (٢٧٩هـ) الكتاب من اهم الكتب التي اعتمدت عليها في دراستي ، إذ تناول العمليات البحرية التي خاضتها القوات العربية الإسلامية في البحر المتوسط والخليج العربي والبحر العربي ،وقد تناول عدد من العمليات البحرية اكثر من غيره وادر إلى العمليات البحرية التي استهدفت جزيرة قبرص وجزر البحر المتوسط الأخرى، وأشار كذلك إلى دور الأسطول بصورة مفصلة في فتح الهند ،كما قدمه نبذة وافية عن دور صناعة السفن ، وأشار كذلك إلى الثغور البحرية ، وقد اكتسب كتاب فتوح البلدان أهمية تذكر، لان مؤلفه قد زار الأماكن التي جرت فيها الأحداث ، وقد نقل اخبار هذه الأحداث من سكان المناطق التي جرت فيها.

وأشهر الذين روى عنهم البلاذري واستقى معلوماته منهم هم القاسم بن سلام والواقدي وعلي بن محمد المدائني والهيثم بن عدي ،ومن الذين رووا عن البلاذري قدامة بن جعفر صاحب كتاب الخراج وصناعة الكتابة ،وقد أوجز البلاذري الحديث في الكثير من الاحداث التي رواها.

كما اعتمدت على خليفة بن خياط (٢٤٠هـ / ٨٥٤م) في كتابه تاريخ خليفة بن خياط الذي يعد من اقدم الكتب في تاريخ الإسلام العام وهو مرتب على الحوليات ،وقد وثق علماء الرجال خليفة بن خياط ،فروى عنه كبار المحدثين أمثال البخاري ومسلم، وهذا مما يزيد الثقة في رواياته التاريخية، واعتمد خليفة بن خياط في رواياته على المدائني(٢٢٥هـ / ٨٣٩م) وأبي عبيدة معمر بن مثنى (٢٠٩هـ /٨٢٥م) واعتمد أيضا على هشام بن الكلبي في ما يتعلق بالعلاقات الإسلامية البيزنطية خلال عصر الراشدين والأمويين، واعتمد على عبد الله بن لهيعة (١٧٤هـ / ٢٩١م) في ما يتعلق

بأخبار مصر وشمال أفريقيا ونقل عن شيخه أبي خالد (١٦٠هـ / ٨٠٥م) أخبار غزوات المسلمين البحرية لصقلية وسردينية.

وقد أفدت من تاريخ خليفة عند الحديث عن العمليات البحرية التي جرت في الخليج العربي والبحر العربي في أتناء خلافة عمر وعثمان (ﷺ) وكذلك عند الإشارة إلى العمليات البحرية العربية الإسلامية ضد صقلية وسردينية.

أما اليعقوبي وهو أحمد بن أبو يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضع (٢٨٤هـ / ٨٩٧م) فقد ألف كتبا عدة يأتي في مقدمتها كتاب تاريخ اليعقوبي بجزئين مستعرضا الاحدات التاريخية منذ عصر الخليفة إلى النصف الثاني من القرن الثالث الهجري أي عصر المؤلف ،وهو لا يذكر المصادر التي استقى منها الإخبار المتعلقة بعصر ادم (ﷺ)، وما تلا ذلك والتي هي في الغالب مأخودة من الإسرائيليات وبدرجة أقل من الكتب المنزلة ، ويعتمد على كتب من سبقه في سرد الاحدات المتعلقة بتواريخ الشعوب الأخرى ، أما أحدات التاريخ الإسلامي فيعتمد على ابن أسحاق في استعراض حوادت السيرة و الاحدات التي تليها ،ولا يذكر أسماء الأشخاص الذين نقل عنهم فيكتفي بالقول ذكر الرواة واهل العلم.

وقد أشار اليعقوبي إلى الحملة البحرية التي قادها علقمة بن مجزز المدلجي في خلافة عمر (ﷺ) وأسفرت عن غرق هذا القائد ، كما أشار إلى قيادة عمر بن هبيرة لقطع البحرية الساندة للجيش البرى المحاصر للقسطنطينية.

أما كتابه الأخر البلدان ،فقد أفادني عند الحديث عن الثغور البحرية وما يتعلق بها، إذ وصف بعض الثغور ، وأبرز القبائل التي سكنتها ، وبعامة فان اليعقوبي قدم معلومات جيدة أفدت منها في ملء الفراغات التاريخية في البحث.

أما الطبري فان تاريخ الأم والملوك (٣١٠هـ / ٩٢٢م) ،يعد من أهم كتب التاريخ التي تناولت أحدات التاريخ الإسلامي بصورة مفصلة.

وقد اعتمد الطبري في روايته للأحداث التاريخية على مجموعة من الرواة يأتي في مقدمتهم عوانة بن الحكم الذي اخذ منه الكثير في ما يتعلق بتاريخ الأمويين ويذكر السند حتى يتصل

بصاحبة ،ولا يبدى رأيا في معظم الروايات التي يسوقها لبناء الحدث التاريخي، وقد تشابهت رواياته عن فتح قبرص مع ما ذكره البلاذري ،لذلك فربما نقل الطبري من البلاذري الذي سبقة أو أخذا من مصدر واحد.

وقد أفادني تاريخ الطبري في أيراد أمراء البحر الذين تعاقبوا على هذا المنصب، وتفاصيل معركة ذات الصواري وعملية الاستطلاع التي قام بها أمير البحر.

تحليل المراجع

كما ساهمت المصادر في بناء هذا البحث فقد كان للمراجع الحديثة أهمية كبيرة في إفناء هذا البحث بالتحليلات النافعة والأراء الصائبة ومن اهم المراجع التي استفدت منها، هو كتاب البحرية في مصر الإسلامية وأثارها الباقية لمؤلفة سعاد ماهر إذ يعد هذا الكتاب من اهم المراجع التي اعتمدت عليها في دراستي، إذ تناول هذا الكتاب البحرية منذ العصور التاريخية الأولى إلى العصر الحديث ،وقد تناول بالتفصيل الموضع بناء السفن وأنواع السفن والعلوم المتعلقة بالملاحة ،وقد تصمن الكتاب ملحقا بالمخطوطات المصورة، فضلا عن الخرائط والإشكال ، وأظن هذا الكتاب خير كتاب في موضوع البحرية ويلزم كل من يكتب فن الملاحة أن يرجع إلى هذا الكتاب.

كما استفدت من كتاب تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام لمؤلفيه أحمد مختار العبادي والسيد عبد العزير سالم، إذ تضمن هذا الكتاب أسباب أنشاء القوة البحرية ثم تناول اهم المعارك البحرية التي جرت بين البحرية العربية الإسلامية وخصوصها حتى نهاية الدولة السلوكية الثانية بحرية كما تناول اهم القواعد البحرية في مصر والشام، وقد ركز الكتاب على البحرية في الدولة الفاطمية بفروعها الحربية والتجارية، أما استفادتي منه فكانت في مجال صناعة السفن خصوصا عند التحدث عن أماكن تواجد المواد الأولية والايدى العاملة في صناعة السفن، ودور اليمانيين في القوة البحرية.

التمهيد

نشأة البحرية الإسلامية

أولاً- أمير البحر: لغةً واصطلاحاً.

ثانياً- الجغرافية البحرية للعالم الإسلامي من عهد الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) إلى نهاية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي.

ثالثاً- نبذة تاريخية عن نشأة وتطور البحرية الإسلامية .

أولاً- أمير البحر لغة واصطلاحاً:

١- أمير البحر لغة :

وردت كلمة أمير في معاجم اللغة بأنه مفرد أمراء، وهي صفة مشبهة تدل على الثبوت، وأمير اسم فاعل من أمر على بفتح الميم ،وأمر على بضمها ،وأمر على بكسرها ، وهو من يتولى الإمارة[١]، وتطلق على من ولد في بيت إمارة، أو تقلدها عن طريق خليفة أو سلطان أو ملك ،فهي في الحكم أقل رتبة من الخليفة والسلطان والملك[٢]، وكانت تطلق كلمة أمير على أمراء الأقاليم في الدولة الإسلامية ،ولقب بها الخلفاء من بعد الخليفة أبي بكر الصديق (ﷺ)[٣]، والأمير من كانت له الإمارة أو الرئاسة على قوم ،إذ تسمت بها دول كثيرة في تاريخ الإسلام مثل الإمارة الأموية في الأندلس[٤]، وأول من لقب به من الخلفاء في الإسلام هو الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ)، إذ لُقّب بلقب (أمير المؤمنين)[٥]، أما أمير البحر فهو لقب أطلق على قائد الأسطول البحري، كما هو لقب عسكري يطلق على قائد ذي رتبة عالية في الجيش[٦].

٢- أمير البحر اصطلاحاً:

أمير البحر هو قائد ورئيس الاسطول البحري ،يقال له :أمير البحر أو والي البحر أو أمير

---

(١) ابن منظور ،أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب ،تحقيق: عبد الله علي الكبير وهاشم محمد الشاذي وآخرين ،ط٢،دار المعارف، ،القاهرة، ١٣٠٠هـ /١٨٨٢م،ج١، ص ١٢٩؛ أبراهيم، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، القاهرة، د.ت، ج١، ص ٢٦.

(٢) الفيروز آبادي ، أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/ ١٤٦٥م) ،القاموس المحيط ، تحقيق :أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، ط ٢، دار المعارف ،القاهرة ،١٤٠١هـ/١٩٨٠م، ج٣، ص ٥٦٧.

(٣) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء ،ط ١،دار ابن حزم ،بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ، ص ٢٣.

(٤) ابن عذاري ، أبو عبدالله أحمد بن محمد المراكشي (ت ٦٩٥هـ/١٢٩٥م)، البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب ، تحقيق: عبد القادر زمامة وآخرون ،ط ١،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، ج٢، ص١٤٦.

(٥) الشامي ،أحمد ، الخلفاء الراشدون ،ط٣، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م ، ص ٩٨.

(٦) الزبيدي ، محمد بن محمد المرتضى (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) ،تاج العروس من جواهر القاموس ، ط٤، دار الفكر، بيروت ، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ج ٢، ص٤٦٧.

الماء[١]، ومن الألقاب التي استعارتها اللغات الأخرى ،وعرف عندهم "الأدميرال"[٢].

ويعرف برئيس الملاحين أو النواتية[٣] أو الربان ،أو الأشتيام أو الأستيام، وأشار الطبري[٤] إلى هذه التسمية إذ قال في أحداث سنة ٢٥١هـ/٨٦٥م :"ولخمس بقين من صفر دخل من البصرة عشر سفائن بحرية تسمى البوارج في كل سفينة أشتيام "[٥]، فإن كانت الكلمة عربية فهي من الافتعال شام البرق؛ لأن رئيس المركب "أي أمير البحر " يكون عالماً بشؤون البروق والرياح، ويعرف من ذلك مالا يعرفه سواه فكأنه مسمى بالمصدر من أشتيام[٦].

ومما تجدر الإشارة إليه " أن في البحر سمكة تعرف بالأشتيام وهي عظيمة ،ويجوز أن تكون سميت برئيس المركب كأنها رئيسة السمك" [٧]، وإذا أخذ بهذا المعنى فهمزة الأشتيام همزة وصل ،وإذا كان الأشتيام كلمة أعجمية فهمزته همزة قطع[٨]، وجاءت كلمة الأشتيام في قصيدة البحتري الرائية بمعنى الربان ورئيس النواتية، إذ قال :

---

(١) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٣م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م، ج٢، ص ٢٧٥.

(٢) الأدميرال : مصطلح اقتبس من اللغة العربية واستخدم باللغة الإنكليزية للدلالة على أمير البحر، ماهر، سعاد، البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية ، ط ١، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ،١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، ص٢٧٢؛ فهمي، خالد ،مصطلحات التاريخ الإسلامي في العربية، تقديم :أحمد محمود ، ط١، دار البشير، القاهرة، ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م، ص٦٢٠.

(٣) النواتية :الملاح الذي يدير السفينة في البحر ،ونوتي من نات ينوت أي تمايل وقد سمي الملاح نوتياً ؛لأنه يميل مع السفينة من جانب إلي جانب، الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج١، ص ١٣٠؛ خانكي ، جميل ، البحرية المصرية ، ط١،دار الكاتب العربي ، القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ص١٢؛ ابراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج٢، ص ٩٦١.

(٤) تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٨٧.

(٥) الاشتيام : رئيس المركب وكان البحارة من اهل الحجاز قديما يسمون امير البحر الاشتيام .سالم ، السيد عبد العزيز، تاريخ العرب قبل الإسلام،ط١، منشأة المعارف ،الإسكندرية ،١٤٠٠هـ/١٩٧٠م، ص ٢٤١.

(٦) الزبيدي ،تاج العروس ،ج ٢، ص ٥٧٠.

(٧) ماهر، البحرية في مصر ،ص٢٧٣.

(٨) الزبيدي ،تاج العروس ، ج٢، ص٥٧.

إذا زمجر النوتي فوق علاته[١] رأيت خطيباً في ذؤابه منبر.

يغضون فوق الأشتام عيونهم وفوق السماط للعظيم المؤمر[٢]

وجاء ذكر رئيس السفينة وربانها باسم الناخذاة وجمعه النواخذة، وهي لفظة مأخوذة من الفارسية (ناو" أي سفينة "و"خذا :أي سيد[٣] فتعني سيد السفينة أو أميرها، وجاء في القاموس المحيط للفيروز آبادي[٤]" النواخذة ملاك سفن البحر أو وكلاؤهم فارسية معربة ".

وكلمة رئيس تعني القبطان أو أمير البحر وقادة البحار وهي مطابقة لكلمة" معلم" التي كانت تستخدم في المحيط الهندي[٥]، قال ابن خلدون:[٦]" قيادة الأساطيل ، وهي من مراتب الدولة وخططها في ملك المغرب وإفريقية مرؤوسه لصاحب السيف، وتحت حكمه في كثير من الأحوال ويسمي صاحبها في عرفهم بأسم الملند بتفخيم اللام منقولاً من لغة الأفرنجة "وكلمة الملند كلمة أسبانية كانت تطلق كلقب على أمير الرحل[٧] أي قائد سرب بالأسطول الأسباني[٨].

٣- وظائف ومهام أمير البحر:

يعود تاريخ ظهور وظيفة (أمير البحر) عند العرب المسلمين كما ذكرها

---

(١) العلاة : سندان الحداد وأراد به الشاعر البرج وقد اعتلاه ربان السفينة ، أو الموضع الذي يركب فيه ملاح السفينة، الصرفي ،حسن ، حاشية ديوان البحتري، ط١، دار المعارف ، القاهرة ، ١٤٠١هـ/١٩٧١م ،ص ١٩٠.

(٢) البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيدة الطائي (٢٠٤هـ/ ٢٨٠م) ، ديوان البحتري،ط١، مطبعة هندية بالموسكي، القاهرة، ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م،ج٢،ص٢٣ ؛ المرتضى، علي بن الحسين الموسوي العلوي (ت ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م)، امالي المرتضى، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م، ج١، ص ٥٩٤.

(٣) شير ،أدي ، الألفاظ الفارسية المعربة، ط١، دار المعارف ، القاهرة ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، ص١٥٠.

(٤) ج ٣، ص ٤٨٧.

(٥) فاضلوا ،جورج ، العرب والملاحة ،ط١، دار الندى، طرابلس ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م ، ص ٢٨١.

(٦) المقدمة، ط٣،مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،١٤١٧هـ/١٩٨٨م،ص ٣٢٧.

(٧) فهمي ،علي محمود ، البحرية الإسلامية في شرق البحر المتوسط من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادي ،ترجمة :قاسم عبده قاسم،ط١ ،دار الوحدة ،القاهرة، ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م، ص ٤١١.

(٨) فاضلوا ، العرب والملاحة ، ص ٢٨٨.

البلاذري[١] إلى عهد الخليفة عثمان بن عفان (ﷺ) وأول من تولى هذه الوظيفة رسمياً من العرب المسلمين هو عبد الله بن قيس الجاسي[٢].

وكانت الوظائف والمهام الملقاة على عاتق ربان السفية "أمير البحر " كثيرة ومتعددة ،تتطلب معرفته بعدة حضارت وعلوم ،إذ كان عليه تدبير جري السفينة بالريح أو المجاديف ،وأن يعرف مسالك البحر ومجاريه بواسطة الرهماني [٣]، ،ومعلومات عن الرياح والسواحل والشعاب ،بل كل ما يحتاج أمير البحر إلى معرفته من مدوجزر وخلافه من علوم البحار[٤].

وقد بيَّن في كتاب البحرية في مصر شيء من التفصيل العلوم والثقافات التي يجب أن يلم بها أمير البحر فقال: "إن لركوب البحر أسباباً كثيرة أهمها معرفة المنازل والأخنان[٥]، والدير والمسافات، والباشيات[٦]، والقياس، والإشارات ،وحلول الشمس ،والقمر، والرياح ومواسمها ،ومواسم البحر وآلات السفينة، وما يحتاج إليه وما يضرها وما ينفعها ،وما يضطر إليه في ركوبها ،وينبغي أن يعرف المطالع و الإستوائيات ،وجلسة القياس ونوتيه ،ومطالع النجوم ومغاربها وطولها وعرضها وبعدها وممرها ،وينبغي أن يعرف الرياح والمد والجزر في كل طريقة ،ويكمل جميع الآلة ،ويتفقد في أحضان السفينة وآلاتها ورجالها ،ولا يشحنها غير العادة ،ولا يطلع في مركب لا يطاع فيه ،ولا مركب بغير

(١) أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر(ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)، فتوح البلدان، تحقيق: عبد القادر محمد علي، ط١،دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م،ص١٥٣.

(٢) عبد الله بن قيس الجاسي: هو عبد الله بن قيس ،حليف بني فزارة ،يكنى بأبي بحرية الشامي الحمصي، أول من تولى وظيفة أمير البحر في صدر الإسلام ،توفي سنة ٥٣هـ / ٦٧٢م. ابن الاثير، أبو الحسن عز الدين علي بن الجزري(ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ، ج٢،ص٤٣٣.

(٣) الرهماني : كلمة فارسية استعملها العرب، وأصلها راه نامه، ومعناه(كتاب الطريق) ؛لأن راه هو الطريق، ونامه الكتاب .الزبيدي ، تاج العروس،ج٥،ص٦٠٢.

(٤) ماهر ، البحرية في مصر، ص ٢٧٤.

(٥) الأخنان : هي أجزاء الدائرة الأفقية ،قسمها البحارة لمعرفة الجهات من حولهم في البحر إلى اثنين وثلاثين خن ،وتسمى الأخنان التي تتجه من مركز الدائرة إلى جهات النصف الشرقي .شهاب، حسن صالح، أحمد بن ماجد والملاحة في المحيط الهندي، مركز الدراسات والوثائق،١٤٢٢هـ /٢٠٠١م،ص١٥.

(٦) الباشية: هي ارتفاع النجم فوق الأفق في حالات معينة، كما وصف طريقة القياس الصحيحة. حمود ،خضر موس محمد، أدب الرحلات وأشهر أعلامه العرب ونتاجهم، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٣٣هـ /٢٠١١م،ص١٤٩.

إعتداد ولا في موسم ضيق ، ويحترز من الأخطار في مثل عدة ورجال غيره"[١] ثم نصح أمراء البحار ولاسيما بحار الهند فقال :"فلابد له أن يجعل صدر مركبه أول الليل ،وأول الموسم بين النسرين (نجمين) وآخر الليل ،وآخر الموسم الرماني بين الذراعين ،ويصير الدقل بين النسرين"[٢].

وذكر المسعودي[٣] بقوله:" شاهدت أرباب المراكب في البحر الرومي من الحربية والعمالة، وهم النواتية، وأصحاب الأرحل ،والرؤساء ،ومن يلي تدبير المراكب والحرب فيها " وخصص ابن خلدون[٤]، فصلاً لقيادة الأسطول بَّين فيه بطريقة بارعة المسؤوليات المعهودة للرتب البحرية المختلفة، وكان من واجبات رئيس البحارة أو أمير البحر أو أمير الماء ، الاهتمام بالأسطول وإدارة الأعمال البحرية، فهو المسؤول عن توجيه السفينة الحربية سواء بالريح أو المجاديف، كما كان مسؤولاً عن رسوها، فهو يتحمل كل شيء فكان يصدر الأوامر بالإبحار ،وكان من أعظم الشخصيات ، وواصل حديثه قائلاً: " كان يطلق على وزير البحر (مقدم الإسطول) في دولة الإسلام ،وكانت أساطيلها مجتمعة من سائر الممالك ،من كل بلد تتخذ فيه السفن أسطولاً يرجع نظره إلي قائد من النواتية، يدبر أمر حربه ،وسلاحه ومقاتليه، فإذا اجتمعت الأساطيل لغزو محتفلة، أو غرض سلطاني مهم، عسكرت بمرفئها المعلوم ،وشحنها السلطان برجاله ،وإنجاد عساكره ومواليه ،وجعلهم لنظر أمير واحد من أعلى طبقات أهل مملكته، يرجعون كلهم إليه ،وينتظر إياهم بالفتح والغنيمة"[٥]، ويتضح من كلام المسعودي أنه كانت هناك رتب مختلفة بين طاقم السفينة الحربية الإسلامية فكان معظم أفراد الطاقم "نواتية "بينهم "رؤساء "أي أمراء ثم من يعهد إليهم بقيادة السفن الحربية [٦].

ويبدو أن المسعودي أطلق كلمة أصحاب الأرحل على الضباط المعهود إليهم قيادة الأساطيل التي كانت تربط بين أفريقيا و أسبانيا ، وربما كانت هذه الأساطيل تضم سفناً تجارية ،إذ ميزها عن

---

(١) احمد بن ماجد، الفوائد في أصول علم البحر والقواعد ، تحقيق: محمد عمر الصوفي، ط١، دار الكتاب الجامعي، القاهرة ،١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م ،ص ٥٧.

(٢) احمد بن ماجد، الفوائد ، ص ٥٨.

(٣) أبو الحسن علي بن الحسن بن علي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط١، دار الأندلس ، بيروت ،١٣٨٥هـ/١٩٦٥م ،ج١، ص ٣٠٦.

(٤) المقدمة ،ص ٣٢٦.

(٥) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣٢٦.

(٦) فهمي ، البحرية الإسلامية ، ص٤١٠.

السفن الحربية وأطلق عليها "المراكب العمالة " ،ثم أوضح المسعودي[١] أن لكل من البحر المتوسط والبحار الشرقية بحارتهم وملاحيهم وخبرائهم الخاصين بهم ،وذكر المقدسي[٢] الأسماء التي كانت تطلق على العاملين على السفن في المحيط الهندي "ربان واشتيام" .

وذكر بعض المؤرخين قولهم[٣]: "أن القتال في البحر شديد صعب عسر الأمور منها أن المجال ضيق ولا تكاد السهام والأحجار تخطئ ،ومنها لأختلاف الرياح بما يضر أو سكونها عند الحاجة إليها ،ومنها أنه لا يمكن فيه الهروب ولا الفرار ولا الاستتار، قال أحد حكماء الفرس أن الشطرنج وضع لتمثيل حرب البر والنرد وضع لتمثيل حرب البحر، فإن صاحب النرد وإن وضع المعارك في المواضع الجيدة وأحترز، فإذا جاءت الفصوص بما لا يوافق الغرض لم ينتفع باحترازه ويطل عليه تدبيره كاختلاف الريح واضطراب البحر ... وبالجملة يجب على والي البحر أن يستجيد المراكب ويستجدها ،ويكثر تقويتها وإدخار آلاتها حتى إذا تلف شيء من ذلك وجد ما يخلفه، ويحتاط في تقييدها وإحكام ما يلاقي في الماء منها فإنه في الأصل الذي يعول عليه ،ويتخير القواد ورؤساء العارفين بمسالك البحر ومراسيه وعلامات الرياح وتغيرات الأنواء ،والحركة البحرية من المد والجزر ...ويحترس من هجوم العدو عليه في الليل فلا يتخذ في المراكب ناراً ولا يشعل مصباحاً ولا يترك فيه ديكاً ،وإن اشتد الخوف عليه وأراد الإختفاء، فليحدد قلوعاً زرقاً، كي لا تظهر من بعد ، وينبغي ألا يهجم على المراسي لئلا تكون مراكب العدو التي تنكسر عليها المراكب ،ويكثر من الماء والزاد ليستظهر على طول المدة إذا دعت الحاجة إليه كادخار أصحاب الحصون ".

وأضاف العباسي قوله[٤] :"وإن كان القتال بقرب البر والسواحل والجزائر فليجعل عيونه وطلائعه على الجبال فيتأهب لذلك ،ويفعل مقدم الحرب كما يفعل والي البر ،وأبلغ المركب من تأليف

---

(١) مروج الذهب ، ج١، ص ٢٨٢.

(٢) شمس الدين أبو عبد الله البشاري (ت٣٨١هـ/٩٩١م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط٣، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،١٤٠٠هـ/١٩٧٩م، ص ٢٤٦.

(٣) قدامة بن جعفر، أبو لفرج قدامة بن جعفر بن البغدادي (ت ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م)، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، ط٢، مكتبة البيان، القاهرة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص ٣٨٩؛ الحسن بن عبد الله (٧١٠هـ /١٣١٠م)،آثار الأول في ترتيب الدول، تحقيق: عبد الرحمن عميرة،ط١، دار الجيل، بيروت ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ،ص٣٧٢.

(٤) آثار الأول ، ص ٣٧٣.

لأصحابه ، ووعدهم واستمالتهم وتحريضهم قبل ذلك لأن هذا لا منجي منه ولا مخلص إلا بصدق القتال ،أما كاسر أو مكسور ،والمراكب الكبار أن سكن الريح عنها جذبتها الشواني إلى موضع القتال والمراكب الصغار والشواني لا ينبغي أن تأتي خلف البطش[١] والمسطحات فإنها تغرق في واديها وأما من جانبها فلا يمكنها الإلتصاق بها بل تقابلها عن بعد وتنطحها بالقياس الذي يقال له اللجام ...وإذا أمكنهم الفرصة تأخروا به قليلاً، ثم قذفوه قذفة واحدة قوية فينطح المركب فيغرقه ،ويدخل الماء فيه ، فيطلبون الأمان ،وإذا تقرب شيء من شيء طرحت فيه كلاليب كبار من الحديد فيها سلاسل معقودة إلى المركب فتوقفه ،ثم يطرح الألواح بينهما كالجسر ويدخلون إليه ويقاتلون ،وليس في حرب البحر شيء أصعب من النفط لبسب الزفت والقير الذي يطلي به المركب ،فيحتاط لدفع ذلك باللبود المبلولة بالخل والشب والنطرون ،ومما يدفعه الطين المخلوط بالبورق ،والنطرون، والطمي المعجون بالخل ...والأصل في قتال البحر معرفة الرياح حتى يتقدم خصمهم أو يعلو عليه فوق مهب الريح ،وأما في الخلجان والأنهار الصغار فهو من دون هذا و هو قريب من قتال البر ...وإنما يصعب فيه السلوك في الدحال[٢] والمضائق ويكون العدو على البر فيجذب بالكلاليب والخطاطيف، ويرمي بالسهام والحجارة وأما الدحال والآجام فلا سبيل إلي دخولها الا بدليل من أهلها ، ويتوقى المواصل التي فيها والمضائق ويقصد الأطراف".

ووردت نسخة من عهد صادر من الخليفة العباسي المتوكل على الله (٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٦-٨٦١م) إلى أحد الأمراء بولاية الثغر ببحره ومراكبه ،وهذه الوثيقة التي تبين سلطات قائد القوات البحرية ، إذ جاء فيها "هذا ما عهد أمير المؤمنين إلى فلان حين ولاه الثغر وبحره ومركبه :أمره بتقوى الله وطاعته ،والحذر من عقابه واتباع مرضاته ،وإيثار الحق في جميع أفعاله ... وأمره بتعهد نفسه حتى يقيم أودها ،وينفي بذكر الله الهوى وزيغ الشيطان عنها ،وأن يزكي سجيته ويطهرها ،ويهذب سيرته ويتقفها ، ويكون لمن معه من الجند وسائر الأولياء في الخير إماماً و معلماً ،وعلى سلوك

(١) البطش: هو الأخذ بعنف أو الأخذ الشديد بكل شيء بطش به، الفراهيدي، الخليل بن أحمد (١٧٥هـ/ ٧٩١م)، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي،ط١، دار ومكتبة الهلال، القاهرة، د.ت، ج٦، ص٢٤٠؛ الغيومي، أحمد بن محمد بن علي (٧٧٠هـ/١٣٦٨م)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي،ط١،المكتبة العلمية،بيروت،ج١،ص٥١.

(٢) الدحال:الصياد يصيد بالداحول، ابراهيم مصطفى وآخرون ،المعجم الوسيط،ج١،ص٢٧٣.

أفضل المناهج حاضاً ومقوماً ،وأمره أن يلين لأهل الطاعة ،ويشتد على ذوي المعصية ،ويعطي على كل حال قسطها من النصفة والمعدلة[١] .

وأمره أن يكون الأذن عليه لمن معه من الجند مبذولاً، والوصول إليه من ذوي الحاجات والظلمات سهلاً يسيراً، وأمره أن يستعمل على شرطته من يرضى عقله وعفافه ، ويثق بجزالته وصرامته وشدته على أهل الريب والدعارة ،وأمره أن يديم عرض جنده حتى يعلم علمهم ويطلع على حقيقة أمرهم ،ويلزمهم مراكبهم ،وأمره أن يشرف على مراقبة محارسه حتى يحكم أمر المرتبين فيها ، ويدر عليهم أرزاقهم ولا يتأخر عنهم بشيء منها[٢].

و أن يتفقد أمر المراكب المنشأة حتي يحكمها ويجود آلاتها ويتخير الصناع لها ،ويشرف على ما كان منها في الموانئ ، ويرفعها من البحر إلى الشاطئ في المشاتي وهيج الرياح المانعة من الركوب فيها[٣]، وأمره أن يكون نواشيه وعيونه الذين يبعث بهم ليعرف أخبار عدوه من ذوي الصدق والنصيحة والدين والأمانة والخبرة بالبحر وموانيه ومخابئه ، حتى لا يأتوا الا بالصدق من الخبر والصحيح من الأثر ، وإن رهقتم من مراكب العدو ما لا قوام لكم به انحازوا الى المواضع التي يعرفونها ويعلمون النجاة بالانحياز اليها[٤].

وأن لا يدخل في النفاطين والنواتية والقذافين، ولا في غيرهم من ذوي الصناعات والمهن في المراكب إلا من كان ماهراً حاذقاً صبوراً معالجاً، وأن يكون من يحمله معه في المراكب أفاضل الجند وأخيار الأولياء، وأصدق نية وإحساناً، وجرأة على العدو وارتكاباً، وأمره أن ينظر في صناعة المراكب نظراً استكشف به آلاتها من الخشب والحديد والمشاقة والزفت وغيره، حتى يحكمها ويجيد بناء المراكب وتأليفها وقلفطتها وتركيبها ،ويستجيد المقاذيف ويجيرها وينتقي الصواري والقلوع وينتخبها، ويميز

---

(١) ابن عبد الحكم، أبو القاسم المصرى عبد الرحمن بن عبد الله (ت٢٥٧ هـ / ٨٧١م) ، فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ،١٤١٥ هـ / ١٩٩٤م، ج١، ص ٧٢؛ قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٣٨٩.

(٢) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص ١٧٩؛ البلاذري، فتوح البلدان، ج١، ص ١٢٠؛ قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة، ص ٤٧.

(٣) قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، ص٤٩؛ياقوت الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين (ت٦٢٦هـ /١٢٢٨م) ، معجم البلدان ،ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٢١هـ/ ١٩٠٦م،ج٣، ص ٣١٤.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ١٤١؛ قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة، ص ٤٩.

النواتية ،ويعتمد من له الحذق والدربة منهم والحنكة والتجربة من جميعهم ،حتى لا يدخل فيهم من لا يصح دخوله ،ولا يخلط بهم من يكون غيره أحق بالعمل منه[١].

كما أمره أن يتحرس من أن تنفذ للعدو صلة في أقتناء الأسلحة أو شيء من أدوات الحرب والمكيدة من أرض الإسلام ،أو أن يطلق لأحد من التجار حمل شيء إليهم أو إقامة الطريق الى بلدهم ،ومن وجده قد أقدم على هذا وما جانسهٌ من الناس جميعاً عاقبه عقوبة موجعة وجعله نكالاً وعظة ،وأمره أن يضم المراكب في الموانئ التي ترسو، فيها ويولي مراعاتها من يثق بنصيحته وشهامته حتى لا يخرج منها مركب الا بعلمه، ويشرف عليها في كثير من الأوقات حتى تكون على هيئتها مجلوة مسنونة ، مقومة موصوفة، متعاهدة، مصونة الى وقت الحاجة إليها والعمل بها ،ويشرف على ما فيها من النفط والبلسان والحبال وغيرها من سائر الآلات حتى يحتاط في ظروفها وأوعيتها ويأمن الفساد والتغيير عليها[٢].

وأمره بشدة الحذر من جواسيس العدو وعيونه، وأن يوكل لكل مدينة من يعلم حالها ولا يطلق لأحد من البوابين والحرس أن يدخلها الا من يعلمون حاله وسبيل مدخله وصورته ومغزاه وأرادته[٣].

٤- أهم السفن التي تأمر عليها أمراء البحر المسلمين في الدولة العربية الإسلامية إلى نهاية القرن الثالث الهجري:

تعددت وتطورت السفن العربية الإسلامية التي تأمر عليها أمراء البحر المسلمين طوال العصور الإسلامية ، ومن أشهر أنواعها:

أ- **بارجة:** وقد ذكرها الطبري[٤] في حوادث سنة ٢٥١هـ/٨٦٥م فقال: " دخل من البصرة عشر سفن بحرية تسمى البوارج ،في كل سفينة أشتيام وثلاثة نفاطين ،ونجار ،و خباز ، وتسعة وثلاثون رجلاً من الجدافين والمقاتلة ، فذلك في كل سفينة خمسة وأربعون رجلاً ".

(١) قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة، ص٥٠ ؛ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج١، ص ٦٠.
(٢) قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٤٩.
(٣) قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة، ص٥٠.
(٤) تاريخ الرسل والملوك ، ج٢، ص ٨٥٢.

والجمع بوارج وحدد المسعودي[١] أصلها في قوله: " البوارج وهي مراكب الهند"، وقال ابن سيدة[٢]: "البارجة سفينة من سفن البحر تتخذ للقتال " ، وعرَّفه ياقوت الحموي[٣] ذاكراً أصل اشتقاقها عربي فعند حديثه عن لفظة ... "بيرة " الهندية ،وهي سفينة حربية كبيرة ، ثم قال العرب سفينة بارجة، فنعتوا بها السفن الكبيرة المكشوفة ،

ب- بحرية: والجمع بحريات ، صفة عامة للسفن التي تسير في الأنهار والبحار ،سواء لنقل تجارة التاجر والغلال أو للحرب ، عرَّفها المقريزي[٤] بما يفيد هذا المعنى في قوله: " ...فالصناعة اسم لمكان قد أعد لإنشاء المراكب البحرية التي يقال لها السفن ،واحدمنها سفينة ،وهي بمصر على قسمين : نيلية وحربية ،فالحربية هي التي تنشأ لغزو العدو ،وتشحن بالسلاح وآلات الحرب والمقاتلة ...، وأما المراكب النيلية فانها تنشأ لتمر في النيل صاعدة إلى أعلى الصعيد ومنحدرة إلى أسفل الأرض لحمل الغلال وغيرها".

ت- بطسة : ويقال أحياناً بطشة أو بطسه ، وهي تعني السفينة الكبيرة ،قال ياقوت الحموي:[٥] البطسة مركب للحرب أو التجارة بلغة الأسبان ،والجمع بطس ،وهي سفينة عظيمة الحجم ،كثيرة القلوع[٦] ،قد" يصل عدد القلوع في البطسة الواحدة إلى أربعين قلعاً " .

وتختص تلك السفن "البطس " بنقل الجند المحارب ،فضلاً عن الأزواد والذخيرة ،وكانت الواحدة على عدة طبقات ،يشغل كل طبقة منها فئة معينة من الجند بأسلحتها ،وتسيرها قلوع كثيرة تقدر بأكثر من أربعين قلعاً [٧].

---

(١) التنبيه والإشراف ، ط٢، دار المعارف ، القاهرة ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ،ص٣٥٥.

(٢) أبو الحسن علي بن اسماعيل الأندلسي (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م) ، المخصص ،ط١، بولاق ، القاهرة ،١٣٢١هـ/١٩٠٣م ،ج١٠، ص ٢٦.

(٣) معجم البلدان ، ج١، ص٣٤٤.

(٤) تقي الدين أحمد (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ،ط٢، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٩٨هـ/١٩٦٩م ، ج٢، ص ١٨٩.

(٥) معجم البلدان، ج١، ص ٤٨٧.

(٦) القلوع: هي السفن المرفوعة، أو قوس قلوع تنفلت في النزع فتتقلب. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج١، ص ٥٤؛ ابراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج٢، ص ٧٥٥.

(٧) العدوي ،إبراهيم أحمد ،الأساطيل العربية في البحر المتوسط،، ط١، مكتبة النهضة ،القاهرة ، ١٣٩٣هـ /=

ث- جارية: الجارية السفينة، والجمع جوار[١] وهي ،صفة غالبة قال تعالى: ﴿حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾[٢] ، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [٣]، وقوله عز وجل :﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ [٤]، والجواري هي السفن والمراكب[٥].

ج- جفن وجفنة: الجفنة ،أشبه بالقصعة، وبذلك تتحدد أبعادها ،فهي سفينة دائرية ،وهي من سفن الحرب والغزو والقتال ،وتجمع جفان وأجفان[٦]، وهي من السفن التي كانت تستعمل في البحر المتوسط ،وقيل عنها الغربان ذوات أجنحة[٧].

ح- الحراقة: وتجمع على حراقات وحراريق، وقد يقال حراق والجمع حراريق[٨]، نوع من السفن الحربية التي كانت ترمي بالنيران ،استعملها المسلمون كثيراً في حروبهم البحرية ،وقيل أنها نوع من السفن الحربية كانت تستخدم لحمل الأسلحة النارية كالنار الإغريقية ،وكان بها مرام تلقي منها النيران على العدو[٩].

استخدمت بكثرة في حروب المسلمين ضد الروم في البحر المتوسط ،وكانت الحراقات تستخدم في مياه دجلة والفرات ؛ ليتنزه عليها خلفاء بني العباس[١٠].

=١٩٦٩م ،ص ١٥٤.

(١) الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ج ٤، ص ٣٩٠.

(٢) سورة الحاقة ،الآية ١١.

(٣) سورة الرحمن ،الآية٢٤.

(٤) سورة هود ،الآية ٤١.

(٥) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج التابعي المكي القريشي المخزومي(ت١٠٤ هـ / ٧٢٢م) ،تفسير مجاهد، تحقيق: محمد عبد السلام، ط١، دار الفكر الإسلامي ،القاهرة، ١٤١٠هـ /١٩٨٩م، ج١، ص٥٢٢.

(٦) الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ج ٤، ص ٣٩٨.

(٧) النخيلي ، درويش ، السفن الإسلامية على حروف المعجم ،ط١،دار المعارف ، القاهرة ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م ، ص٢٣.

(٨) الزبيدي ، تاج العروس ،ج٥، ص ٢٣٥.

(٩) فهمي ، البحرية الإسلامية ، ص ٤١٥.

(١٠) ابن خلدون ،المقدمة،ص٨٤؛ أبو النصر ، محمد عبد العظيم ، الدولة العباسية ، ط١، شركة نوابغ الفكر ، القاهرة ،١٤٣١هـ/ ٢٠٠٩م ، ص ٢٤٧.

خ- حربي، وحربية: وهو اسم عام على السفن المختلفة المستعملة في القتال البحري ،والجمع حربيات وحرابي ،استعملها المسلمون والبيزنطيون وغيرهم من الشعوب ، والتي قد يطلق عليها أحياناً مراكـــــب مقاتلـــــة[١]، وكانت أول إشارة إليها مـــا أورده المسعودي[٢] في قائمته التي أدرج فيها أسماء أباطرة الروم من الهجرة النبوية الشريفة حتى سنة ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م ،فقال :"الثالث والعشرون قسطنطين بن قسطنطين ... في خلافة عثمان بن عفان (ﷺ) ،وهو الذي غزا البحر في نحو ألف مركب حربية وغيرها ،فيها الخيل والخزائن والعدد ،يريد الإسكندرية من بلاد مصر... ،وسميت هذه الغزوة ذات الصواري لكثرة المراكب وصواريها ،وهي الأدقال وكان ذلك سنة ٣٤هـ/ ٦٥٤م"، وذكر المسعودي[٣] أيضاً في ذكر أول فداء تم بين البيزنطيين والمسلمين بثغر نهر اللامس[٤] سنة ١٨٩هـ/٨٠٤م "...وحضرت مراكب الروم الحربية بأحسن ما يكون من الزي ،ومعهم أسارى المسلمين"، وقال كذلك وهو يتكلم عن البحر المتوسط : " شاهدت أترباب المراكب في البحر الرمي (البحر الابيض المتوسط) من الحربية والعمالة وهم النواتي وأصحاب الرحل والرؤساء ومن يلي تدبير المراكب والحرب فيهم ،مثل لاوي المكنى بأبي حرب وعلى هذا وجدت عبدالله بن وزير صاحب مدينة جبلة ،وليس فيه من أصحاب المراكب من الحربية والعمالة الا وهو منقاد إلى قوله[٥].

وقال ابن حوقل [٦] وهو يستعرض الكلام عن البحر المتوسط : "ومن أعظم جباياتهم (أي الروم) وأكثر وجوه أموالهم ضريبة بلد أطرابزنده وأنطاليه المرسومة من أخذ ما يرد من بلد الإسلام ،لما يؤخذ من سواحل الشام ومراكبهم ويغنم بالشلنديات بالمراكب الحربيات والشينيات وما يحصل من أثمان

---

(١) النخيلي ، السفن الإسلامية ، ص٣٧.

(٢) التنبيه والإشراف ،ص ١٥٨.

(٣) التنبيه والإشراف ، ص١٨٩.

(٤) اللامس: قرية على شط بحر الروم من ناحية ثغر طرسوس كان فيه الفداء بين المسلمين والروم يقدمون الروم في البحر فيكونون في سفنهم والمسلمون في البر ويقع الفداء ، النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب(ت٧٣٣هـ / ١٣٣٢م) ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ط١،دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة،١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ج٢٢،ص٢٦٩.

(٥) المسعودي ، التنبيه والإشراف ، ص ١٨٩.

(٦) أبو القاسم محمد النصيبي (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م) ، صورة الأرض ، ط١،مطبعة بريل، ليدن ، ١٣٧٨هـ /١٩٦٧م، ص١٧٩.

المسلمين ، "وذكر أيضاً عن البيزنطيين قوله: "وسبيلهم فيما يقيمونه من غزو المسلمين في البحر بالمراكب الحربية".

د- شباك: والجمع شباكات وشبابك ، وهي سفينة حربية صغيرة الحجم تستعمل عادة في البحر المتوسط ولها من الصواري ثلاثة مقالع[١].

ذ- شلندي: والجمع شلنديات وشلندية ،نوع من السفن عرَّفه ابن مماتي[٢] بقوله :"مركب مسقف تقاتل الغزاة علي ظهره وجدافون يجدفون تحتهم"، والشلندات مراكب حربية كبيرة لا تقل أهمية عن الشواني والحراريق ولكنها تختلف عنها في أن الواحدة منها أو الشلندي مسطحة لحمل المقاتلة والسلاح وتعادل في أهميتها الشونة والحراقة واستعملها العرب فقالوا صندل وكانت أيضاً تستخدم في نقل البضائع[٣].

ومن الملاحظ أن المصادر التاريخية العربية لا تذكر هذا النوع من السفن إلا وتقرنه بلفظ الروم ، وبهذا نقول أن الشلندي نوع من السفن استخدم بكثرة في حروب الروم مع المسلمين في البحر المتوسط ، .وقال مسكويه[٤] عند كلامه عن فتح الامبراطور نقفور فوقاس لمدينة طرسوس [٥]بالأمان سنة ٣٥٤هـ /٩٦٥م ،ثم خروج أهلها منها بأمر نقفور "ولم يزل طول طريقهم يتعرف أخبارهم بكتبه ورسله ،إلى أن عرف سلامتهم وحصولهم بأنطاكية ،وحمل بعضهم في البحر في شلنديات له إلى حيث أرادوا" .

ر- **طريدة:** طراد وطرادة وتطريدة: والجمع طرايد وطرائد ،وطرادات ، قال ابن منظور[٦]: "الطريدة هي

---

(١) الحموي ،محمد ياسين ،تاريخ الأسطول العربي صفحه مجيدة في تاريخ العرب ، ط١، مكتبه العلمية، دمشق ،١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م ، ص٤١.

(٢) شرف الدين أسعد بن مهذب(ت ٦٠٦هـ/١٢٠٤م) ،قوانين الدواوين،ط١، تحقيق : عزيز سوريال عطية ، دار المعارف ، القاهرة١٣٦٤هـ/ ١٩٤٣م ،ص ٤٥٦.

(٣) الحموي، تاريخ الأسطول العربي ، ص٣٨.

(٤) أبو علي أحمد بن محمد (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م)،تجارب الأمم وتعاقب الهمم ،ط١، نشر أمدروز ، مطبعة شركة التمدن الصناعية ، القاهرة ، ١٣٣٣هـ/١٩١٥م ، ج٢، ص ٣١١.

(٥) طرسوس : مدينة من مدن الثغور الشام بين أنطاكية وحلب، المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد(ت٣٨٠هـ / ٩٩٠م) ،أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،ط٣، دار صادر ،بيروت،١٤١١هـ/ ١٩٩١م،ج١،ص٣٠.

(٦) لسان العرب،ج٣، ص٢٩٦.

السفن " في حين وصفها الزبيدي[١] فقال: " الطراد سفينة صغيرة سريعة السير والجري ،والعامة تقول : تطريدة "وكانت من السفن التي تستعمل في البحر المتوسط وهي مفتوحة المؤخرة لحمل الخيل بسبب الحرب ،وأكثر ما يحمل فيها أربعون فرساً[٢].

ز- **غراب** : الجمع أغربة وغربان من المراكب الحربية القوية التي استعملها المسلمون والروم في البحر المتوسط في الغارة أو الغزو عن طريق البحر، ورجح الحموي[٣] استخدام الأغربة الى العصور القديمة ،وذلك في قوله: "كانت معروفة عند القرطاجنيين والرومانيين وغيرهم من أمم تلك العصور" ، فهي على هذا من أقدم المراكب التي عرفت في البحر المتوسط وهو اسم من أسماء الشيني أو جزء منه وهو يسير بالمجاديف والقلع ومنه الصغير والكبير ،ويحدد حجمه وضخامته عدد مجاديفه فأكبره ما كان يجره مائة وثلاثون مجدافاً ،وأصغره تجدف به عشرة مجاديف ،قال ابن مماتي:[٤] "وأما الشيني ويسمى الغراب أيضاً ،فإنه يجدف بمائة وأربعين مجدافاً وفيه المقاتلة والجدافون ".

٥- القوانين والنظم الواجبة على أمراء البحر:

كان لأمراء البحار وربانية السفن ورؤسائها قوانين ونظم تلزمهم بها عاداتهم البحرية أو مشرفو الموانئ، وكانت لهم سياسة ،ولاسيما في ترتيب السفن ووصفها والتى ذكرها أحمد بن ماجد[٥] بقوله : "فإذا فرغ الربان من معرفة المنازل، والأخنان، والدير، والباشيات ،والنجوم، ومواسمها أخذ يشرع في الإشارات والسياسات وترتيب العساكر؛ لأن ذلك ليس هو بعلم هو لا يتسم لهذا العلم ،فأعلم وفقك الله إذا عرفت جميع ذلك وأردت بالفعل به تماما في السفينة وهي فوق الأرض فأكتب جميع خللها وقليل في زماننا من يفعل ذلك –وإنما القول على أهل الكمال ليس القول على مفلس جمع نفسه وعرضه بأيسر شيء من الطمع ،وإذا ركبت فيها أنصب عودا وفيه خرقة دراو حرير وقطن لتعرف الريح به من أي خن وجلس الحقة في مكانها وتفقد كل التفقد ،أولا في نفس الحقة لا من المراكب ما يكون تجارته خلا فيعدي بك عن مجراك ،فأستدرك الأمر بأوله ،وتأمل الجاه بالليل ،وحطه في مكان يوافق

(١) تاج العروس، ج٦، ص ٧٦٦.
(٢) النخيلي، السفن الإسلامية ، ص٨٩.
(٣) تاريخ الأسطول العربي،ص٤٤.
(٤) قوانين الدواوين ، ص٣٣٩.
(٥) الفوائد ، ص ٩٩.

المكان الذي حكمت عليه بالحقة بالنهار حتى لا يكون بالنهار مجرى ويطول الطريق، فحكم جميع ذلك أول سفرك فما تنفع الندامة آخر السفر ،وتفقد جميع المراكب والعسكر ،وتأمل نهوضهم لتكون عارفاً بهم عند الشر ،وأعمل خلاصك وأسمع جميع أقوالهم وخذ مليحها ودع قبيحها ،وكن حازما قويا في قولك لين الطبيعة ،ولا تصحب من لا يطيعك فيما يعينك، فلم تجد لك في الشدائد شريكاً إلا الأشرار، وكن شجاعا ذا بأس ،قليل الغلظة كثير الهمة ثير الصبر والإحتمال ،تقيا لا تظلم أحدا ، وتأمل جميع الآلات خصوصا في السكان في كل حين وساعة ، وتأمل بحسن النبأ المستقبل ،لا يغمك التعب الذب أنت فيه فإنه منسي ،ولا تنم الا بقدر ما يدفع عنك السنة والسهر ،وعندما ترقد لا تخلي المسكن وحده ،وحارب النوم الحر الكلي ،ولا ترى خللا في السقنة وتهمله إلى وقت آخر إلا عند الضرورة أشد مما أنت فيها ،وحدد الموسم ،وأختصر الشحنة وأحسن حساب الحازمين العارفين الخير والشر ،فإن قصرت في شيء من ذلك فلا تلومن إلا نفسك ،فإن أدركك أعظم درك من جميع من ركب البحر فإن فعلت ما أمرتك به وأخطأت فأنا الملوم حياً وميتاً ،وأما القضاء والقدر فهو غالب لأنه أمر الله تعالى ،وقد قيدوا ذلك بقيدين جميع ما يخشى يذم عليه الإنسان إلا القضاء والقدر فلا حيلة له فيه يتلقاه بالدعاء فيصلحان إلى يوم القيامة فأكثروا من الدعاء لأنه ما هلم معه أحد وقال سبحانه وتعالي: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [1]،ولا تتركوا حزب البحر وعدة الحصن الحصين وعليك عند الكرب بقوله: "لا إله الا الله العظيم الجليل لا إله إلا الله رب العرش العظيم".

وعلى أمير البحر أيضاً أن يختار الوقت المناسب في البدء في صناعة السفينة وذلك اعتماداً على معرفته بعلم الفلك الذي يساعده على اختيار الطالع السعيد فينبغي الاحتراز في اختيار وقت إنشاء السفينة فإنه أصل قوي[2].

فإذا ما تم صنع السفينة فيجب أن يختار كذلك الوقت الذي تطرح فيه في الماء، ويجوز السفر والإقلاع اذا كان القمر في العقرب[3]، وأما الأطعمة والأشربة التي يجب أن يتناولها أمير البحر وركابه لدفع الميد والعمدة من ذلك تقليل الغذاء بحيث لا يتضرر الإنسان به ويكون قبل ركوب البحر

(١) سورة غافر ، جزء من الآية ٦٠.

(٢) ماهر ، البحرية في مصر الإسلامية ، ص٢٧٨.

(٣) المقريزي، الخطط والآثار،ج١، ص ٣٤٤.

بأيام ليقل الخلط ويكثر نشاطه ،وينبغي أن يكون عند ركوب البحر ممتلئاً من الطعام ، فإنه اذا حصل له القيء كان في معدته ما يستفرغه ،ثم يقلل الغذاء بعد ذلك(١).

وكان للملاحة في تلك المدة نظم وقوانين يجب على أمراء البحار مراعاتها والعمل بها وقت الحرب ووقت السلم وأولها مراعاة عدم حدوث المنازعات والمشاحنات بين الملاحين وأمراء البحار ،وإن أصابه حادث أثناء سفره عليه أن يعود الى وطنه ويلقي مرساته ويحسن الى الفقراء ويتصدق على المساكين ،ويجب أن يلاحظ في البر ، والبحر، الرياح ،والصخور النائية ، والتيارات ،ومسير النجوم والقمر ،وأقسام السنة والرياح الهندية ،والخلجان والشواطئ ،والرؤوس والجزر ،وسلاسل الأحجار والمضايق والشواطئ الصحراوية ،والجبال والهضاب ،فيجب أن يعرف دقائق هذه الأمور ليكون المركب بمأمن من الأخطار في البحر كما لوكان في البر ،وليكون المعلم معصوماً من الخطأ ، ولاينسي الأستعانة بالله ، ليكون محفوظاً من كل خطر، والمعلم كالإمام تلك إرادة القانون ،وإذا أراد أن يترك السفينة في أي مكان كان ،فلا يستطيع ذلك كما تقضي التقاليد(٢).

ومن الواجبات التي يجب على أمير البحر اتباعها قبل إنزال الأسطول البحر لخوض المعارك البحرية ،أن يستجيد المراكب ويستجدها ،ويكثر تقويتها ،ويحتاط في تغييرها وإدخار آلاتها ،حتى اذا تلف شيء من ذلك وجد ما يخلفه، وأحكام ما يلاقي الماء منها فإنه الأصل الذي يعول عليه، ويتخير القواد والرؤساء العارفين بمسالك البحر ومراسيه ،وعلامات الريح، وتغييرات الأنواء والحركات البحرية من المد والجزر ،وكان من واجباته وقت الحرب ألا يهجم على المراسي لئلا تكون مراكب العدو بها كامنة ،ولا يتقدم إلى بعد ليستظهر على طول المدة إن دعت الحاجة إليه كإدخار أصحاب الصحون المعرفة ،والأحراز من الأحجار والشعاب والأحراش التي تتكسر عليها المراكب ،ويكثر من الماء والزاد، وإن كان القتال قرب البر والسواحل والجزائر فيجعل عيونه وطلائعه على الجبال فيتأهب لذلك، وبفعل مقدم البحر من تأليفه أصحابه ووعدهم واستمالتهم، وتحريضهم قبل الحرب كما يفعل والي البحر وأبلغ من ذلك ؛لأن هذا لا منجي منه ولا مخلص إلا بصدق القتال أما كاسراً أو مكسوراً(٣).

(١) قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص ٤٨؛ العباسي، آثار الأول ،ص١٦٥.

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٤٣٥.

(٣) المقريزي ، الخطط والآثار ، ج١، ص ٣٤٤.

ونظرا لأهمية الأسطول الإسلامي أصبح من وظائف المحتسب مراقبة السفن والأسطول قبل شحنه وله أن يتصدى لأمير البحر ولرؤساء السفن، فقد جاء في كتاب معالم القربة في أحكام الحسبة[١]: يؤخذ على أصحاب السفن والمراكب ألا يحملوها فوق العادة خوف الغرق ،وكذلك يمنعهم من السير وقت هبوب الرياح واشتدادها ،وإذا حملوا فيها النساء مع الرجال حجبوا بينهما بحائل، وقال المقريزي[٢]:" يلازمون رؤساء المراكب ألا يحملوا أكثر من وسق السلامة ".

ومن الوظائف المهمة في البحرية، والتي تلي أمير البحر وتعد من مساعديه وظيفة الديدبان[٣] وهو الرقيب الذي يقف في مقدمة السفينة يستطلع أحوال البحر في حالة السلم، وأخبار العدو في وقت الحرب[٤]، ثم المنادي ومهمته تبليغ أوامر أمير البحر إلى الملاحين والنوتية بصوته الحاد المرتفع[٥]. ومن الوظائف التي لا يستهان بها كذلك بالنسبة للسفن والأساطيل هو "القلاووز" وهو الدليل الذي يرشد السفن عند دخول الموانئ أو المرور على السواحل الخطرة أو المضائق الصعبة وأرباب هذه الوظائف يكونون في العادة عارفين بفنون الملاحة لتيسير السفن وواقفين على تأثير الرياح ومجاري المياه مطلعين على الحسابات الفلكية وغيرها عالمين بطرق سير المراكب وواقفين على أحوال السواحل والثغور ومسالك الموانئ ومواقع الصخور المائية والمياه الضحلة ،وكانت السفن في العصور القديمة لا تسير بدون "القلاووزة" ؛ لأنهم كانوا ملاحين خبيرين بأحوال المد والجزر والرياح مما يعين السفن على السير ،وفرضت لهم مرتبات مخصوصة[٦].

كما كان على أمير البحر أن يصحب معه في حالة الحرب ، قائداً أو رئيساً يتولى قيادة الجنود إذا ما انتقل ميدان الحرب من البحر إلى البر، وكثيراً ما يحدث[٧].

---

(١) ابن الأخوة ،محمد بن محمد بن أحمد القرشي (ت٧٢٩هـ/١٣٢٧م) ، تحقيق: محمد محمود شعبان ،ط١،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ، ص ١٤٨.

(٢) الخطط والآثار، ج١، ص ٣٦٩.

(٣) الديدبان :هو الرقيب، والحارس ،والطليعة. الزبيدي ،تاج العروس،ج٣٥،ص٤٤٥؛ مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط ، دار دعوة، القاهرة ، د. ت،ج١،ص٢٧٦.

(٤) ماهر ، البحرية في مصر الإسلامية ، ص٢٨٣.

(٥) الحموي ، تاريخ الأسطول العربي ، ص ٥٦.

(٦) ماهر ، البحرية في مصر الإسلامية ، ص ٢٨٤.

(٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٢٠٧؛ العدوي ، قوات البحرية العربية في مياه البحر المتوسط ،ط١،=

ثانياً: الجغرافية البحرية للعالم الإسلامي منذ عهد الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) إلى نهاية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي :

اتسمت المنطقة الجغرافية البحرية للعالم الإسلامي وأولها البحر المتوسط الذي تمتع منذ أقدم العصور إلي الوقت الحاضر بموقع جغرافي فريد ،جعله مطمع كل قوة تبغي لنفسها الازدهار والسلطان الراسخ الأوتاد ،ولكن لم تستطع أية قوة أن تنال الخلود الذي فاز به العرب باستقرارهم على شواطئ هذا البحر ،فبينما اندثرت حضارات أو انهارت دعائم أمم تأسست على جوانب هذا البحر ،مازالت أقدام العرب راسخة عليه في بقعة شاسعة ،تضم بلاد الشام ومصر وبلاد المغرب ،أي ما يقرب من نصف شواطئ البحر المتوسط(١).

ويعزى سر هذا الخلود إلى أن العرب اتخذوا أهبتهم لركوب البحر المتوسط وفق خطوات منظمة ومدروسة، بعيدة عن الارتجال وذلك منذ أن اطلعوا على مياهه في القرن السابع الميلادي حاملين راية الإسلام(٢).

ولم يلبث رجال البحرية العربية الإسلامية الناشئة أن هزموا قادة بحار الروم البيزنطيين ،وجردوا البحر المتوسط من لقبه التقليدي ،وهو بحر الروم ،وأغدقوا عليه صفة جديدة ،جعلته حرياً بأن يسمي بأسم " البحيرة العربية الإسلامية "(٣).

ولم تكن السياسة الدفاعية التي اتخذها العرب المسلمون عن طريق تزويد الثغور بالحاميات العسكرية كفيلة بحماية هذه الثغور من عدوان البيزنطيين ،لاسيما بعد أن أصبحت تحت سيطرة العرب المسلمين سواحل طويلة ،معرضة لهذا الخطر البيزنطي ،بعد فتحهم الشام ومصر ،في الوقت الذي كان فيه البيزنطيون يتقنون فن الحرب البحري ،وأشار إلى ذلك ابن خلدون(٤) بقوله :"إن العرب

=مكتبة نهضة ،القاهرة، د.ت ، ص ٣٣.

(١)العدوي، قوات البحرية العربية،ص٧.

(٢) العدوي ،قوات البحرية العربية،ص٥.

(٣) العدوي ، قوات البحرية العربية ، ص ٧.

(٤) المقدمة ، ص ٤٧٧.

لبداوتهم لم يكونوا أول الأمر مهرة في ثقافته وركوبه ،والروم والأفرنجة لممارستهم أحواله ومرباهم في التقلب على أعواده مرنوا عليه ،وأحكموا الدربة بثقافته ".

ولم يكن إندفاع العرب نحو حوض البحر المتوسط ومواجهة الروم البيزنطيين لمجرد الرغبة في التوسع ونشر الإسلام فقط ،وإنما كان نتيجة طبيعية لدخول " الغساسنة في الإسلام "[١]،وقد استمر الإندفاع الإسلامي نحو شواطئ البحر المتوسط على صورة متصلة النشاط والقوة ،لم تتوقف إلا أمام العقبات المانعة التي استحال تخطيها بالفعل ،مما يدل على أن دافعاً قوياً كان يدفع المسلمين للسيطرة على شواطئ هذا البحر والقبض على نواصيه من الشرق والغرب[٢]، ولا يكاد يصرفهم عن إتمام هذه المهمة شيء ،فقد أتم العرب فتح مصر سنة ٢٢هـ/٦٤٢م[٣]،باستيلائهم على الإسكندرية ،وواصلوا الفتوح على سواحل بحرية ،عابرين صحراء واسعة، مستهدفين لكثير من المخاطر ،فساروا بحذاء سواحل طرابلس الطويلة حتى بلغوا إفريقية ،وهي ما يعرف اليوم بتونس وخاضوا معارك حامية انتهت بسيادتهم على هذا البلد الصغير، ثم مضوا يشقون طريقهم على سواحل بلاد المغرب في عنف وصبر واحتمال مدة سبعين سنة حتى بلغوا مدينة سبتة[٤] سنة ٩١هـ/٧٠٩م[٥].

وبعد هدنة قصيرة عاد البحر المتوسط فجذبهم من جديد وعبروا إلى الأندلس ،وفي أقل من سنتين نجدهم عند جبال البرت[٦]، ثم استرسلوا مرة أخرى في حماس وحمية، فسيطروا على شواطئ

---

(١)مؤنس ،تاريخ المسلمين في البحر المتوسط الأوضاع السياسية والإقتصادية والاجتماعية ،ط١، الدار المصرية اللبنانية ، ، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م ،ص٦٥.

(٢) العدوي ،تاريخ المسلمين في البحر المتوسط،ص٦٥.

(٣) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ١٤.

(٤) سبتة: بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ، ومرساها أجود مرسى على البحر ، وهي على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس على طرف الزقاق الذي هو أقرب ما بين البر والجزيرة ، وهي مدينة حصينة ،البكري، عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، المسالك والممالك، مطبعة ادولف، الجزائر، ١٣٣٠هـ /١٩١١م، ج٢،ص ٧٧٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ١٨٢.

(٥) العدوي ، تاريخ المسلمين في البحر المتوسط ، ص ٦٦.

(٦) العدوي ،تاريخ المسلمين في البحر المتوسط ، ص٦٦.

لبروفانس[١] حتى مصب الرون ،واتخذوا بلدة أربونة[٢] مركزاً لهم[٣].

استطاعت الدولة الإسلامية منذ فجر تاريخها انتزاع العديد من البلدان والولايات من الدولة البيزنطية التي كانت تحتلها منذ عهد الإمبراطور جستنيان[٤]، ولم يستطع المسلمون المحافظة على هذه المكاسب الكبيرة إلا بعد أن تمكنوا من مواجهة البحرية البيزنطية ،وذلك بإنشاء أسطول إسلامي كبير ،وتم ذلك عندما كان معاوية بن أبي سفيان والياً على الشام في خلافة عمر بن الخطاب (ﷺ)[٥]، وعندئذ بادر بإعداد هذا الأسطول الناشئ وتدريبه لحماية السواحل والدفاع عن الموانئ ضد عدوان البحرية البيزنطية وظهر الالتحام الحقيقي بالبحرية البيزنطية في معركة ذات الصواري البحرية سنة ٣٤هـ/ ٦٥٤م[٦] وفيها أوقع الأسطول الإسلامي الناشئ بالأسطول البيزنطي العتيق الهزيمة المرة ودمر أغلب سفنه، فكانت هذه المعركة من المعارك الفاصلة في تاريخ البحرية الإسلامية في البحر المتوسط ،إذ مكنت الأسطول الإسلامي من السيادة المطلقة على شرق البحر المتوسط معتمداً على موانئه في مصر والشام وقواعده البحرية في قبرص ورودس وأرواد[٧] ثم خيوس[٨]،وعلى دور صناعة السفن المنتشرة في أغلب موانئ هذا البحر[٩].

وكانت القسطنطينية من أهم المناطق الجغرافية البحرية التي قصدتها السفن الإسلامية بقيادة أمراء البحر خلال مدة طويلة من الزمان تبدأ من العصر الأموي ،مروراً بالعصر العباسي فعصر

---

(١) لبروفانس: هي منطقة في جنوب شرق فرنسا تطل على البحر الأبيض المتوسط تجاور إيطاليا، البكري، المسالك والممالك،ج٢،ص١٢٨.

(٢) أربونة: مدينة هي آخر ما كان بأيدي المسلمين من مدن الأندلس وثغورها مما يلي بلاد الإفرنجية، ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج١،ص١٤٠.

(٣) العدوي ، قوات البحرية العربية ، ص ٢٣.

(٤) العريني ، السيد الباز، الدولة البيزنطية ، ط١، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٤٠١هـ/١٩٧٦م ، ص ١٦٥.

(٥) الشامي ، الخلفاء الراشدون ، ص ١٧٩.

(٦) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٣، ص ٤٦٩.

(٧) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣، ص ٤٧٠.

(٨) خيوس :اكبر الجزر اليونانية وتقع في بحر ايجه على بعد ٧كليو مترات من ساحل الاناضول.حسين ،اطلس تاريخ الاسلام،ص١٥٠.

(٩) محمود ،منى حسن ، العلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول ،ط١، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م ، ص ٢٤.

الدويلات المستقلة ،وانتهى بفتحها على يد السلطان العثماني محمد الفاتح سنة١٢هـ/ ١٤٥٣م[١]، وقد اجتهد المسلمون كثيراً محاولين فتحها محتملين في سبيل ذلك من العناء والخسائر ما لم يكن لهم به عهد في ميدان آخر ،وهم لم يكونوا كما نعلم أهل بحار ولا عهد لهم بمعاناة الملاحة وأخطارها ،ولكن اندفاعهم نحو البحر المتوسط من أجل نشر الدين الإسلامية ورغبتهم في السيطرة على شواطئه هون عليهم ما صادفوا من الأهوال بين أمواجه، فنجد رجال منهم لم يسبق لهم أن ساروا بفلك على ماء يقودون المعارك البحرية على ظهور السفن ويكسبون بعضها[٢].

ونجد سفن المسلمين بين سنوات ٤٨- ٦٦هـ/٦٦٨-٦٨٥م تخترق بحر إيجة والدردنيل، ورجالهم سيطروا على جزيرة سيزيكا[٣] في بحر مرمرة ،وواصلوا حملاتهم على القسطنطينية المرة تلو الأخرى في إصرار بالغ ،فلا يرجعون إلا بعد أن تبلغ بهم الخسائر مبلغاً يستحيل عليهم الاستمرار معه ، وبعد أن تفعل النار اليونانية بسفنهم الأفاعيل[٤].

قضى المسلمون سبع سنوات كاملة متوالية الشتاء في البحر بثلوجه المعروفة ،ثم يهبون لمهاجمة القسطنطينية من جديد في الربيع والصيف ، وفي إحدى الحملات أصيب أسطولهم بكارثة كبرى عند مروره فيما بين قبرص والشاطئ الجنوبي لآسيا الصغرى سنة ٥٨هـ/ ٦٧٧م[٥]، و في أثناء هذا الكفاح الطويل سيطر العرب المسلمون تماماً على شواطئ الجزر الكبرى والصغرى في هذا الحوض الشرقي للبحر المتوسط ،وأخرجوه عن سيطرة البيزنطيين ،وغيروا الوضع السياسي فيه تماماً، وظلت شواطئ البحر المتوسط في أيديهم وتحول الدولة الأموية إلى دولة بحرية متوسطية[٦].

ومثلت منطقة الثغور الشامية والبيزنطية ميداناً جغرافياً آخر للصراع البحري بين البيزنطيين والمسلمين، وكانت جبال طوروس تمثل الحدود الفاصلة بين المسلمين والبيزنطيين فهي تتألف من

(١) حرب ،محمد ، الدولة العثمانية ، ط١، دار الراقي، بيروت ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م ، ص ٢٠٢.

(٢) العدوي، تاريخ المسلمين في البحر المتوسط ، ص ٧٥.

(٣) سيزيكا:هي جزيرة في بحر مرمرة ،مؤنس ،حسين، تاريخ المسلمين في بحر المتوسط :الإوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، الدار المصرية اللبنانية، جامعة ميتشيغان،١٤١٢هـ/١٩٩١م ،ص٣٧.

(٤) العدوي ، قوات البحرية العربية ، ص ٣٢.

(٥) العدوي، تاريخ المسلمين في البحر المتوسط ، ص ٧٦.

(٦) العدوي ،تاريخ المسلمين في البحر المتوسط،ص٧٦ .

سلسلتي جبال طوروس الخارجية وطوروس الداخلية[١]،والتي أطلق عليها الجغرافيون العرب اسم جبل اللكام[٢] ويمتد هذا الخط الدفاعي من ثغر ملطية على الفرات الأعلى إلى طرطوس بالقرب من ساحل البحر المتوسط[٣].

وكانت هذه الجبال تمثل حدوداً طبيعية وتاريخية وبشرية[٤] ؛ لأنها لم تخل من دروب ومسالك للاتصال بين الدولتين المتجاورتين ،وكان يحمي هذه الحدود خط طويل من القلاع تعرف بالثغور[٥]، والتي قال عنها ابن حوقل[٦]: "وأما الثغور فإنه لا قصبة لها ،وكل مدينة قائمة بنفسها ".

ولم تغفل الدولة الأموية ثم العباسية أمر حماية الثغور البرية والبحرية ،وشحنها بالجنود والأسلحة، وانقسمت الثغور الإسلامية في هذه المنطقة بوجه عام إلى ثلاثة أقسام: ثغور برية، وثغور بحرية، وثغور برية بحرية[٧].

وانقسم هذا الخط الدفاعي على مجموعتين إحداهما منطقة الجزيرة وتسمى ثغور الجزيرة[٨]، وهي الشمالية الشرقية ،قال قدامة بن جعفر[٩]: "ثم يلي هذه الثغور عن يمينها وجهة الشمال منها

---

(١) قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ،ص٢٥٤.

(٢) جبل اللكام: هو الجبل المشرف على أنطالية وبلاد ابن ليون والمصيصة وطرسوس وتلك الثغور،ابن خرداذبه ، أبو القاسم عبيد الله بن أحمد (ت ٢٨٠هـ/٨٩٣م) ،المسالك والممالك ،ط١، دار صادر، بيروت ،١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، ص ١٣٥.

(٣) محمود ، العلاقات العباسية البيزنطية ، ص ٣٤.

(٤) عثمان ،فتحي ، الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي الاتصال لحضاري،ط١، الدار القومية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م ،ص٣٢٨.

(٥) الثغور: هي مواضع القتال، أو المنافذ والمناطق الحدودية ،أو الموضع الذي يكون حداً فاصلاً بين بلاد المسلمين والكفار. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت٤٢٩هـ/١٠٣٨)، اللطائف والظرائف ، ط١، أبريل، ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م،ص٥٧ ؛ابن سيدة ،أبو الحسن علي بن اسماعيل (ت٤٥٨هـ / ١٠٦٦م)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ج٨،ص١٨٦؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٥، ص٢٥٠.

(٦) صورة الأرض، ص١٣٧.

(٧) قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة، ص ٢٥٣.

(٨) عثمان ، الحدود الإسلامية البيزنطية ، ص ١٦٢.

(٩) الخراج وصناعة الكتابة ،ص٢٥٤.

الثغور المعروفة بالجزرية ،وأول ما يحاد الثغور الشامية منها مرعش ويليه ثغر الحدث[١]، أما المجموعة الثانية من هذه الثغور الدفاعية، فكانت تحمي بلاد الشام وتسمى الثغور الشامية وهي في الجنوب الغربي ،ويفصل جبل اللكام "طوروس "بين ثغور الجزيرة وثغور الشام ،ومن الثغور التي تحمي بلاد الشام ما كان بالقرب من الساحل الشمالي خليج الإسكندرونة وهي المصيصة [٢]؛وأذنة وطرسوس[٣].

ولما كانت مصر والشام وبلاد المغرب من البلاد ذات الحدود الساحلية ،لذلك أصبحت الموانئ المطلة على هذه الحدود ذات أهمية حربية كبيرة ،بسبب الخطورة التي تتعرض لها من البيزنطيين، قال الوالي عمرو بن العاص (ﷺ) في إحدى خطبه لأهل مصر: "وأعلموا أنكم في رباط إلى يوم القيامة لكثرة الأعداء حولكم ، وتشوق قلوبهم إليكم ،وإلى داركم معدن الزرع والمال ،والخير الواسع والبركة النامية "[٤].

وكانت أهم الثغور التي حاربت فيها الأساطيل العربية الإسلامية ،الإسكندرية وبرقة ،وأذنة ، والمصيصة، وطرطوس و مرعش وغيرها[٥].

ومثلت بلاد المغرب وصقلية ونابلي وجزيرة قبرص ورودس وقوس و كريت و غيرها الميدان الثالث من ميادين الجغرافية البحرية في المواجهة البيزنطية الإسلامية، ويختلف المغرب عن غيره مما دخل في حوزة الإسلام من بلاد البحر المتوسط ،إذ أن النشاط البحري يكون جزءاً لا يتجزأ من حياته وكيانه الاقتصادي والاجتماعي تبعاً لذلك ؛ لأن أخصب أراضي المغرب وأوفقها للسكنى وأوفرها ماء هي مناطق الشريط الساحلي الذي يتصل من برقة إلى طنجة على المحيط الأطلسي[٦].

---

(١) ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ص ٩٧.

(٣)المصيصة:ثغر من ثغور الشام، البكري، معجم ما استعجم،ج٤،ص١٢٣٥.

(٣) ابن حوقل ، صورة الأرض ،ص١٦٧.

(٤) المقريزي ، الخطط الآثار، ج١، ص ١٥.

(٥) الجنزوري ، علية عبد السميع ، الثغور البرية الإسلامية علي حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى ،ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م ، ص ٥٦.

(٦) العدوي، تاريخ المسلمين في البحر المتوسط ، ص ٩٦.

وسكان هذا الشريط الساحلي لا يستغنون عن البحر وتجارته ،ولهذا كان أهله من أنشط الأمم البحرية، وكانت لهم صولات وحروب بحرية مع الروم البيزنطيين مثل ذات الصواري وقرطاجنة وغيرها .

ثالثاً- نبذة عن نشأة البحرية الإسلامية :

اتهم العرب من قبل المستشرقين بعدم ركوب البحر ،ولم تكن لهم داريه به قبل الإسلام وكل ما أدركوه من معرفته هو ركوبهم البحر الأحمر من ميناء الشعبية في جدة أثناء هجرتهم إلى الحبشة[١]، وهذا خطأ بالغ في غير موضعه، فالعرب عرفوا البحر قبل الإسلام بكثير ويكفي أن بلاد العرب تحيط بها المياه من ثلاثة جوانب فيقع الخليج العربي في شرقها ،والمحيط الهندي في جنوبها والبحر الأحمر من غربها ،فأصبح العرب في عمان والبحرين وغيرها ملاحين وتجاراً عظاماً[٢].

ومنذ القرن الرابع قبل الميلاد استخدم العرب السفن والمراكب الشراعية ،كما ورد اسم البحر في كثير من أشعار العرب القدماء في عصر قبل الإسلام [٣]، والقرآن الكريم مليء بذكر البحار والسفن والمراكب مثل الفلك والجارية والسفينة وذات الألواح والدسر وهي المركب المصنوع من ألواح الخشب والمسامير[٤] ، وأول ما ذكره القرآن لنا في أمر السفن هي قصة سيدنا نوح (ﷺ) وبناء السفينة وحادث الطوفان، قال تعالى: ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴾ [٥].

وهناك أربعون آية في القرآن الكريم ،أشارت إلى أن الله سخر البحر للإنسان كي تسير مراكبه فوقه بإذنه ، إذ كان العرب على معرفة تامة بالسفن، ولذلك خاطبهم الله سبحانه وتعالى بما

(١) سالم ، السيد عبد العزيز ، الدولة العربية الإسلامية ، ط١،دار النهضة العربية ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م،ص ٢٣٨.
(٢) العدوي ، قوات البحرية العربية ، ص٥٦.
(٣) فهمي ، البحرية الإسلامية ، ص٢٦٧.
(٤) العدوي ، قوات البحرية العربية ، ص ٧٨.
(٥) سورة هود، الآية ٣٧.

يعلمون مثل الأبل والجبال[١] ، قال تعالى: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزۡجِي لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِي ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ [٢]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [٣]،

وفي مكان آخر يلتقي البحران أحدهما عذب والآخر ملح أجاج ولكنهما يحويان السمك ويخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وتمخر السفن مياههما ،قال تعالى :﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ وَمِن كُلٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [٤].

وقوله تعالى: "﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ٣٢ إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ ٣٣﴾ [٥]، وتبين لنا آيات أخرى أن العرب كانوا ملمين بعلم الرياح التي أطلقوا عليها أسماء مختلفة ،وأداروا دفة مراكبهم في كل زمان في البحار المضطرمة وإلى البلاد البعيدة ،وكانوا مهرة في تجنب العواصف وفي إيجاد مرسى آمن لسفنهم ،إذ توقعوا الأنواء وعرف بحارتهم سبيلهم نهاراً بواسطة الجبال وامتداد الشواطئ ،وفي الليل اعتمدوا على القمر والنجوم التي يبدو أنهم درسوها باتقان وإمعان ،ويشهد القرآن الكريم ببراعتهم ، قال تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [٦].

---

(١) الطبري ،تفسير الطبري،ج١،ص٤٤؛ الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار الصوابني، القاهرة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ج١، ص ٥٤٠.

(٢) سورة الإسراء ، الآية٦٦.

(٣) سورة النحل ،الآية ١٤.

(٤) سورة فاطر ،الآية ١٢.

(٥) سورة الشورى ،الآيتان ٣٢-٣٣.

(٦) سورة النحل ،الآية١٢.

وعندما يعم عليهم النجم في سواد الليل وترعد الأنواء تصبح حالة البحارة من السوء ما لا يمكن تصوره وقد رسم القرآن الكريم هذه الصورة المعتمة بقوله وتعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ (١).

وشمل الحديث النبوي الشريف كذلك نبوءة أن المسلمين سينطلقون في حملات لنشر الإسلام ،وسيخضعون لحكمهم جزراً و بلداناً ،وأن الله تعالى يرعى من يستشهد منهم ،وأن جزائهم الجنة التي يدخلونها بسلام آمنين ، ورد على لسان أنس بن مالك (ﷺ)،أن النبي (ﷺ) نزل ضيفاً على أم حرام ابنة ملحان(٢) (ﷺ) وبعد أن تناول(ﷺ) طعامه نام ،ولما استيقظ فقالت مضيفته الموقرة عن سبب الابتسامة والبهجة التي علت وجهه ،فأجاب "ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسرة أو قال: مثل الملوك على الأسرة "، فقلت يا رسول الله ادع الله أن أكون منهم ، فدعا لها ،قال "أنت من الأولين"(٣).

وسرت السيدة أم حرام لهذا النبأ وتمنت أن تشترك في مثل هذه الأعمال الجليلة فطمأنها النبي (ﷺ)، أنها ستكون من بين الأوائل وقد تحقق لها ذلك ، إذ ركبت أم حرام بنت ملحان البحر في امارة معاوية(ﷺ)، وصرعت على دابتها حين خرجت من البحر فماتت(٤).

وعندما نشأت الدولة العربية الإسلامية في المدينة المنورة ، واجه العرب المسلمون قوتين عظيمتين هما الفرس والروم البيزنطيين، واستطاع المسلمون تقليص الوجود البيزنطي في الشام ومصر وبلاد المغرب ،وبدأت المواجهات البرية والبحرية بين المسلمين والبيزنطيين منذ عهد الخليفة عمر بن

(١) سورة النحل ،الآية١٦.

(٢) ام حرام بنت ملحان : بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصارية خالة انس بن مالك المجاهدة التي شاركت في معارك أحد وحنين والخندق والفتح والطائف مع زوجها عبادة بن الصامت (ﷺ) ثم انها خرجت مع زوجها غازية في البحر وذلك في امارة معاوية بن أبي سفيان (ﷺ) وخلافة عثمان بن عفان (ﷺ) حتى وصلوا جزيرة قبرص. الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، ط١، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م،. ج٣، ص٥٣٧.

(٣) البخاري ،أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن المغيرة (ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م) ، صحيح البخاري ،تحقيق: محمد زهير الخاص ، ط١، دار طوق ، المنصورة ،١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م ،ج ٤، رقم ٢٧٨٨،ص١٦.

(٤) البخاري ،صحيح البخاري،ج٤،رقم ٢٧٨٨، ص١٦.

الخطاب (ﷺ) وزادت في عهد خليفته عثمان بن عفان (ﷺ)، فكان لابد من إنشاء الأسطول العربي الإسلامي ودور لصناعة السفن والموانئ ،وبدأت النهضة الإسلامية في بناء السفن ودار الصناعة هي الكلمة العربية للمكان الذي أعد لإنشاء المراكب البحرية[١] ، والعرب أول من استعمل هذه التسمية "دار صناعة البحر"[٢]، وانتشرت هذه الدور في مصر والشام وبلاد المغرب ،إذ أدرك العرب منذ استقرارهم على شواطئ البحر المتوسط أن التنظيم البحري للأساطيل وما تطلبه من قواعد آمنة ،ودور صناعات كاملة ،وخدمة ممتازة، إذ هو عصب الحياة لأية قوة بحرية تبغي المجد والقوة ،وكان معاوية بن أبي سفيان (ﷺ) أول من شجع على القيام بأنشطة بحرية[٣].

وتسابق الأمراء في كل بلاد الإسلام على بناء السفن ودورها وتجهيز الموانئ الصالحة للإبحار والرسو والحرب ونقل التجارات والأفراد ، ودققوا في اختيار أمراء البحر واعتنوا بهم ،والذين أدوا دوراً كبيراً منذ الفتح الإسلامي وحتى نهاية القرن الثالث الهجري /التاسع الميلادي.

(١) المقريزي ، الخطط والآثار،ج١،ص ٢١٣.

(٢) العدوي ، تاريخ المسلمين في البحر المتوسط ، ص ٩٩.

(٣) سالم ، الدولة العربية الإسلامية ، ص ٢٨٧.

الفصل الأول

أمراء البحر في العصر الراشدي.

المبحث الأول: أمراء البحر في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي اللّه عنه).

المبحث الثاني: أمراء البحر في عهد الخليفة عثمان بن عفان (رضي اللّه عنه).

المبحث الأول : أمراء البحر في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي اللّه عنه) (١٣-٢٣هـ/ ٦٣٤-٦٤٤م) .

حثّ الإسلام على ركوب البحر، والجهاد في سبيل الله ، وفصَّلت كتب السنة الشريفة في كثير من الأحاديث النبوية التي وردت عن رسول الله (ﷺ) ، تبين فضل الغزو في البحر والدعوة إليه ، إذ روي عن الرسول (ﷺ) أنه قال: " من غزا في البحر غزوة في سبيل الله والله أعلم بمن يغزو في سبيله فقد أدى إلى الله طاعته كلها ، وطلب الجنة كل مطلب ، وهرب من النار كل مهرب"(١)، وعن عبدالله بن عمرو (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله (ﷺ): " لا يركب البحر إلا حاجاً أو معتمر، أو غازفي سبيل الله، فإن تحت البحر ناراً ، وتحت النار بحراً"(٢) ، وعن الرسول (ﷺ) قال: "المائد في البحرالذي يصيبه القيء له أجر شهيد والغرق له أجر شهيدين"(٣)، وعن عبدالله بن عمرو (رضي الله عنهما) أن رسول الله (ﷺ) قال: "حجة لمن لم يحج خير من عشر غزوات ، وغزوة لمن حج خير من عشر حجج، وغزوة في البحر خير من عشر غزوات في البر ، ومن أجاز البحر فكأنما أجاز الأودية كلها، كالمتشحط(٤) في دمه في سبيل الله سبحانه"(٥)، ولهذا اهتم المسلمون منذ قيام دولتهم الأولى في المدينة المنورة بالبحر والغزو فيه ، ويعد الانتصار الحاسم الذي أحرزه المسلمون على الجيوش البيزنطية في معركة اليرموك سنة ١٥هـ / ٦٣٦م(٦) نقطة تحول مهمة في حركة الفتوح الإسلامية ،والتي أدت إلى انهيار قوى الروم ،وانفصال الشام عن جسد الإمبراطورية

(١) الطبراني، سليمان بن احمد بن أيوب (ت ٣٦٠ هـ / ٩١٨م) ، المعجم الأوسط ، تحقيق : عبدالمحسن بن ابراهيم الحسيني وطارق بن عوض الله بن محمد ، دار الحرمين ،القاهرة، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م ، ج٢، ص٢١٨رقم٢٩٦٤.

(٢) أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥ هـ/ ٨٨٩ م) ، سنن أبي داود ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت، د.ت،ج٣،ص٦ ،رقم ٢٤٩١.

(٣) أبو داود ، سنن أبي داود ، ج٣ ، ص٧ ،رقم٢٤٩٥.

(٤) المتشحط : شحط القتيل في الدم، اضطرب ، وشحطه في دمه ، وبدمه ، جعله يضرب ويتخبط فيه . الطبراني، المعجم الإوسط ،ج٣،ص٢٨٠؛ ابن الأثير، أبو السعادات مجد الدين(ت٦٠٦ هـ/١٢١٠م)، النهاية في غريب الحديث، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطناحي،ط٤،مؤسسة إسماعيل للطباعة والنشر ،طهران،١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م،ج٢،ص٣٥٤.

(٥) ابن ماجة ، أبو عبدالله محمد بن يزيد القرشي القزويني (ت ٢٧٣هـ/ ٨٨٧م) ، سنن ابن ماجة ، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ، دار أحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٣١٣هـ/ ١٩٨١م ،ج٢ ، ص٩٢٨.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك،ج٢،ص٣٥٩.

البيزنطية ،وذكربعض المؤرخون أن الإمبراطور هرقل عندما بلغه نبأ الكارثة التي حلت بجيشه في موقعة اليرموك، رحل إلى عاصمته القسطنطينية ، فلما تجاوز الدرب الذي يصل أرض بيزنطة ،نظر إلى الأراضي السورية، مودعها بنظره وقال: "عليك يا سورية السلام ونعم البلد هذا للعدو[١]".

وأخذت مدن الشام الكبرى في الشمال والجنوب تتساقط سريعاً الواحدة تلو الأخرى في أيدي المسلمين ،أما السواحل فلما انتهى المسلمون سفيان (ﷺ)[٢] همه من فتح دمشق في الخامس عشر من رجب سنة ١٤هـ /٦٣٥م[٣]، إذ وجه يزيد بن أبي إلى فتح مدن الساحل الفينيقي على البحر المتوسط "مرتكز الصراع بين المسلمين والروم"، فلم تأت سنة ١٧هـ /٦٣٨م ، إلا وقد افتتح بيروت وصيدا و جبيل وعرقا فتحاً يسيراً[٤]، وفي الوقت نفسه كان عبادة بن الصامت (ﷺ) يفتح عنوة مدن الساحل الشمالي وهي جبيلة وانطرسوس واللاذقية[٥].

أدى فتح الشام إلى فتح مصر سنة ٢٠هـ/٦٤١م[٦]، وكثيراً ما ارتبط الشام بمصر معاً، بفضل موقعها الجغرافي والمصالح المشتركة في وحدة تاريخية وثيقة ،وكان مصيرهما واحداً خلال المدة الطويلة من التاريخ القديم والوسيط، إذ تربطهما منذ أقدم العصور مصالح حربية، وسياسية وتجارية واحدة[٧]، وسجلت الفتوحات الشامية والمصرية تحولاً فجائياً في الإستراتيجية الدفاعية للعرب المسلمين في هذه المرحلة من تاريخهم الإسلامي، فقد أحسوا بعد أن افتتحوا مدناً ساحلية تمتد من أنطاكية شمالاً، إلى ساحل برقة غرباً، بأهمية الدفاع البحري عنها ،في وقت كانوا يدركون تمام الإدراك ليس

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١٣٨.

(٢) يزيد بن أبي سفيان: هو الاموي القرشي، أبو خالد، صحابي جليل من فضلاء الصحابة استعمله النبي محمد (ﷺ) على صدقات بني فراس من قبيلة كنانة، وهو أحد القادة الذي أرسلهم الخليفة أبو بكر الصديق (ﷺ) لفتح بلاد الشام ويقال له يزيد الخير، أسلم يوم فتح مكة، وشهد حنيناً. ابن الاثير، اسد الغابة، ج٤، ص ٧١٥.

(٣) ابن عبد الحكم ،فتوح مصر والمغرب ،ص١٠٣.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان ، ص١٢٩.

(٥)الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي(ت٢٠٧هـ/٨٢٢م)، فتوح الشام،ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م،ج١،ص١٥١.

(٦) ابن عبد الحكم ،فتوح مصر والمغرب ،ص١٠٣.

(٧) سالم ، السيد عبد العزيز، الصلات التاريخية بين الشام ومصر في العصر الإسلامي ،مجلة العلوم ،بيروت، العدد الخامس ،مايو١٣٨٤هـ /١٩٦٤م،ص٤٨٦.

تخلفهم في الثقافة البحرية بالنسبة لأعدائهم البيزنطيين فحسب، بل بالنسبة لسكان هذه البلاد المفتوحة والذين بحكم جوارهم للبحر قد تمرسوا على خوض مياهه[١]،هذا فضلاً عن طبيعة بلادهم الصحراوية، إذ يندر وجود الأشجار التي تصلح لصناعة السفن ،وخلوها من معدن الحديد اللازم لصناعة المراسي والكلاليب والمسامير، بأستثناء اليمن[٢]، ومن الزفت والقطران ،هذا فضلاً عن صعوبة الملاحة في البحر الأحمر؛ لكثرة ما يعترض السفن فيه من صخور وشعاب مرجانية[٣].

ولهذا السبب، ولأنه أدرك عظم القوى البحرية البيزنطية وسطوتها، عمد الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) إلى إتباع سياسة بحرية دفاعية لمواجهة خطر استرداد البيزنطيين لسواحل الشام ومصر، اعتمد في ذلك على وسائل برية ،كترميم القلاع والمناور والمراقب والمسالح بحذاء الساحل، وشحنها بالمقاتلة والمرابطة[٤]، وظل العرب يتبعون هذه السياسة إلى أن تهيأ لهم تثبيت أقدامهم، وتمكين سيادتهم على مصر والشام ،فتطلعوا إلى مجاراة البيزنطيين في سياستهم البحرية الهجومية، وبدأوا يوسعون القوة البحرية الإسلامية حفاظاً على سيادتهم على الشام ومصر[٥]، فقد تبين للمسلمين أن القوة البحرية لا غنى عنها في السيطرة على الأراضي التي فتحوها في الفتوحات في جبهتي مصر و الشام، ومادام باستطاعة القسطنطينية أن تبعث بأسطولها فإن الشام ومصر يصبحان عرضة للهجوم البيزنطي، وكثيراً ما شعر معاوية بن أبي سفيان عامل الشام في خلافة عمر بن الخطاب (ﷺ)، أن موقفه صعب، لعدم وجود أسطول لديه[٦]، والذي يرجع إليه الفضل الأعظم في إنشاء الأسطول العربي الإسلامي[٧]، إذ فطن إلى أهمية الأساطيل في الدفاع عن السواحل أثناء قيام أخيه يزيد بغزو مدن الساحل، فقد تعرض لكثير من المتاعب في فتح بعض تلك المدن كقيسارية، وطرابلس وعسقلان، أما قيسارية فقد عجز عن فتحها، إذ كانت تتلقى الإمدادات من البحر ،ولذلك سعى معاوية (ﷺ)، ليحصل على إذن من الخليفة عمر بن الخطاب(ﷺ) ليبعث بجنوده للغزو عن طريق البحر

(١) العبادي، أحمد مختار، سالم ، السيد عبد الغزيز ، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام ،دار النهضة العربية ،بيروت،١٤٠٢هـ / ١٩٨١م،ص١٤.

(٢) العبادي ، تاريخ البحرية الاسلامية،ص١٥.

(٣) عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية ،ص٣٣٥.

(٤) البلاذري ،فتوح البلدان ،ص١٢٩.

(٥) العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام،ص١٥.

(٦) فهمي ،البحرية الإسلامية ،ص٢٧٩.

(٧) العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام،ص١٥.

وقال: "إن قرية من قرى حمص ليسمع أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم" [١]، وكاد هذا الأمر أن يأخذ بقلب الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ)، فكتب إلى عمرو بن العاص واليه على مصر أن يصف له البحر وراكبه فإن نفسي تنازعني إليه وأنا أشتهي خلافها ،فكتب إليه عمرو" يا أمير المؤمنين إني رأيت البحر خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير ليس إلا بالسماء والماء، إن ركد حزن القلب ،وإن زل أزاغ العقول ،يزداد فيها اليقين قلة ،والشك كثرة هم فيه كدود على عود، إن مال غرق ، وإن نجا برق"[٢]، فلما جاء كتاب عمرو إلى الخليفة عمر (ﷺ) كتب إلى معاوية "لا والذي بعث محمداً بالحق لا أحمل فيه مسلماً أبداً...، إنا قد سمعنا أن بحر الشام يشرف على أطول شيء على الأرض يستأذن الله تعالى في كل يوم وليلة في أن يفيض على الأرض ويغرقها ،فكيف أحمل الجنود في هذا البحر الكافر المستصعب وتالله لمسلم أحب إلي مما حوته الروم فإياك أن تعرض لي ،وقد تقدمت إليك ،وقد علمت مالقي العلاء مني ولم أتقدم إليه في مثل ذلك"[٣]. ومع ذلك إلا أنه حدث في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) عدد من الحملات وهي:

١- حملة عرفجة بن هرثمة البارقي الأزدي:

كان الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ)،قد رفض أن يفكر في أي عمل بحري سواء ضد الفرس في (الخليج العربي)، أو (البحر المتوسط)،لا لأنه خشي البحر وأخطاره فقط، بل لأنه تبين له عدم خبرة العرب في المعارك البحرية إذا ما قورنوا بالفرس أو البيزنطيين[٤]، ولعل هذا كان السبب في فشل الحملة التي وجهها العلاء بن الحضرمي[٥]، والي البحرين، إذ روى المقريزي[٦]، أن العلاء بن

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك،ج٢،ص٦٠٠.

(٢) ابن خلدون ،المقدمة ،ج٢،ص٣٣؛ المقريزي ،الخطط والآثار،ج٢،ص١٩٠.

(٣) الطبري ،تاريخ الرسل والملوك،ج٢،ص٦٠١.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٧٤؛ المقريزي ،الخطط والآثار،ج٣،ص٣٣٣.

(٥) العلاء بن الحضرمي: هو عبد الله بن عباد بن أكبر بن ربيعة بن مالك بن الصدف ،وقيل عبدالله بن عمار ،وقيل عبد الله بن ضمار، ويقال أنه خاض البحر بكلمات ودعا بها ، صحابي ومن كتبة الوحي، بعث سفيراً وأميراً ومجاهداً الى البحرين حمل رسالة الإسلام إلى المنذر بن ساوى في سنة ٨هـ/ ٦٣٩م، وبعد وفاة المنذر أصبح والي البحرين، وهو من حضرموت وحليفاً بني أمية، توفي سنة ٢١هـ/ ٦٤١م، ابن الأثير، أسد الغابة،ج٣،ص٥٧١؛ ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية، ط١، دار الفكر، القاهرة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ج١، ص ١٢٥.

(٦) الخطط والآثار،ج٢،ص١٧٩.

الحضرمي أول من قام بحملة في البحر سنة ١٧هـ/٦٣٨م، وكانت موجهة ضد الفرس بقيادة أمير البحر عرفجة بن هرثمة البارقي الأزدي[١]، وهو من سادة قبيلة بجيلة الأزدية ، خرجت تلك الحملة من إقليم البحرين باتجاه احدى الجزر القريبة من البحرين ؛ وذلك لتأمين الفتح الإسلامي في العراق وبلاد فارس، والسعي لقطع الإمدادات العسكرية عن الفرس، والعمل على نشر نفوذ المسلمين في الخليج العربي،إذ أشار البلاذري[٢] إلى ذلك بقوله: قام العلاء بن الحضرمي (ﷺ) وهو عامل عمر بن الخطاب(ﷺ) على البحر بتوجيه عرفجة بن هرثمة البارقي الأزدي، ففتح جزيرة في البحر مما يلي بلاد فارس، و ذكر ابن خلدون[٣]، أن الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) لما بلغه غزو عرفجة بن هرثمة الأزدي في البحر أنكر عليه ذلك وعنفه لركوبه البحر، وبينما كان العرب المسلمون يتقدمون براً نحو العراق وفارس، أعد العلاء بن الحضرمي (ﷺ) والي البحرين، ومعه زعماء قبيلة عبد القيس ، حملة من البحرين وعبروا الخليج إلى بلاد فارس دون أذن من الخليفة عمر(ﷺ)، وكان العلاء (ﷺ) يرمي إلى أن يدعم قوة المسلمين، ويأمل أن يقوم بعمل أجَّل من الذي قام به سعد بن أبي وقاص(ﷺ)، الذي فتح بلاد فارس[٤]، وقد ذكر الطبري[٥] عن تلك الحملة في أحداث سنة ١٧هـ/٦٣٨م ، أن السبب الذي دفع العلاء ومن معه إلى ركوب البحر هو الوصول إلى بلاد فارس ،والفوز بفضل السبق في فتحها بحراً ، فضلاً عن ذلك فقد كان العلاء كما قدم سعد بن أبي وقاص(ﷺ) الذي هزم الفرس في القادسية سنة ١٥هـ/٦٣٦م، يحاول أن يقدم بما هو أعظم وأفضل، في سبيل نشر الدعوة الإسلامية وتثبيتها ،والتصدي لأعدائها من الفرس[٦].

---

(١) عرفجة بن هرثمة: هو عرفجة بن هرثمة بن عبد العزى بن زهير بن ثعلبة بن عمرو، هو صحابي وقائد عسكري شهد الفتوحات الإسلامية، توفي سنة ٣٤هـ/ ٦٥٤م. ابن حزم ،أبو محمد علي بن أحمد (ت٤٥٦ هـ /١٠٦٣م)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: لجنة العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، ج١، ص٣٦٧؛ ابن الأثير ،أسد الغابة ، ج٤، ص٢٢.

(٢) فتوح البلدان ، ص٨٨.

(٣) العبر ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي لشأن الأكبر ، تحقيق: خليل شحادة، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م، ج٢، ص٥٤٨.

(٤) ابن أعثم ،أبو أحمد الكوفي (ت٣١٤هـ / ٩٢٦م)، الفتوح، ط١، دار الندوة الجديدة، بيروت ، د.ت، ج٢، ص٣٤١.

(٥) تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٤٧٦.

(٦) الواقدي، فتوح الشام، ج٢، ص١٧٧؛ ابن الأثير ،الكامل في التاريخ، ج٢، ص٣٦١.

كان العلاء قد عبر بمن معه الخليج العربي ونزل برجاله على ساحل بلاد فارس، وتقدم نحو اصطخر[١] وعندما علم الفرس بهذه الحملة نصبوا كميناً لها ،ونجحوا في قطع الطريق بين المسلمين وسفنهم، فوجد العلاء وقائد أسطوله هرثمة بن عرفجة أنفسهم مقطوعين من البحر ،وأنهكهم الفرس لدرجة أنهم اضطروا إلى ترك سفنهم ،ولم يتمكن هذا الجيش من الانسحاب إلى العراق إلا بعد أن أرسل إليه الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) نجدة[٢]، وأدى فشل الحملة إلى غضب الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) الذي عزل العلاء بن الحضرمي(ﷺ) من منصبه ،ومنع المسلمون من ركوب البحر خوفاً على حياتهم ،لذلك توقف النشاط البحري للمسلمين في تلك المدة[٣].

٢- حملة الحكم بن أبي العاص الثقفي:

بعد مدة من حملة عرفجة بن هرثمة عادت الحملات البحرية مرة أخرى في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) سنة (١٩هـ/ ٦٤٠م)، وفي هذه المرة بإذنه وعلمه، عندما وليّ عثمان بن أبي العاص (ﷺ)، ولاية البحرين وعمان ،فقد أورد البلاذري[٤]،" لما وليّ عمر عثمان بن أبي العاص الثقفي البحرين وعمان، فدوخهما واتسعت له طاعة أهلهما ،ووجه أخاه الحكم بن العاص[٥] في البحر إلى فارس في جيش عظيم،من عبد القيس والأزد، وتميم، وبني ناجية وغيرهم ،ففتح جزيرة أبركاوان[٦]،

(١) اصطخر: بلدة بفارس من الاقليم الثالث ، وهي من أعيان حصون فارس ومدنها وكورها، وقيل: كان أول من أنشأها اصطخر بن طهمورث ملك الفرس، وطهمورث عند الفرس بمنزلة أدم. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٢١١؛ الزبيدي ، تاج العروس،ج٢٧،ص٤٥٤.

(٢) عن حملة العلاء ينظر: البلاذري ،فتوح البلدان،ص٢٨٦؛ الطبري ،تاريخ الرسل والملوك،ج٢،ص٤٩٨؛ابن الأثير، الكامل في التاريخ ،ج٢،ص٤٢٥؛ابن خلدون،العبر،ج٢،ص٣٢.

(٣) فهمي ،البحرية الإسلامية ،ص٢٨.

(٤) فتوح البلدان،ص٥٤٤.

(٥) الحكم بن أبي العاص : عبد الله بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميةَ بن عبد شمس بن عبد مناف بن بشر بن دهمان الثقفي، كني أبا عثمان، وقيل عبد الملك وهو أخو عثمان بن أبي العاص الثقفي (ﷺ) ، أسلم يوم فتح مكة، كان أميراً على البحرين، وافتتح الحكم فتوحاً كثيرة بالعراق سنة (١٩ او ٢٠ هـ/ ٦٤١٠ او ٦٤١م) وله فتوح وغزوات في فارس والهند، توفي في خلافة عثمان بن عفان (ﷺ)، ابن الأثير، أسد الغابة،ج١،ص٥١٥.

(٦) ابر كاوان :جزيرة في البحر بينها وبين سيراف مسيرة مائة وخمسون فرسخاً ،وفيها قلاع شتى ،وفيها أجوان كثيرة ومستقي ومحتطب كثير ،وفيها معدن الحديد ،طولها اثنا عشر فرسخاً ،وبينها وبين ساحل بحر فارس فرسخان ، الحميري معجم البلدان، ج٢،ص٩.

ثم سار إلى توج[١]، وهي من أرض أردشير خرة ومعناها بهاء أردشير ...". كذلك أرسل عثمان بن أبي العاص الثقفي حملات بحرية من عمان إلى المحيط الهندي لمحاربة القراصنة الهنود الذين كانوا يقطعون الطريق على السفن التجارية الإسلامية، ويهاجمون السواحل ،وقد أشار البلاذري[٢] إلى نجاح هذه الحملات البحرية في المهام التي كلفت بها ،ورجوعها سالمة، وفي رواية أن عثمان بن أبي العاص نفسه قطع البحر إلى فارس، فنزل توج ففتحها، وبني بها المساجد، وجعلها دار للمسلمين وأسكنها عبد القيس .

٣- حملة علقمة بن مجزر:

أرسل الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) سنة ٢٠هـ / ٦٤١م ، علقمة بن مجزر[٣] في حملة بحرية عبر البحر الأحمر، إلى الحبشة ليدافع عن المسلمين ،ويدفع عنهم الهجمات البحرية على الشاطئ الحبشي ، ولكن هذه العملية منيت بخسارة كبيرة ، وغرقت السفن كلها[٤]، وبسبب هذه الكوارث المتتابعة صمم الخليفة عمر(ﷺ) ألا يعيد هذه النزول البحرية بل أقلع نهائياً عن أي عمل بحري ،قائلاً :"لا يسألني الله عز وجل عن ركوب المسلمين البحر أبداً "، وروي عن ابنه عبدالله بن عمر (ﷺ) أنه قال: "لولا آية في كتاب الله تعالى لعلوت راكب البحر بالدرة"[٥].

وعندما بدأ الخليفة عمر (ﷺ) في اختيار حضارة رفض اختيار الإسكندرية والتي خدمت البطالمة والرومان والبيزنطيين ،وكانت الإسكندرية بالنسبة لأباطرة روما والقسطنطينية عاصمة لها ميزة واضحة؛ لأنهم يملكون الطريق البحري، وكانت الإسكندرية معرضة للهجمات بحراً، ولذلك فعندما

---

(١) توج: مدينة بفارس شديدة الحر؛ لأنها غور من الأرض ذات نخل ،ويعمل أهلها بصناعة النسيج المطرز بالذهب ،وهي مدينة صغيرة، واسمها كبير ،افتتحها المسلمون أيام الخليفة عمر (ﷺ) لما أراد غزو فارس ،ياقوت الحموي، معجم البلدان ،ج٢،ص ٤٧٦.

(٢) فتوح البلدان، ص٦-٧.

(٣) علقمة بن مجزر: بن الأعور بن جعدة بن معاذ بن عتوارة بن عمرو بن مدلج، أحد أمراء الرسول محمد (ﷺ) على بعض السرايا ، بعث في سنة ٩هـ/ ٦٣١م إلى مراكب الحبشة، توفي سنة ٦١هـ/ ٦٨٠م، وقيل سنة ٦٣هـ/ ٦٨٢م. ابن الاثير، اسد الغابة، ج٤، ص ٧٩.

(٤) البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ج١١، ص١٣٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٣٨٧.

(٥) المقريزي، الخطط والآثار ،ج٢،ص٣٣٢.

خطط عمرو بن العاص ليجعل منها مقراً لحكمه، ورفض الخليفة عمر بن الخطاب(ﷺ) ذلك و كتب إليه "إني لا أحب أن تنزل بالمسلمين منزلاً يحول الماء بيني وبينهم في شتاء أو صيف"(١)، وحتى عندما فضل بعضاً من رجاله أن تكون الجيزة(٢)، رفض قائلاً: "لا تجعلوا بيني وبينكم ماء ،متى أردت أن أركب إليكم راحلتي حتى أقدم عليكم قدمت"(٣)، ومع ذلك فقد بدأت الملاحة النهرية للمسلمين في عهد أمير المؤمنين عمر(ﷺ)، وذلك بأمرة عمرو بن العاص (ﷺ)، بناء سفن لتحمل الغلال ومحصولات أخرى إلى المدينة المنورة، قائلاً :"إن الله قد فتح على المسلمين مصر وهي كثيرة الخير والطعام ،وقد ألقي في روعي لما أحببتم الرفق بأهل الحرمين والتوسعة عليهم حين فتح الله عليهم مصر ،وجعلها قوة لهم ،ولجميع المسلمين أن أحفر خليجاً من نيلها حتى يسيل في البحر الأحمر فهو أسهل لما يزيد من حمل الطعام إلى المدينة ومكة ،فإن حمله على الظهر يبدده ولا نبلغ منه ما نريد"(٤)، وأرسل الخليفة عمر بن الخطاب(ﷺ) إلى عمرو بن العاص(ﷺ) بعد أن تلكأ في تنفيذ ما أمره به، كتب إليه عمر بن الخطاب(ﷺ) :إلى العاص بن العاص فقد بلغني كتابك ،وأيم الله لتفعلن ... أو لا بعثن من يفعل ذلك"(٥)، حتى أن عمرو بن العاص دله على الخليج رجل من قبط مصر وعفاه عمرو من الضرائب مكافأة له ،وبعد أشهر قليلة من العمل المتواصل حفرت القناة والتي سميت "خليج أمير المؤمنين"(٦)، وقبل استشهاد الخليفة عمر (ﷺ) أفرغت عشرون سفينة محملة بمنتجات مصر، حمولتها في بلاد العرب ،وذهب الخليفة بنفسه إلى ميناء الجار "ميناء المدينة" ليرحب بالسفن عند وصولها(٧).

---

(١) ابن عبد الحكم ،فتوح مصر والمغرب،ص٩١.

(٢) الجيزة: قرية كبيرة جميلة البنيان على نهر النيل في مصر، بها كان يوم أحد سوق من الأسواق العظيمة يجتمع إليها التجار وبها مسجد ويتصل بهذا المسجد المقياس الذي تعد فيه زيادة النيل عند فيضه. الحميري، الروض المعطار، ج١، ص ١٨٣.

(٣) السيوطي، حسن المحاضرة تاريخ أخبار مصر والقاهرة ،تحقيق :محمد أبو الفضل،ط١،دار الكتب العربية ،القاهرة، ١٣٨٧هـ /١٩٦٧م ، ج١،ص٨١.

(٤) ابن عبد الحكم ،فتوح مصر،ص١٦٣؛المقريزي ،الخطط والآثار، ج٣،ص٢٥٣.

(٥) ابن عبد الحكم، فتوح مصر ،ص١٩٠.

(٦) ولم تكن هذه القناة سوى فتح طريق مائي قديم بين النيل والبحر الأحمر، وكان يعرف أيام الفراعنة بقناة زورستريس. حسن ، سليم، مصر الفرعونية ، الهيئة المصرية العامة الكتب،القاهرة،١٤٠٢هـ /١٩٨١ م،ج٣،ص٤٣٧.

(٧) المقريزي، الخطط والآثار،ج١،ص١٣٥.

وأخذت مصر تمد الحجاز بالغلال ،وذكر المقدسي[١]، أن مصر كانت تصدر من الغلال ما لا يقل عن حمولة ثلاثة آلاف جمل اسبوعياً إلى بلاد الحجاز "،وروي أن عمرو بن العاص فكر في ربط البحر الأحمر والمتوسط بواسطة قناة تبدأ من بحيرة التمساح[٢]، حتى يمكن عبور البرزخ بطريق مائي كما هو الآن فيما يعرف بقناة السويس، ولكن الخليفة عمر (ﷺ) رفض هذا المشروع خشية أن يتمكن الروم البيزنطيون من الإبحار داخل البحر الأحمر، ويمنعون حج الناس لبيت الله الحرام أو يعتدون على قبر رسول الله (ﷺ)[٣].

٤- دور معاوية بن أبي سفيان(ﷺ) في خلافة عمر بن الخطاب (ﷺ):

يرجع الفضل الأعظم في إنشاء الأسطول العربي الإسلامي إلى معاوية بن أبي سفيان (ﷺ) عامل الشام في خلافة الخليفتين عمر وعثمان (ﷺ) ، والذي فطن إلى أهمية الأساطيل في الدفاع عن السواحل ،إذ كانت مدينة قيسارية استعصت على الفتح في ولاية أخيه يزيد بن أبي سفيان ابن الحكم، كانت تتلقى الإمدادات من البحر، وذكر البلاذري[٤]على أن معاوية هو الذي تولى فتحها قسراً في شوال سنة١٩هـ /٦٤٠م، وقيل سنة ٢٠هـ/٦٤١م[٥]، بعد أن كان قد يئس من ذلك .

أما مدينة طرابلس فقد استعصت على المسلمين في ولاية يزيد بن أبي سفيان ،لمنعتها تحصيناتها ،وكان فتحها يستلزم حصاراً برياً وبحرياً قد يطول كما حدث في حصار قيسارية ،والذي دام ما يقرب من سبع سنوات (من جمادى الأول سنة ١٣هـ/٦٣٤م إلى شوال سنة ٢٠هـ/٦٤١م)[٦]، فاضطر يزيد إلى إرجاء فتح طرابلس حتى تتوفر الإمكانيات[٧].

---

(١) أحسن التقاسيم،ص١١٥.

(٢) بحيرة التمساح: واحدة من أربع بحيرات مائية مالحة تمر بهم قناة السويس في شمال شرق مصر ،إسماعيل ،سرهنك، حقائق الأخبار عن دول البحار،ط١،بولاق،القاهرة ،١٢١٤هـ/١٧٩٩م،ج٢،ص٨٥.

(٣) المسعودي، مروج الذهب ،ج٤،ص٩٩؛فهمي ،تاريخ البحرية،ص٢٨٢.

(٤) فتوح البلدان،ص١٦٩.

(٥) البلاذري ،فتوح البلدان ،ص١٦٩؛ البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص ٧٦١.

(٦) ابن أعثم الكوفي، الفتوح،ج٣،ص٣٦٦.

(٧) سالم، السيد عبد العزيز، طرابلس الشام في التاريخ،الإسكندرية،١٣٨٣هـ /١٩٦٢م،ص٣٢.

ولما توفي يزيد بن أبي سفيان في طاعون عمواس، وأصبحت سنة ١٨هـ/٦١٩م ولاية الشام إلى أخيه معاوية بن أبي سفيان (ﷺ) والذي كان يشاركه في فتوحاته لمدن الساحل، رأى معاوية الحالة السيئة التي وصلت إليها تحصينات المدن الساحلية ،فكتب إلى الخليفة عمر (ﷺ) يصف له حال هذه السواحل، ويقترح عليه إنشاء أسطول بحري للغزو في البحر ،فرد عليه الخليفة عمر (ﷺ) يأمره بترميم حصونها، وترتيب المقاتلة فيها، وإقامة الحرس على مناظرها ،واتخاذ المواعيد لها ولم يأذن له في غزو البحر(١).

وامتثل معاوية لما أمره به الخليفة عمر(ﷺ)، فحصن الثغور، وشحنها بالمقاتلة الذين يرابطون بها طوال فصل الصيف، ويتولون حراستها في المناظر والأبراج والمناور، وأقطع من ينزل بالسواحل من المسلمين القطائع(٢).

وعلى هذا النحو أصبحت سواحل الشام سلسلة متصلة من التحصينات التي ترابط فيها حاميات مرابطة ،تنقسم كل منها إلى عرافات أي مجموعات ،وكل عرافة تتألف من مائة رجل(٣)، وكانت هذه التحصينات مزودة في أعلاها بمواكيد يشعلها الحراس، والقائمون بالدفاع عن الساحل عند اقتراب سفن الأعداء منه ليلاً(٤).

كما أهتم الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) بسواحل مصر ،ولاسيما ثغر الإسكندرية ،فكان يبعث في كل سنة غازية من أهل المدينة المنورة ترابط بالإسكندرية(٥)، وقسم عمرو بن العاص أجناده في مصر إلى قسمين متساويين: قسم أبقاه معه في الفسطاط ،والقسم الآخر قسمه إلى جزئيين، أحدهما لرباط الإسكندرية وحدها ، والنصف الثاني لسائر السواحل المصرية ،ووكل عمرو بحراسة كوم الدكة قبلي الإسكندرية إلى قبيلة لخم اليمنية ، وعهد عمرو إلى قبائل يمنية بالذات من لخم وجذام

(١) البلاذري، فتوح البلدان،ص١٧٠.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان،ص١٧٢.

(٣) الطبري ،تاريخ الرسل والملوك،ج٤،ص١٤٦.

(٤) ابن كثير ،البداية والنهاية،ج٧،ص٣٤٩.

(٥) ابن عبد الحكم ،فتوح مصر والمغرب،ص٢٥٥؛السيوطي،حسن المحاضرة،ج١،ص٣٩.

وكندة ، والأزد والحضارمة ، وخزاعة والمزاغنة بسكنى الإسكندرية والرباط فيها بقصد حراستها وحماية مبانيها[1]، ومع كل ذلك فلم يشكل أسطول بحري.

(١) سالم ،تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي،ص٦٤.

المبحث الثاني: أمراء البحر في عهد الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) (٢٣-٣٥هـ/٦٤٣-٦٥٥م).

شهدت خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، بداية تأسيس الأسطول العربي الإسلامي على يد والي الشام معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه)، كما شهدت بدايات انتصارات المسلمين البحرية على الروم البيزنطيين في أكثر من ميناء وموقعة، و فيما يأتي أشهر أمراء البحر في هذا العهد:

١- معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه).

لما تولى الخلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) كتب إليه معاوية بن أبي سفيان(رضي الله عنه) يستأذنه في غزو جزيرة قبرص، و هو أنذك كان والي على الشام ويعلمه قربها وسهولة الأمر فيها ، فنهاه الخليفة عثمان(رضي الله عنه) كما نهاه الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) من قبل[١]، ويأمره بتحصين السواحل وشحنها بالمرابطين، وإقطاع من ينزله إياها القطائع ففعل[٢].

وفي بداية خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) كان الروم البيزنطيون قد تغلبوا على بعض سواحل الشام فتصدى لهم معاوية وقصدهم حتى طردهم ، ثم رممها وشحنها بالمقاتلة ومنحهم القطائع[٣].

وفي سنة٢٥هـ/٦٤٥م، عاود الروم محاولتهم الاستيلاء على مدينة الإسكندرية ، وكانت هذه الحادثة سبباً في تكوين وتأسيس أول أسطول عربي إسلامي[٤]، فقد كان نتيجة لفقد البيزنطيين لمصر وعدم نسيانهم مرارة العار الذي شعروا به من جراء ذلك نشطوا للعمل من أجل استرداد مصر[٥]، من هنا فقد أمر الإمبراطور قنسطانز الثاني ،والذي عرف بقسطنطين الملتحي[٦]، إمبراطور الدولة البيزنطية بتسيير حملة بحرية مكونة من ثلا ثمائة سفينة ، وأن يحاط هذا العمل بالسرية التامة

(١) البلاذري، فتوح البلدان ،ص١٥٢.
(٢) البلاذري، فتوح البلدان ،ص١٥٣.
(٣) الطبري ،تاريخ الرسل والملوك،ج٢،ص٥١٢.
(٤) العبادي، تاريخ البحرية الاسلامية،ص١٦.
(٥) فهمي ،البحرية الإسلامية،ص٢٨١.
(٦) العريني ،الدولة البيزنطية ،دار الفكر العربي،القاهرة،١٩٧١،ص٢٦٨.

لاسترجاع الإسكندرية من المسلمين، بقيادة قائده البحري مانويل وظهر هذا الأسطول فجأة خارج ميناء الإسكندرية أمام المسلمين[١].

وأصبحت الإسكندرية مرة أخرى في أيدي البيزنطيين، بعد أن ذبحوا حاميتها من المسلمين ،وبذلك عادت الإسكندرية قاعدة لانطلاق الهجمات البيزنطية على المسلمين في مصر، ولم يقتصر استيلاء مانويل على الإسكندرية فحسب، بل توسع في كل بقاع الدلتا القريبة منها دون مقاومة، ونهب المدن والقرى[٢]، ومن الثابت أن عمرو لم يكن على رأس الإدارة في مصر بل استدعى إلى الإسكندرية[٣]؛ لأن عبد الله بن سعد بن أبي السرح[٤] خليفته، كان عاجزاً عن الدفاع عنها، وللمرة الثانية تألق نجم عمرو، من خلال ذكاؤه الحربي، فقد فتح الإسكندرية وهدم أسوارها المنيعة[٥]، وهلك الجزء الأكبر من الجيش البيزنطي، ومعهم قائدهم "مانويل " نفسه، ولم يتمكن من النجاة والوصول إلى السفن إلا عدد قليل من الجيش البيزنطي ، واسترد المسلمون الإسكندرية ،وسحقت القوة البيزنطية ، وأحرق عدداً كبيراً من سفنهم البيزنطية، وهكذا فشلت محاولة البيزنطيين استرداد الإسكندرية استراداً دائماً[٦]، وكانت تلك الحادثة هي بداية التفكير في بناء أول أسطول عربي إسلامي .

جعل نجاح المسلمين في رد البيزنطيين عن الإسكندرية يوقنون أنهم من غير أسطول قوي لهم لن يتمكنوا من الاحتفاظ بالأقاليم التي استولوا عليها، وكان من نتيجة فتوحاتهم في شاطئ البحر المتوسط ويقنهم بانهم سوف يواجهون مشاكل بحرية ،وبمجرد أن فتحوا المدن الفينيقية القديمة ، واستولوا على الموانئ المصرية والشامية، استشعروا أهمية القوة البحرية الحيوية القصوى للإمبراطورية

(١) ابن عبد الحكم، فتوح مصروالمغرب،ص١٧٥؛ابن خلدون،العبر،ج٢،ص١٢٧.

(٢) ابن عبد الحكم ،فتوح مصر والمغرب،ص١٧٥.

(٣) المقريزي، الخطط والآثار،ج١،ص١٦٠.

(٤) عبد الله بن سعد بن أبي السرح: الحارث بين حبيب بن حذيفة بن لؤي القريشي العامري، يكنى أبا يحيى وهو أخو عثمان بن عفان (ﷺ) من الرضاعة، أسلم قبل الفتح ثم أرتد عن الإسلام وجدد الإسلام بعد فتح، وفي خلافة عثمان أصبح والي على مصر، وهو فاتح أفريقية وهزم الروم في معركة ذات الصواري، توفي سنة (٣٦ أو ٣٧هـ/ ٦٥٦ أو ٦٥٧م). ابن الأثير، أسد الغابة، ج٣، ص ١٥٥.

(٥) ابن الحكم ،فتوح مصر والمغرب،ص١٧٥.

(٦) فهمي ،البحرية الإسلامية،ص٢٨٢.

البيزنطية خصمهم الأول[١]، وعقدوا النية على أن يزودوا أنفسهم بنفس السلاح الذي استخدمه عدوهم[٢].

وهذا فان عهدالخليفة عثمان بن عفان (ﷺ)هو البداية الحقيقة لميلاد القوة البحرية الإسلامية، وأن معاوية بن أبي سفيان (ﷺ) أول من دعا المسلمين أن يقوموا بأنشطة بحرية[٣].

وكما سبق ذكره أن معاوية كان قد أستأذن الخليفة عمر(ﷺ) أن يقود حملة بحرية، ولكن الخليفة أبى عليه ذلك حرصاً على أرواح المسلمين ، وألا يتعدى الأمر تحصين المدن الساحلية[٤]، ولكن معاوية ألح على الخليفة عثمان(ﷺ) حتى سمح له بتنفيذ مشروع البحرية، وأمره بالدأب على تعزيز الحاميات، حتى تكون على استعداد في المساحات الساحلية[٥]، إلا أنه اشترط عليه ألا يحمل إنسان على الخدمة البحرية على كره منه ،بل يعطي له مطلق الحرية في الاختيار، إذ أن أساس العمل بالبحرية كان قائماً على التطوع[٦].

واستجابة لأمر الخليفة استصحب معاوية امرأته، إذ قال له : "فإن ركبت البحر ومعك امرأتك، فاركبه مأذوناً لك ، وإلا فلا ،ولتنتخب الناس، ولا تقرع بينهم، وخيرهم فمن اختار الغزو طائعاً فاحمله وأعنه"[٧]، ففعل وحمل معه زوجته عاتكه بنت قرظة بنت عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف وجماعة من الصحابة[٨].

وبهذا الأذن عزم معاوية على السير في تنفيذ خطته في إعداد أسطول بحري حتى يتهيأ له فتح مدن طرابلس المنيعة من جهة، ويعزز الجزر المواجهة لساحل الشام كأرواد وقبرص ورودس، ويتخذها مراكز أمامية لتوجيه الغزوات البحرية إلى بلاد البيزنطيين من جهة ثانية، فأحضر الأخشاب من غابات الأرز بلبنان، وأرسلها في السفن إلى دار الصناعة بالإسكندرية التي لم يكن في مصر

(١) فهمي ،البحرية الإسلامية،ص٢٨٢،
(٢) سالم، تاريخ الإسكندرية،ص٣٤.
(٣) فهمي، البحرية الإسلامية،ص٢٨٢.
(٤) الطبري ،تاريخ الرسل والملوك،ج٢،ص٦٠٢.
(٥) ابن خلدون،المقدمة،ص٣٣٣.
(٦) المقريزي، الخطط والآثار،ج١،ص١٩٠.
(٧) البلاذري، فتوح البلدان ،ص١٨٩.
(٨) الطبري، تاريخ الرسل والملوك،ج٢،ص٦٢٣.

سواها حتى ذلك الحين، فقد أورد البلاذري[١] قوله: "وكانت الصناعة بمصر فقط "، ويبدو أن دار الصناعة بعكا كانت معطلة منذ الفتح ، ولهذا نشطت دار الصناعة بالإسكندرية في إنشاء سفن الأسطول المصري والشامي[٢]، وقد اعتمد العرب على خبرة المشتغلين في البحر من أقباط مصر والذين شاركوا مشاركة فعالة في المعارك البحرية الأولى[٣]، واستعان معاوية بجماعة من الملاحين العرب من الأزد الغساسنة لإدارة العمليات البحرية[٤].

ومن أهم نشاطاته البحرية كان فتح أرواد الشامية سنة ٢٩هـ / ٦٥٠م وتقع هذه الجزيرة أمام مدينة انطروسوس قرب السواحل الشامية[٥]، ويبدو أنها الجزيرة التي قصدها معاوية مع الخليفة عمر (ﷺ) وعندما قال : "أن قرية من قرى حمص ليسمع أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم"[٦].

بعد عودة معاوية إلى شاطئ سوريا بعد غزوته لقبرص، وجه اهتمامه الى أرواد ، ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل، إلا أنه أعاد الكرة في سنة ٢٩هـ/ ٦٥٠م[٧]، وانتصر انتصاراً ساحقاً واستولى عليها[٨] وكانت أرواد مدينة تجارية مزدهرة يحميها موقعها المنعزل[٩].

٢- سفيان بن مجيب الأزدي:

بعد أن أتم معاوية بن أبي سفيان بناء وإعداد عدد من السفن البحرية ،أخذ يفكر جدياً في فتح طرابلس هي ثلاثة مدن مجتمعة والتي كان يعدها كالشوكة القائمة في جانبه ، وذكر البلاذري[١٠] أنه

(١) فتوح البلدان، ص١٤٠.
(٢) سالم، تاريخ الإسكندرية،ص١١١.
(٣) السيوطي ،حسن المحاضرة،ج١،ص٥٢.
(٤) سالم ،تاريخ البحرية الاسلامية،ص١٨.
(٥) النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)، نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط١، المكتبة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، ج ٣٢، ص ٢١.
(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٤٦٨.
(٧) فهمي، البحرية الإسلامية، ص ٢٨٤.
(٨) العبادي، تاريخ البحرية في مصر والشام، ص ٢٢.
(٩) فهمي، البحرية الإسلامية، ص ٢٨٤.
(١٠) فتوح البلدان ،ص١٥٢.

وجه لهذا الغرض القائد سفيان بن مجيب الأزدي[١] ، الذي بنى في مرج على خمسة أميال منها حصناً سمي حصن سفيان، وقطع المادة عن أهلها من البحر وغيره ،وحاصرهم ، ولما أشتد عليهم الحصار تمكنوا من الاتصال بإمبراطور الروم وطالبوه بإرسال عدد من المراكب تحملهم ، فجاءتهم هذه المراكب فركبوها ليلاً، وفروا من دون أن يشعر بهم المسلمون المحاصرون لهم وهذا دليل على أن السفن الإسلامية التي كانت تحاصر طرابلس، من جهة البحر كانت بأعداد قليلة إذ لم تستطيع ملاصقة مراكب البيزنطيين التي أنقذت المحاصرين في طرابلس وهناك أي أضربات السفن الإسلامية كانت مرابطة على الساحل ،" فلما أصبح سفيان وكان يبيت كل ليلة في حصنه ويحصن المسلمين فيه ، ثم يغدو على العدو وجد الحصن الذي كانوا فيه خالياً فدخله"[٢] ، ولا يمكننا أن نفسر وصول السفن البيزنطية إلي ميناء طرابلس في غفلة من المسلمين إلا بقلة عدد السفن العربية القائمة بالحصار[٣]، ومهارة البحارة البيزنطيين في التسلل إلى الميناء، وحمل من شاءوا من أهله سنة ٢٦هـ/٦٤٦م،أي بعد الفتح الثاني للإسكندرية بمدة وجيزة ، وشجع فتح طرابلس معاوية بن أبي سفيان على الخروج لفتح قبرص[٤]، إذ أصبحت بلاد الشام كلها تحت إمرته ،وكرس بيت المال والجنود والسفن لهذه الدولة القوية لتوسيع دولة الإسلام، وتوسيع كل العمليات البحرية سواء كانت مصر التي كان والياً عليها عبد الله بن أبي سرح[٥]، أو الشام التي كان هو واليها ،موجهة ضد البيزنطيين، وكانت الحروب تتجدد كل صيف يعززها حّملات بحرية ،ونجم عنها أن امتدت الفتوحات الإسلامية، وقويت حدودها ،وطالت شواطئها، وأدت البحرية أكثر من مرة دوراً مهماً في تاريخ الإسلام وفي تنظيم وسائل الدفاع والهجوم التي قام بها الخلفاء[٦].

(١) سفيان بين مجيب الازدي: صحابي جليل وأحد أمراء الفتح الإسلامي، في عهد الخليفة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان (ﷺ)، توفي سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م. ابن الأثير، أسد الغابة، ج٢، ص ٢٥٥.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان ،ص١٢٩؛ ابن كثير، البداية النهاية، ج١٧، ص ٦١٧.

(٣) سالم، تاريخ البحرية الإسلامية، ص١٩.

(٤) البلاذري ،فتوح البلدان ،ص١٢٩

(٥) ابن عبد الحكم ،فتوح مصر و المغرب،ص٣٧.

(٦) فهمي، البحرية الإسلامية، ص٢٨٣,٢٨٢.

٣- عبدالله بن قيس الجاسي :

تعد قبرص[١]، من أولى الجزر التي تعرضت للعمليات البحرية العربية الإسلامية ،وهي تقع في البحر المتوسط قرب السواحل الشامية[٢]، وذكر قدامة بن جعفر[٣]، بأنها اتخذت من قبل الاسطول البيزنطي قاعدة لشن الهجمات البحرية على السواحل الشامية منذ خلافة عثمان بن عفان(ﷺ)، لذا فقد اهتم العرب المسلمون بفتحها وجهزت حملة بحرية سنة ٢٨هـ/ ٦٤٨م بقيادة عبد الله بن قيس .

كان أول عمل بحري للقوة البحرية الجديدة موجهاً ضد قبرص، ويتضح السبب الذي دعا معاوية إلى الهجوم على الجزيرة ، أنه كل من أراد أن يصبح قوة يعتد بها في الشرق أن يستولي على هذه الجزيرة والأهمية موقعهـــا بين جزء البحر المتوسـط[٤].

في سنـــة ٢٨هـ/٦٤٨م[٥]. كان أسطول معاوية تحت إمرة عبدالله بن قيس الجاسي، كما أبحر والي مصر عبدالله بن سعد بن أبي السرح ،نحو هذه الجزيرة واستعان بملاحين من مصر ،فأصبحت حملة بحرية كبيرة بلغ عدد سفنها سبعمائة تقريباً من بلاد الشام ومصر[٦]، وكانت القيادة العامة لهذا الأسطول لمعاوية بن أبي سفيان الذي حمل معه زوجته فاختة بنت قرظة وعدد آخر من الصحابة الذين صحبتهم زوجاتهم ومن ضمنهم عبادة بن الصامت وزوجته أم حرام بنت ملحان الأنصارية[٧]،

---

(١) ورد لفظة قبرص في المصادر العربية الإسلامية (قبرس) ،الطبري ،تاريخ الرسل والملوك ،ج٢،ص٦٠٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج١،ص٢٣٢.

(٢) ابن كثير ،البداية والنهاية ،ج٧،ص١٥٣.

(٣) الخراج وصناعة الكتابة، ص٣٠٦.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان ، ص١٥٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٦٠٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٤٦٨؛ النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، ج١٩، ص ٤١٥.

(٥) اختلف المؤرخون في السنة التي غزا فيها معاوية قبرص ،ولكن أغلبهم يجمع على أنها سنة٢٨هـ /٦٤٩، خليفة بن خياط ،أبو عمرو العصفري (ت٢٤٠ هـ /٨٥٤م)، تاريخ خليفة ابن خياط، تحقيق: مصطفى نجيب فواز وحكمت كثلي فواز،ط١، دار الكتب العلمية،بيروت،١٤١٥هـ/١٩٩٥م ،ص١٦٠؛البلاذري ،فتوح البلدان،ص١٥٣،؛ فالطبري ،يعطيها تاريخين ٢٧هـ ،٢٨هـ /٦٤٧م،٦٤٩م ،ج٢،ص٦٠٠.

(٦) مختار ،عبدالمنعم، أضواء على معركة ذات الصواري ،مجلة المجمع العلمي العربي ،دمشق ، ١٣٨٥هـ ١٩٦٦م،العدد٤١،ص٣٢٨.

(٧)خليفة بن خياط ، تاريخ حليفة ابن خياط ،ص١٦٠.

وفتح المسلمون قبرص فتحاً عظيماً وغنموا منها مغانم كثيرة ، ولم يرد سوى عند البلاذري[١]، طريقة فتح قبرص فأورد أن معاوية صالحهم في أيامه صلحاً دائماً على سبعة آلاف دينار ،وعلى النصيحة للمسلمين وإنذارهم عدوهم من الروم ،وفتحت قبرص في أيدي المسلمين ،واقتسم المصريون والشاميون الغنائم، وكان الخراج الذي يدفع للبيزنطيين سبعة آلاف ومائتي قطعة من الذهب وطلب معاوية منهم مثل هذا القدر من المال ،ولم يعارض استمرا ر الدفع للبيزنطيين ،وهذا يدل على حسن معاملة معاوية لأهل قبرص[٢]، وأذعن أهل قبرص بالطاعة للمسلمين بعد أن بعث حاكمها يطلب الصلح ،فصالحه معاوية على جزية سنوية يؤديها له أهلها ،واشترط عليهم أن يلزموا موقفاً حيادياً في الصراع العربي الإسلامي البيزنطي ،وأن يبلغوا المسلمين بسير عدوهم من البيزنطيين[٣].

وفي غزوة قبرص الأولى تحقق للمسلمين أول نصر بحري كما قضوا على قاعدة بحرية بيزنطية قريبة جداً من شاطئ الشام ، وفيها سقطت الصحابية الجليلة أم حرام من على دابتها واستشهدت[٤]، وتحقق صدق الرسول (ﷺ) عندما بشرها بالشهادة في البحر [٥] .

وكما سبق القول كان أسطول معاوية تحت قيادة أمير البحر عبدالله بن قيس الجاسي حليف بني فزارة ،والذي "فغزا خمسين غزاة من بين شاتية وصائفة في البحر ،ولم يغرق فيه أحد ولم ينكب"[٦]، وأكد ابن الأثير[٧] هذا الخبر بقوله :أول من غزا البحر معاوية بن أبي سفيان ، زمان عثمان بن عفان(رضي الله عنه)، وأستعمل على البحر عبدالله بن قيس الجاسي حليف بني فزارة غزا خمسين غزوة من شاتية وصائفة .

(١) البلاذري ،فتوح البلدان ، ص١٥٥.
(٢) البلاذري ،فتوح البلدان ، ص١٥٥.
(٣) الطبري ،تاريخ الرسل والملوك ،ج١،ص٦٠٢.
(٤) البلاذري ،فتوح البلدان، ص١٥٣.
(٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص١٥٤.
(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١،ص٦٠١.
(٧) الكامل في التاريخ، ج٢، ص٤٧٠.

فقد جاء في رواية في مسند الإمام أحمد بن حنبل[١]، عن حيي بن عبدالله المعافري قال: "كنا في البحر وعلينا عبدالله بن قيس الفزاري ومعنا أبو أيوب الأنصاري ".

ومما تجدر الإشارة إليه أنه نظراً لأهمية وظيفة أمير البحر عند العرب المسلمين ،فقد كانت في تلك المدة مرتبطة ارتباطاً مباشراً بالخليفة أو الوالي ، لذا كان تعيين صاحبها يصدر من الخليفة ، وأحياناً من الوالي ،بعد أن يأذن الخليفة، ويستمد أمير البحر منهما السلطة اللازمة للقيام بمهامه وواجباته[٢]، فقد عين معاوية عبدالله بن قيس أميراً على أسطوله بعد أن استأذن الخليفة عثمان بن عفان (ﷺ)، وقد استمرت قيادة عبدالله بن قيس لأسطول بلاد الشام، قرابة ٢٨سنة، إذ تم تكليفه بهذه المهمة سنة ٢٨هـ/٦٤٨م ، وظل ينهض بها حتى وفاته في بلاد الروم سنة٥٦هـ /٦٧٦م[٣].

و حفظت لنا المصادر الإسلامية حادثة استشهاد عبدالله بن قيس في بلاد الروم، والتي تحدث عنها الطبري[٤]، فقال : خرج عبدالله بن قيس في قارب طليعة ، فانتهى إلى المرقى من أرض الروم، وجاء إليه أناس من هذا المكان يتسولون ،فتصدق عليهم فرجعت امرأة منهم إلى قريتها ، فقالت للرجال: هل أدلكم على مكان عبدالله بن قيس ،فساروا إليه، فهجموا عليه فقاتلوه وقاتلهم وحده فأصيب، وقيل لتلك المرأة بعد: بأي شيء عرفتيه قالت :بصدقته ، أعطى كما يعطي الملوك ولم يقبض قبض التجار .

ويبدو أن العرب استفادوا من هذه الغزوات والحملات الأولى، والتي كانت دافعاً لهم للمزيد من معرفة البحر والخوض في غماره ،فتعلموا تدريجياً شؤون القتال في البحر ،وأتقنوا صناعة السفن الحربية، بعد أن استعانوا في بنائها بأهل البحرين وفارس والشام ومصر ،واستخدموا في بنائها أنواعاً من الأخشاب ،كانت تجلب من غابات السواحل الأفريقية والهند وسورية ولبنان، والتي تتميز بجودة

(١) أبو عبد الله احمد بن الشيباني (ت ٢٤١هـ/٨٥٥م)، تحقيق: أبو المعاصي النوري، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٩هـ /١٩٩٨م،ج٥،ص٤١٢.

(٢) الشرقاوي ، مديحة محمد، أمراء البحر في عصر الدولة العربية ودورهم في النشاط البحري في البحر المتوسط (١٤-١٣٢هـ/ ٦٣٥-٧٤٩م) ،بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي ،العدد ١٥٤،القاهرة،٢٠٠٢م،ص١٠١.

(٣) ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن (ت ٥٧١هـ /١١٧٥م)، تاريخ دمشق، تحقيق: سكينة الشهابي، دمشق ، ١٩٨٦م، ج٣٨، ص١٨.

(٤) تاريخ الرسل والملوك ،ج٤،ص٢٦١.

فائقة، والمقاومة للمياه المالحة ولمدة طويلة ،كما أنهم عرفوا الطرق البحرية ،واستخدموا في حملاتهم العديد من الأسلحة المستخدمة في الحروب البرية[١].

أشار بن خلدون [٢]، إلى ذلك فقال " فلما استقر الملك للعرب ،وشمخ سلطانهم ،وصارت أمم العجم خولاً لهم، وتحت أيديهم وتقرب كل ذي صنعة اليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من النواتية (الملاحون في البحر) في حاجاتهم البحرية أمماً ،وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته، استحدثوا بصراء بها فشرعوا للجهاد فيه ، وأنشأوا السفن فيه والشواتي ،وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح ،وأصدوها بالعساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر، واختصروا بذلك من ممالكهم وثغورهم ما كان أقرب لهذا البحر ،وعلى حافته مثل الشام وإفريقية والمغرب والأندلس ...".

ولعل هذا يفسر لنا الأسباب التي دفعت المسلمين إلى توسيع الغزوات والحملات البحرية في حوض البحر المتوسط ،ومجاراة الروم البيزنطيين والفرنجة والقوط ،والاشتباك معهم في العديد من المعارك البحرية، والتي كان لطبيعتها أهمية في الدفاع عن الحدود الإسلامية ،إلى جانب نشر الإسلام في جزر البحر المتوسط القريبة والمجاورة للمسلمين أثر كبير في استحداث العرب المسلمين لوظيفة أمير البحر، والتي كانت مهمتها في البداية استطلاع تقدم البيزنطيين، والرد عليهم بغارات مفاجئة، ثم تطورت هذه المهام تدريجياً ،لتصبح هذه الوظيفة في العصر العباسي وظيفة مستقلة[٣].

٤- أبو الأعور عامر بن سفيان السلمي:

قام العرب المسلمون بحملة ثانية على قبرص في سنة ٣٣هـ/٦٥٤م[٤] ؛لأن القبارصة كما ذكر البلاذري[٥] "أعانوا الروم على العرب في البحر بمراكب أعطوهم إياها "ولم يراعوا شروط الصلح

(١) الشرقاوي ،أمراء البحر ،ص١٠٠.

(٢) المقدمة،ص٤٣٥.

(٣) الشرقاوي ،أمراء البحر ،ص١٠٠، ١٠١.

(٤)الطبري ،تاريخ الرسل والملوك ،ج٢،ص٦٠٠.

(٥) فتوح البلدان، ص١٥٤.

الذي عقده معاوية بن أبي سفيان معهم ،فغزاهم معاوية بأسطول يتكون من خمسمائة سفينة[١] ، و كان بأمرة "أمير البحر أبو الأعور عامر بن سفيان السلمي [٢].

وحاصر أبو الأعور عامر بن سفيان السلمي قبرص ،ولكن السكان عندما سمعوا بهذا اعتصموا بالتلال، وبقي أبو الأعور أربعين يوماً في كونستانتسا[٣] حتى أذعن له الأهالي ووعدهم الأمير أن يؤمنهم على حياتهم، وعاد إلى بلاد الشام ومعه الغنائم الوفيرة بعد أن ترك وراءه قوة من أثنى عشر ألف رجل في مدينة شيدت لهم خصيصاً ،وأقر الجزية عليهم[٤]، والتي كانت قد فرضت عليهم في المرة الأولى وكان في نيته السيطرة على الجزيرة[٥].

هاجم الأسطول الإسلامي في سنة ٣٣هـ/٦٥٤م بقيادة أبو الأعور عامر السلمي بعد استيلائه على قبرص، جزر قوس وكريت ورودس، وكان استيلاء العرب على رودس تلك الجزيرة التجارية خسارة فادحة للإمبراطورية البيزنطية[٦]، وتقع هذه الجزيرة إلى الشمال الغربي من جزيرة قبرص وإلى الشمال الشرقي من جزيرة كريت[٧].

وقد سجل المؤرخون البيزنطيون هجوم العرب على جزيرة رودس وما أصابوه من غنائم كثيرة ، فيذكرون أن معاوية أرسل أميره أبو الأعور، وقيل أنه ذهب بنفسه إلى رودس ،وهناك نظم حملته

---

(١) ابن الأثير ،أسد الغابة ،ج٢،ص٣٧٧.

(٢) أبو الأعور عامر بن سفيان السلمي: عامر بن سفيان من قبيلة سليم القوية والكثيرة العدد، كانت امه نصرانية ،وحارب أبوه في غزوة أحد في صفوف كفار قريش، وقاد عدداً من الحملات البحرية، وبرهن على انه رجل سياسي محنك واداري ماهر، وكان أبو الأعور حاكم اقطاع الاردن وقد سمت به خدماته إلى درجة أن المؤرخين جعلوه من مساعدي معاوية ولكنه اختفى من المجال السياسي قبل نهاية حكم الخليفة معاوية. ابن الاثير، اسد الغابة، ج٢، ص ٢٧٥.

(٣) كونستانتسا : إحدى المرافئ الرئيسة المهمة والمطلة على البحر الأسود، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى الإمبراطور الروماني قسطنطين. مجموعة من العلماء ،الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض،١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م،ج٢، ص١٠٢.

(٤) ابن أعثم الكوفي ،الفتوح، ج٤،ص٢٨٠.

(٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص١٥٤.

(٦) فهمي ،البحرية الإسلامية ،ص٢٨٥.

(٧) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣،ص٧٨.

،وبقي هناك مدة طويلة بلغت سبع سنين، واستولى على ماحول البيزنطيين ،وعاد دون أن يحقق أهدافه[١].

٥- عبدالله بن سعد بن أبي السرح:

يعد عبد الله بن سعد بن أبي السرح من أشهر أمراء البحر العرب المسلمين المشهود لهم بالكفاءة والشجاعة ،وأحد الذين كان لهم الفضل في تطوير القدرات البحرية الإسلامية في البحر المتوسط ، ففي سنة ٢٧هـ /٦٤٦م ولاه الخليفة عثمان بن عفان (ﷺ) ولاية على مصر[٢]، ولقد عرف عن عبدالله حبه الشديد لغزو البحر ،واهتمامه ببناء الأسطول المصري، وذلك سنة ٢٨هـ/٦٤٨م، عندما استعمله الخليفة عثمان(ﷺ) على البحر ،وأسند إليه قيادة أسطول بحري يخرج من مصر لمساعدة معاوية بن أبي سفيان في فتح قبرص[٣]، كما نقل الحميري[٤]، رواية عن عبد الله بن وهب تقول: أن عبد الله بن سعد بن أبي السرح فتح اقريطش "كريت "وكانت معه زوجته قتيلة بنت عمرو[٥]، وإذا صحت هذه الرواية يكون عبدالله بن سعد أول من غزا من العرب المسلمين جزيرة كريت الواقعة في أقصى جنوبي بحر إيجة في الحوض الشرقي للبحر المتوسط[٦].

وبعد حملة قبرص وانتصار معاوية ، وازدياد قوته ،فكر في الهجوم على العاصمة البيزنطية نفسها "القسطنطينية "، في الوقت الذي كانت تبنى فيه السفن في الإسكندرية وطرابلس الشام، وأشار الحميري[٧]، : أن عبدالله بن سعد بن أبي السرح أفتتح وجهات أخرى، وذكر أنه بينما كان العمل يجري في طرابلس تسبب أخوان مسيحيان من طرابلس في أن تفقد هذه الحملة ثمرتها ، إذ قاما بمساعدة أعوانهما بفتح السجن الذي كان فيه أسرى بيزنطيين، وقتلوا المسؤول عن السجن وحرسه ، وأحرقوا السفن وولوا هاربين بحراً، وعلى الرغم من ذلك لم يمنع هذا معاوية عن الاستمرار في

---

(١) فهمي ،البحرية الإسلامية ،ص١٨٥.

(٢) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ،ص١٥٩.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك،ج٤،ص٢٦٢.

(٤) الروض المعطار ، ص١٥.

(٥) قتيلة بنت عمرو: بن هلال الكنانية بايعت رسول الله (ﷺ) في حجة الوداع. بن الأثير ،أسد الغابة،ج٧،ص٢٣٤.

(٦) الشرقاوي ،أمراء البحر،ص١٠٣.

(٧) الروض المعطار، ص١٥.

العمليات البحرية ،وأصبح الأسطول العربي الإسلامي بفضل نشاطه وطاقته في النهاية معداً مجهزًا[١].

اضطرت سياسة المسلمين الجديدة البيزنطيين أن يبقوا على أسطول قائم، ولذلك تولى الأمبراطور قنسطانز الثاني قيادة أسطول كبير يتكون من تسعمائة إلى ألف سفينة ، وهاجم الإسكندرية، وظهر هذا الأسطول غربي الإسكندرية إذ لم يتمكن المسلمون من حشد أكثر من مائتي سفينة ليصدوا هجومه[٢]، وتمخض اللقاء عن موقعة بحرية شهيرة سميت بموقعة ذات الصواري سنة ٣٤هـ/٦٥٤-٦٥٥م ، بين الأسطول البيزنطي وبين أسطولي مصر والشام تحت قيادة الوالي وأمير البحر عبد الله بن سعد بن أبي السرح غربي الإسكندرية[٣]، إذ شعر المسلمون بالقلق يملأ وجوههم عندما سمعوا بوصول أسطول بيزنطي، وطلب ابن أبي السرح المشورة من رجاله ثلاث مرات، ولكن أكد له النصر رجل من أي مدينة، وتلى عليه قول الله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٤]، ونزل نصف الرجال مع القائد بسر بن أبي أرطأة[٥] إلى البر، ونزل في كل مركب نصف شحنته من الرجال، وأخذ كلا الفريقين يعد نفسه للمعركة بالعبادة طوال الليل فتلى المسلمون القرآن الكريم وأقاموا الليل وابتهلوا إلى الله ،ودق البيزنطيون الأجراس دون انقطاع[٦].

---

(١) فهمي ،البحرية الإسلامية،٢٨٦.

(٢) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ،ص١٩٠.

(٣) أجمع المؤرخون المسلمون أن المعركة دارت في ميناء فونيكة قرب الإسكندرية. الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، ج ٦،ص٣٤٠؛عبد الحميد، أبو عبية طه عبد المقصود، موجز عن الفتوحات الإسلامية، ط١،دار النشر للجامعات، القاهرة، د.ن، ج١،ص٢٥؛ صالح، زهر الدين، موسوعة معارك العرب ،المركز الثقافي ، بيروت، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م ،ص٦٩ .

(٤) سورة البقرة ،الآية ١٢٩.

(٥) بسر بن أبي أرطاة: قائد عربي وأمير بحر ،من قبيلة قريش من بني عامر، كان من صغار الصحابة رضوان الله عليهم قاد عدداً من الحملات البحرية ضد الروم وكان الساعد الأيمن لمعاوية بن أبي سفيان في السياسة ، توفي بالمدينة سنة ٨٦هـ /٧٠٥م، ابن قانع ،أبو الحسين عبد الباقي البغدادي(٣٥١هـ / ٩٦٢م)، معجم الصحابة، تحقيق: أحمد فتحي عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت ، د. ت ،ج١،ص٦٦؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٠، ص١٤٤؛ بن الأثير ،أسدالغابة،ج٢ ،ص٦٢١.

(٦) المقريزي ،الخطط والآثار،ج١،ص٢٧٨.

وكانت الريح بادئ الأمر على غير ما يشتهي المسلمون، ولكنها هدأت بعد فترة، فألتحم الأسطولان أولاً بالسهام، ثم أطلقوا الحجارة، وأخيراً ربطت السفن ببعضها البعض بالسلاسل ،ونازل المسلمون و البيزنطيين في تلاحم بالسيوف والخناجر[١]، وكادت سفينة بيزنطية تفوز بسفينة عبد الله بن سعد لولا عناية الله ثم أن أنقذه علقمة بن يزيد بأن قطع السلسلة بسيفه وأصحبت الحملة كعادة المسلمين في مثل هذه الحروب البحرية[٢]، وكانت خطة ربط السفن مع سفن الروم ثم القتال بالسيوف والخناجر لصالح المسلمين إذ قال ابن عبد الحكم[٣]، "فالتقى الروم وعبدالله بن سعد فأمن بعضهم بعضاً حتـــــى قرنوا بين سفــن المسلمين، وأهل الشرك من صواريها" .

ونقل لنا ابن الأثير[٤]، وصفاً دقيقاً للمعركة بقوله: " كانت الريح على المسلمين لما شاهدوا الروم، فأرسى المسلمون والروم ،وسكنت الريح ، فقال المسلمون الأمان بيننا وبينكم، فباتوا ليلتهم والمسلمون يقرؤون القرآن الكريم ويدعون، والروم يضربون بالنواقيس ،وقربوا من الغد سفنهم ،وقرب المسلمون سفنهم ،وربطوا بعضها مع بعض، واقتتلوا بالسيوف والخناجر، وقتل من المسلمين بشر كثير ،وقتل من الروم مالا يحصى ،وصبروا يومئذ صبراً لم يصبروا في موطن قط مثله ،ثم أنزل الله تعالى نصره على المسلمين، فهزم قسطنطين جريحاً، ولم ينج من الروم إلا الشريد، وأقام عبد الله بن سعد بذات الصواري أياماً ورجع ".

أظهر المسلمون في هذه المعركة بسالة وشجاعة فائقتين، وكان عبدالله يتقدم المسلمين في مجاهدة البيزنطيين، ومن ذلك ما أشار إليه ابن عبد الحكم[٥] من "أن السفن كانت إذ ذاك تقرن بالسلاسل عند القتال " ،ونشأت هذه الفكرة لدى المسلمين، لأنهم أرادوا أن يطبقوا سبل الحرب براً في القتال بحراً ، إذ أنهم شعروا أنهم جنود مقاتلون أكثر منهم بحارة ،ويظهر أن البحارة الأقباط الذين تميزوا في القتال البحري عن المقاتلين المسلمين لم يشتركوا فعلاً في هذه المعركة[٦]، ومن الجدير بالذكر ... أن المسلمين فضلوا القتال براً بينما فضل البيزنطيون القتال بحراً، واستمرت المعركة طوال

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ،ج٤،ص٢٩٠.
(٢) ابن عبد الحكم ،فتوح مصر المغرب و،ص١٩٠.
(٣) فتوح مصر والمغرب،ص١٩١.
(٤) الكامل في التاريخ ،ج٣،ص١٦٩؛ المقريزي ،الخطط والآثار،ج١،ص١١٨.
(٥) فتوح مصر والمغرب،ص١٩١.
(٦) المقريزي، الخطط والآثار،ج١،ص١٦٩.

النهار وطوال الليل وكانت مذبحة من الجانبين، ونقل الطبري[١] عن شاهد عيان للمعركة قال: " ووثبت الرجال على الرجال يضطربون بالسيوف على السفن ،ويتواجهون بالخناجر حتى رجعت الدماء إلى الساحل تضربها الأمواج، وطرحت الأمواج جثث الرجال ركاماً، وأخيراً لما رأى البيزنطيون أن البحر محيط بهم، هربوا وتشتتوا ، وهكذا دمر الأسطول البيزنطي" ،وهرب الإمبراطور نفسه متنكراً[٢]، وقيل أنه جرح عندما خلط بينه وبين الرجال الذين تبادلوا معه ملبسه ،ويقال أنه رأى في منامه هذه الهزيمة قبل وقوعها ،إذ رأى نفسه في سالونيك[٣] أسماً يطير به[٤]، وكانت الكارثة جسيمة لدرجة أنه لم يتمكن المؤرخون البيزنطيون من أخفائها ،بل شبهوها بمعركة اليرموك[٥]، وأطلق عليها المسلمون أسم ذات الصواري؛ لكثرة صواري السفن التي استخدمت فيها[٦].

وبموقعة ذات الصواري هذه كانت نهاية السيادة البيزنطية البحرية، وعندئذ تعلم المسلمون تفاصيل كثيرة عن أهمية القوة البحرية وفن الملاحة ،وأعيا أسطولهم على صغره قوة البيزنطيين ،حتى أصبحت حملة قنسطانز الثاني عديمة الجدوى، وتحولت حملتهم إلى هزيمة نكراء صاحتها كارثة، إذ حملت العواصف بقايا أسطولهم المهشم وشتته في البحر ،وأصبحت مصر في مأمن من هجماتهم من الخارج ،على الرغم من أن السفن الساحلية بقيت تتعرض لغارات فردية[٧].

كان لهذه المعركة نتائج إيجابية على الجبهة الإسلامية منها كسب المسلمين للمزيد من الخبرات العسكرية والمهارات القتالية ،ولاسيما فيما يتعلق ببناء السفن ،وصناعة الأسلحة البحرية الأمر الذي دفعهم أكثر إلى ركوب البحر المتوسط ،والتطلع إلى ما ورائه ،ومنها أيضاً أنهم حطموا الأسطول البيزنطي ،وسيطروا بعد انتصارهم على الروم في هذه المعركة على البحر المتوسط ،وأصبحوا قوة

(١) تاريخ الرسل والملوك ،ج٤،ص٢٩٠.

(٢) فهمي ،البحرية الإسلامية ،ص٢٨٨.

(٣) سالونيك: اكبر واقرب الموانيء البحرية هي الأفضل في المرور التجاري ،ثاني اكبر مدن اليونان .الحميري ، معجم البلدان ،ج١،ص١٥٥؛جرجي ،زيدان ،المصور المجلدات ،مؤسسة دار الهلال،القاهرة،١٤١٤هـ/١٩٩٣م،ص٣.

(٤) فهمي ،البحرية الإسلامية ،ص٢٨٨.

(٥) العبادي، تاريخ البحرية في مصر والشام،ص٤٥.

(٦) ابن عبد الحكم ،فتوح مصر والمغرب،ص١٩٠.

(٧) فهمي ،البحرية الإسلامية ،ص٢٨٨.

بحرية عظيمة لا تقهر ،إلى جانب توسيع دائرة الغزو البحري الإسلامي ليشمل السواحل البعيدة والمتاخمة لبلاد الشام والتي تعرف بالثغور[١]، ثم جرأتهم فيما بعد على فتح الاندلس[٢].

وفي ساعات النصر الأولى استشهد الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) [٣]، وحدثت قلاقل داخلية، ورأى معاوية أنه من الأفضل عقد هدنة مع الإمبراطور قنسطانز الثاني سنة ٣٨هـ /٦٥٩م[٤]، وتعهد فيها معاوية بن أبي سفيان بأن يدفع مبلغاً من المال عن كل يوم يمر بسلام [٥] ، اتقاء هجمات البيزنطيين على سواحل الدولة الإسلامية ، ولكن سرعان ما رفض المسلمون دفع هذه الغرامة بعد ذلك ، وفتح الطريق أمام الحملات وتمكنت القوة البحرية الإسلامية أن تؤدي دوراً فيها[٦]، وكان ذلك في العصر الأموي.

(١) الشرقاوي، أمراء البحر ،ص١٠٤.

(٢) الشرقاوي ،أمراء البحر ،ص١٠٤.

(٣) ابن الأثير ،أسد الغابة،ج٢،ص٣٦٠.

(٤)ابن الجوزي ،أبو الفرج جمال الدين (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.،ج٤،ص٢٤٥.

(٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص١٥٩.

(٦) فهمي، البحرية الإسلامية،ص٢٨٨.

الفصل الثاني

أمراء البحر في العصر الأموي وجهودهم في الفتوحات الإسلامية

المبحث الأول: أمراء البحر في نشأة الدولة الأموية (٤١-٧٣هـ/٦٦١-٦٩٢م).

المبحث الثاني: أمراء البحر من عهد القوة إلى نهاية للدولة الأموية (٧٣-١٣٢هـ/٦٩٢-٧٤٩م).

المبحث الأول : أمراء البحر في نشأة الدولة الاموية.

تعد الدولة الأموية دولة الفتوحات البرية والبحرية، إذ شملت فتوحاتها أفريقية وبلاد الأندلس وبلاد ما وراء النهر وبلاد السند والبنجاب وكان لهذه الفتوحات قادة وأمراء جيوش أساطيل سطروا أروع الملاحم الحربية في تاريخ الإسلام [١].

ففي سنة ٤١هـ/ ٦٦١م تنازل الحسن بن علي (ﷺ) عن الحكم لمعاوية بن أبي سفيان (ﷺ) حقناً لدماء المسلمين وتوحيد لكلمتهم، وقد سميت هذه السنة بعام الجماعة؛ لاجتماع كلمة المسلمين على خليفة واحد هو معاوية بن أبي سفيان (ﷺ)، بعد مدة من الفرقة والانقسام أصيب فيها المسلمون ببلاء عظيم[٢]، وسار معاوية بالناس سيرة حسنة فقرب من كان بعيداً، واستمع ممن كان نائياً، وحرص على جمع الكلمة، وأعاد المسلمون الى الوحدة والاعتصام، واستأنف بهم مسيرة الفتح العربي الإسلامي وعادت روح الجهاد لقتال أعداء الله، ومحاولة نشر الدين الإسلامي الحنيف في أرض الله الواسعة[٣]، ولما امتاز به الخليفة معاوية بن أبي سفيان(ﷺ) من صفات أهلته للنجاح في المنصب الكبير الذي تولاه، فقد كان جيد السياسة، حسن التدبير، عاقلاً حكيماً، يحلم في مواضع الحلم، ويشتد في مواضع الشدة، إلا أن الحلم كان غالب عليه[٤]، وما أثر عن معاوية قوله :"اني لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت فقيل له: وكيف ذلك قال :اكتب إذا مدوها أرخيتها، وإذا أرخوها مددتها" [٥].

---

(١) حمودة، عبد الحميد حسين، الدولة العربية الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ١٦٠.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٢٠٣.

(٣) الخطيب، محمد محمد عبد القادر، دراسة تحليلية في تاريخ الدويلات الإسلامية، ط١، دار الجيلاوي، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م،ج١،ص١٦٥.

(٤)ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، الإمامة والسياسة، تحقيق: خليل المنصور، ط١، دار الكتب، بيروت ، ص ٨٢.

(٥) ابن عبد ربه ، أبو عمر شهاب الدين احمد بن محمد الأندلس (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م)، العقد الفريد، ط٣، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ج١، ص ٢٩.

وعرف معاوية بعبقريته الفذة لما حققته سياستة في استقرار الأوضاع في بلاد الشام مقر حكمه ، وما اتصل بذلك من تأمين سلامته الداخلية بالقضاء على عناصر الاضطراب، وازالة كل ما يؤدي إلى القلق وعدم الاستقرار، وكان معاوية (ﷺ) حراً في تنفيذ هذه السياسة، واعداد الادارة الحربية لمناهضة البيزنطيين منذ أن أطلق الخليفة عثمان بن عفان (ﷺ) يده في بلاد الشام يتصرف بادارتها بما يراه مناسباً، ولهذا استهدف معاوية (ﷺ) في سياسته الداخلية تحويل بلاد الشام بثرواتها وقواتها، وبما فيها من شخصيات ذات مواهب عالية، إلى الدفاع عن أرض الإسلام وأعلاء كلمة الله[١]، ووضع معاوية (ﷺ) نصب عينيه تحرق البيزنطيين ألماً لضياع ممتلكاتهم في شرق البحر المتوسط، وأنهم لن يهدئوا إلا باستردادها، وإخراج المسلمين منها مرة أخرى،الخليفة معاوية بن أبي سفيان (ﷺ) على تهيئة المسلمين و أعدادهم لتأدية ما عهد إليهم من واجبات الجهاد، وأظهر معاوية في هذا الاتجاه من ضروب الحذق والمهارة السياسية والكياسة ما مكنه من أن يخلق من العرب، سادة الصحراء أمراء للبحار، وأن يقودوا الأساطيل عبر المياه ، بنفس المهارة التي قادا بها سفن الصحراء عبر الرمال[٢]، فحقق بذلك انقلاب كفل للمسلمين الكلمة العليا على البيزنطيين، وجعلهم يدركون حقيقة الفتح العربي الإسلامي لبلاد الشام وأن العرب الجدد الذين حملوا لواء الإسلام يختلفون تماماً عما عرفوه عن عرب الغساسنة [٣] .

ذكر بروكلمان[٤]، بأن معاوية كان يعد دائماً أن الحرب ضد البيزنطيين من أهم واجباته وأخطرها شأناً، ولقد بدأ نضاله منذ أن كان أميراً على عهد الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) عندما وجد أن المدن الفينيقية الساحلية كانت لا تزال في أيدي البيزنطيين، والواقع انه لم يتمكن من انتزاعها منهم إلا بمحاولة ثانية، و قام بها في خلافة عثمان بن عفان (ﷺ) وكان على معاوية (ﷺ)،أن يقاتل خصومه في البحر أيضاً ، وكان هدفه من كل استعداداته البحرية تحقيق تطلعات نحو فتح القسطنطينية، لذا أدرك بأن فتح هذه المدينة لا يمكن أن يتحقق إلا إذا تفوق العرب المسلمين على

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٤٥٨.

(٢) خليفة ابن خياط ، تاريخ الخليفة بن خياط ،ص١٣٩؛ العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ٥٤.

(٣) ابن عبد الحكم ،فتوح مصرو المغرب ،ص٥٥؛ العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ٥٤.

(٤) كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٤٦هـ/ ١٩٦٨م، ص ١٢٥.

الروم البيزنطيين بحراً[١]، وأكد ذلك العريني[٢] بقوله: " لاشك أن معاوية كان يهدف من وراء ذلك إلى فتح القسطنطينية، دل ذلك على حرصه في تأمين الطريق المؤدي إليها، بالإستيلاء على الجزر المؤدية إليها"، أما هوينزباخ[٣] فإنه يغالي كثيراً، في هذا الأمر، إذ ذكر العدوي"[٤] بأن الظروف التاريخية قد سببت تغييراً مفاجئاً غير منتظر عند احتياج معاوية عامل الشام إلى سفن للهجوم على القسطنطينية"، أي أن كل البحرية العربية في البحر المتوسط كانت لأجل الوصول إلى القسطنطينية، ولولا تطلع معاوية هذا لم ينشئ الاسطول العربي الإسلامي، وعلى أية حال فإن هذا الأمر دفع معاوية إلى اتخاذ خطوات وتدابير عدة لتطوير البحرية وجعلها العربية، بحرية متفوقة قادرة على أن تحقق طموحاته المتمثلة بالسيطرة على البحر المتوسط، وترميمها وشحنها منذ أن كان قائداً في جيش أخيه يزيد بن أبي سفيان" [٥]، وأشار البلاذري[٦] إلى ذلك بقوله: "سار يزيد وعلى مقدمته معاوية أخوه فتتح يزيد وعمرو سواحل الاردن".

وبعد أن أصبح معاوية والياً على بلاد الشام في خلافة عمر بن الخطاب (ﷺ)، قام بتحقيق انجازات واسعة لا في ميدان التحرير فقط، بل قام بأنشاء مؤسسات عسكرية ومدنية في هذه المدن الساحلية[٧]، وكانت أول مدينة فتحها بعد ولايته على بلاد الشام هي مدينة قيسارية[٨] ،إذ ذكر البلاذري أنه لما ولي عمر بن الخطاب (ﷺ) بلاد الشام حاصر قيسارية حتى فتحها، وكانت قد حوصرت نحو سبع سنين، وكان فتحها في شوال سنة ١٩هـ/ ٦٤١م، ثم كتب الخليفة عمر (ﷺ) إلى معاوية (ﷺ) يأمره بتتبع ما بقي من فلسطين، فحرر عسقلان صلحاً، وأسكنها الروابط، وقد تناولنا في الفصل الأول أعمال معاوية البحرية أثناء ولايته على بلاد الشام، إذ زاد اهتمامه بتحصين

(١) الأعظمي، عواد مجيد، الجذور التاريخية في تطلعات العرب المسلمين لفتح القسطنطينية في عصر صدر الإسلام، بغداد، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥، ص ٥٧.

(٢) السيد الباز، الدولة البيزنطية، ط١، دار النهضة العربية، بيروت، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، ص ١٤٢.

(٣) البحرية العربية وتطورها في البحر المتوسط في عهد الخليفة معاوية، دار الطباعة المغربية، تطوان، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م، ص ٢٧.

(٤) الأساطيل العربية، ص ٢٩.

(٥) العدوي، الدولة الأموية، ص ٧٥.

(٦) فتوح البلدان، ص ١٢٤.

(٧) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٢٤.

(٨) قيسارية: مدينة بالشام بينها وبين فلسطين مرحلة وهي على ساحل البحر. الحميري، الروض المعطار، ص ٤٨٦.

.

السواحل وشحنها، و كتب اليه الخليفة عثمان بن عفان (ﷺ) يأمره بتحصين السواحل، وشحنها ففعل، واستمر معاوية في بناء الموانئ العربية وتحصينها وشحنها، وقام ببناء طرطوس[١] ومصرها، وأقطع القطائع بها، وكذلك فعل بمرقية، وبانياس[٢]، وقام أيضاً بترميم وتحصين مينائي صور وعكا[٣]، وهذا دل على أن هناك رغبة مشتركة بين الخليفة والوالي على بلاد الشام، من أجل تعزيز القوة البحرية وتقويتها لمواجهة الخطر البيزنطي، وكان معاوية يدرك تماماً حجم المسؤولية الملقاة على عاتقه[٤]، واستطاع بذلك أن يؤمن خط الدفاع الساحلي البحري الأول لمجابهة أية محاولة قد يفكر بها البيزنطيين لغزو بلاد الشام عن طريق السواحل [٥].

وبهذا بدأ معاوية (ﷺ) بتأمين هذا الخط الدفاعي البحري الساحلي، وقد جعل القوة البحرية العربية الإسلامية قادرة على ضرب البحرية البيزنطية في عقر دارها[٦]، وذكر هونبرباخ[٧] "أن الأمير معاوية (ﷺ) كان لا يستنكف أن يأخذ الرأي الطيب، حتى من الزنوج لبعد نظره، ورحابة صدره، وسواء اكان هذا القول صحيحاً أم لا، فهو يدل على أن معاوية (ﷺ) كان مستعداً دوماً للإستفادة من البحارة الماهرين حتى أنه في معركة ذات الصواري كانت هناك في الاسطول المصري سفن قديمة تنقل الحبوب إلى القسطنطينية البيزنطية استخدمها معاوية للغزو، وبعد هذه الخطوة قام معاوية (ﷺ) بخطوة متقدمة، إذ أن المسلمين وعندما وصلوا إلى سواحل بلاد الشام، كانت هذه السواحل عامرة بالكثير من المدن البحرية التي كانت ومنذ العصور القديمة مركزاً لاهم النشاطات البحرية، فما كان من معاوية إلا أن أمر بترميم هذه المراكز وإعادة الحياة إليها والعمل فيها من جديد[٨]، فبعد أن أتم معاوية تحصين الموانئ، وشحنها اتجه إلى تنفيذ الخطوة اللاحقة والمتمثلة في صناعة السفن وكانت عكا أول مكان اتخذه معاوية، لذلك ذكر البلاذري[٩]، بقوله: "وقد أمر معاوية بن أبي سفيان بجمع

(١) طرطوس: بلدة من بلاد الشام، تقع على ساحل البحر المتوسط. ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج٤،ص٣٠.
(٢) فتوح البلدان، ص ١٤٨.
(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٣٤.
(٤) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٢، ص ٢٦٦.
(٥) الأعظمي، الجذور التاريخية، ص ٦١.
(٦) الأعظمي، الجذور التاريخية، ص ٦٢.
(٧) البحرية في عهد معاوية، ص ١٥.
(٨) الاعظمي، الجذور التاريخية، ص ٦٣.
(٩) فتوح البلدان، ص١٢٤.

الصناع والنجارين فجمعوا ورتبهم بالسواحل، وكانت الصناعة في عكا"، ومن هذه المدينة انطلقت أول حملة بحرية لفتح جزيرة قبرص"[١]، وهذا دليل على أن الأمير معاوية (ﷺ) كان يعرف قصة الاستعداد والتنظيم، لذلك نراه، يصلح من شأن هذه المدينة ويتخذ بها دار لصناعة السفن ويجعلها مأوى للأسطول العربي الإسلامي ، وكان العمل الأول من نوعه في التاريخ الإسلامي [٢] .

ومن الأساليب التعبوية التي استخدمتها في البحر والبحر، تطبيقاً لمبدأ الهجوم التعرضي (الصوائف والشواتي)[٣]، وتعد حملات الصوائف هي الأكثر شيوعاً واستخداماً؛ لأن وقتها أنسب للمقاتلة فهم لا يغزون العشر من تموز، فيقيمون إلى وقت ستين يوماً [٤].

أما الشواتي فإنها أقصر مدة ويكون عملها العسكري محدوداً بالنظر لبرودة الجو، وصعوبة العلميات العسكرية في الشتاء[٥]، وعنها ذكر ابن خرداذبة[٦] "فأما الشواتي فإني رأيتهم جميعاً يقولون إن كان لابد منها فليكن مما لا يبعد فيه ولا يوغل"، ويبدو أن هذه الحملات كانت تهدف إلى الاستطلاع فقط وهي لا تتوغل كثيراً في البحر، وقد بدأت هذه الحملات في وقت مبكر جداً، في منطقة حوض البحر المتوسط[٧]، فقد بدأت منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ)" ، إذ ذكر الطبري[٨]، إلى ذلك قائلاً: قسم عمر (ﷺ) الأرزاق، وسمى الصوائف والشواتي، وحصن الشام وضبط خراجها ، وقد اهتم الوالي معاوية بهذه الحملات كثيراً وحرص على تنظيمها، فكفل بذلك الحرب بينه

(١) عبد الحميد، موجز عن الفتوحات الإسلامية،ج١،ص٢٤؛ الجنابي ،سعد كاظم، النشاط العسكري العربي في البحر المتوسط خلال العهدين الراشدي والأموي رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ،جامعة بابل ،١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م ،ص ١٩٣.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية ،ج ٧،ص١٥٣؛ الجنابي، النشاط العسكري، ص ١٩٢.

(٣) الصوائف والشواتي : عبارة عن حملات عسكرية ودوريات منتظمة لحماية حدود البلاد الإسلامية من أعداء البلاد وخطرهم ،تحدث فصلي الصيف والشتاء، محمد كرد علي، عبد الرزاق(١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م)،خطط الشام، ط٣، مكتبة النوري، دمشق،١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م،ج١، ص١١٠.

(٤) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ٢٥٩.

(٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٦٤؛ الجنابي ، النشاط العسكري، ص ١٩٣.

(٦) المسالك والممالك، ص ٢٥٩.

(٧) العبيدي، سالم، القوة البحرية، ص ٨٠.

(٨) تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ٦٤.

وبين الروم البيزنطيين صيفاً وشتاًء، وقد ظهرت هذه الحملات بأبهى صورها أثناء حصار العرب المسلمين للقسطنطينية، وتم فتح جزيرة قبرص، ورودس، وأرواد[١].

وما أن تولى معاوية (ﷺ)الخلافة حتى عمل على تدعيم الدفاع عن السواحل، والظاهر أن مدينة طرابلس انتفضت عليه في أول خلافته، وتمكن بعض الروم من أهلها و قتل عاملها، وأحرق قطع من الأسطول العربي الراسية في مينائها[٢]، ولكن معاوية تمكن من القضاء على هذه الحركة، ولعل تلك الحركة من الأسباب التي جعلته ينقل أعداد من الفرس والأساورة[٣] على سواحل الأردن والشام ومن بينها طرابلس، إذ ذكر الواقدي[٤]: "أن أهل جبيل وصيدا وبيروت قوم من الفرس نقلهم معاوية"، كما نقل قوماً من زط البصرة والسبابجة[٥]، إلى السواحل، وذلك بعد غزوة بحرية قام بها البيزنطيون على سواحل الشام أثناء خلافته سنة ٤٩هـ/ ٦٦٩م [٦] ،وفيما يأتي أبرز أمراء البحر في هذه المدة:

١. عقبة بن عامر الجهني:

استعمل معاوية (ﷺ)عقبة بن عامر[٧]، على البحر سنة ٤٤هـ/ ٦٦٤م، وأمره أن يسير من مصر إلى جزيرة رودس، وذكر الطبري[٨] أن معاوية وجه عقبة بن عامر الجهني الأنصاري في سنة ٤٨هـ/ ٦٦٨م في حملة بحرية، ومعه أهل مصر، لكنه لم يحدد وجهة الحملة، كما أشار المقريزي[٩]، إلى حملة بحرية أخرى أرسلها معاوية بن أبي سفيان (ﷺ) وأسند قيادتها إلى عقبة بن عامر إلى

---

(١)الخربوطلي، علي حسني، الإسلام في حوض البحر المتوسط، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ص ١٧.وينظر :الفصل الأول من الدراسة.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٣٩.

(٣) الأساورة: قوم من العجم بالبصرة نزلوها قديماً ، ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج١،ص١٩١.

(٤) فتوح الشام، ج٢، ص ٣٢.

(٥) السبابجة: قوم من السند بالبصرة يستأجرون ليقاتلوا، ابن منظور ،لسان العرب،ج٢،ص٢٩٤.

(٦) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٤٠.

(٧) عقبة بن عامر: عقبة بن عامر بن مالك بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن مسلمة الانصاري، شهد فتح مصر، الشام، توفي سنة ٥٥هـ/٦٧٤م. ابن الأثير، اسد الغابة، ج٣، ص ٥٥١.

(٨) تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص ٢٠٥.

(٩) الخطط الآثار، ج٢، ص ١٩٠.

جزيرة رودس في سنة٥٣هـ/ ٦٧٢م ومن المؤسف عدم توفر أي أخبار عن كلأ الحملتين إذ لم تذكر المصادر شيء عنه.

٢. جنادة بن أبي أمية الازدي:

يعد جنادة بن أبي أمية [١]، من أهم أمراء البحر في العصر الراشدي وأوائل العصر الأموي، والذي أرسله معاوية (ﷺ) أثناء ولايته على بلاد الشام سنة ٢٨هـ/ ٦٤٨م لفتح جزيرة رودس[٢] واستطاع المسلمون دخول هذه الجزيرة والسيطرة عليها، ثم صالحوا أهلها على جزية يدفعونها وغادروا إلى بلاد الشام[٣]، ويبدو أن هذه الحملة كان هدفها الاستطلاع لمعرفة أحوال الجزيرة، وأثرها على خطوط الروم البحرية[٤]، ولكن المصادر التاريخية لم تذكر أن هذه الجزيرة قد فتحت في هذا التاريخ بل تذكر أن فتحها قد تم سنة ٥٣هـ/٦٧٢م عندما جهز الخليفة معاوية بن أبي سفيان (ﷺ) حملة بحرية بقيادة جنادة بن أبي أمية الأزدي، والذي استطاع فتحها، فدخلها المسلمون ،وفي هذه المرة قرر معاوية (ﷺ) ابقاء حامية من المسلمين فيها فبقوا سبع سنين يزرعون، إلى حين وفاته وبعد تولي يزيد ابن معاوية الخلافة كتب إلى الأمير جنادة بالعودة[٥]، وكان فتح رودس على يد جنادة الازدي، تلك الجزيرة التجارية خسارة فادحة للروم البيزنطيين[٦]،إذ استخدم المسلمون هذه الجزيرة بوصفها قاعدة أمامية للهجوم على القسطنطينية وكذلك قاعدة تهاجم منها المراكب العربية تجارة الروم في هذا البحر[٧]، وأثناء عودة المسلمين من حملتهم الأولى على قبرص سنة ٢٨هـ/ ٦٤٨م اتجهوا نحو جزيرة أرواد لفتحها، تلك الجزيرة التي تقع بالقرب من الساحل الشامي، على الساحل الجنوبي لبحر مرمرة

---

(١) جنادة بن أبي أمية : جنادة بن أبي أمية الأزدي قيل صحابي، وقيل من كبار التابعين، شهد فتح مصر، وكان أميراً على غزو البحر، توفي في الشام سنة٧٨هـ/ ٦٩٧م. ابن الأثير، أسد الغابة، ج١، ص ٣٥٣.

(٢) رودس: جزيرة مقابل الإسكندرية على ليلة منها في البحر، وهي أول بلاد الفرنجة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٧٨.

(٣) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٢، ص ١٢٤-١٢٥.

(٤) ذكر المقريزي بأن معاوية قد أرسل عقبة بن عامر الجهني في هذه الغزوة وليس جنادة. الخطط والآثار، ج٢، ص ١٩٠.

(٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٣٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص ٢٣٨.

(٦) شتا، محمد فهمي، ظهور القوة البحرية الإسلامية في البحر المتوسط، مجلة الدارة، ع١، سنة ١٣٥٣هـ/ ١٩٧٥م، ص ١١١.

(٧) الجنابي، النشاط العسكري، ص ٤٩.

القريبة من القسطنطينية[١]، ويمتاز موقعها الاستراتيجي الفريد ،إذ اتخذها الفينيقيون قاعدة لإدارة عملياتهم التجارية.

قرر الخليفة معاوية بن أبي سفيان (ﷺ)، بعد فتح جزيرة رودس نهائياً سنة ٥٣هـ/ ٦٧٢م بالمضي قدماً في فتح الجزر الموصلة إلى القسطنطينية، وكانت جزيرة أرواد هي المرحلة الثانية، ففي سنة ٥٤هـ/ ٦٧٣م بعث معاوية (ﷺ) حملة بحرية بقيادة جنادة بن أبي أمية الأزدي ففتح هذه الجزيرة[٢]، وذكر البلاذري[٣]: أن معاوية قد أسكنها المسلمين، كما أشار ابن الأثير[٤] إلى أنهم أقاموا بها سبع سنين كاملة ثم لما توفي معاوية (ﷺ) أمرهم يزيد بالعودة وأشار إلى ذلك الطبري[٥]بأنه "... جاء نعي معاوية ، وكتاب يزيد بالقفل، فقفلناه فلم تعمر بعد ذلك، وخربت وأعف الروم "، ومن هذا النص يبين ما كان لتواجد المسلمين في هذه الجزيرة، من خطر جسيم على الروم؛ لأن هذه الجزيرة تقع بالقرب من القسطنطينية، وكان وجود المسلمين فيها يمثل مصدر خطر وقلق للروم؛ لأنهم لا يأمنون العرب وهم في بلادهم فكيف يأمنوهم وهم قاب قوسين أو أدنى منهم[٦]، وسوف يتضح دور هذه الجزيرة في عملية حصار العرب المسلمين للقسطنطينية والذي امتد من ٤٦-٥٤هـ/ ٦٦٦-٦٧٣م، والذي عرف بحرب السنوات السبع[٧].

وكانت لجنادة بن أبي أمية محاولات لفتح جزيرة اقريطش أو كريت جزيرة في البحر المتوسط وهي عامرة كثيرة الخصب، بها مدن كثيرة، وطولها من الشرق إلى الغرب ثلاثمائة ميلاً، وبينها وبين الساحل المصري يوم وليلة، وبينها وبين جزيرة صقلية تسعمائة ميلاً[٨]، وسميت الجزيرة اقريطش ؛لأن أول من عمرها رجل يقال له (قراطي)[٩]، وتسمى اقريطش أيضاً (الترلش) وهي تضم مائة مدينة،

(١) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٢، ص ٢٣٧.
(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٣٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص ٢٣٨.
(٣) فتوح البلدان ، ص ٢٣٣.
(٤) الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٨٧.
(٥) تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص ٢٣٨.
(٦) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٣٣.
(٧) الجنابي ، النشاط العسكري، ص ٥١.
(٨) الحميري، الروض المعطار، ص ٤٥٤.
(٩) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ج١، ص ٢٢١.

ويبدو أن هذه التسمية جاءت من كثرة المدن والقرى فيها[١]،وكان من أهم الدوافع التي دفعت المسلمين لفتحها هو نشر الدين الإسلامي الحنيف، و اخرج الناس من الظلمات إلى النور فضلاً عن موقعها المميز، إذ يمثل القفل المسيطر على بحر ايجة، وبحر مرمرة من جهة وسيطر على البحر المتوسط من جهة أخرى [٢]، وذكر الحميري[٣] أن عبد الله بن سعد بن أبي السرح قد فتح هذه الجزيرة سنة ٢٩هـ/ ٦٤٩م، بأسطول مصري، وأكدها القلقشندي[٤] بقوله: أن الذي فتحها الاسطول المصري، وبقيت تحت السيادة العربية الإسلامية حتى سنة ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م إلا أن المصادر الأخرى ،لا تذكر هذه الحملة بل تذكر أن أول محاولة لفتحها كانت سنة ٥٤هـ/ ٦٧٣م بقيادة جنادة بن أبي أمية الازدي بعد نجاحه في فتح جزيرة أرواد، وكان من نتائج هذه الحملة أن غنم المسلمون وعادوا ولم يستقروا فيها.[٥]

٣. عبد الرحمن بن خالد :

قاد عبد الرحمن بن خالد[٦]،احدى الحملات البحرية العربية في بداية العصر الأموي سنة ٤٣هـ/ ٦٦٣م فيما يسمى بحملات الصوائف والشواتي، والتي كان يرسلها الخليفة معاوية (ﷺ)إلى

(١) الحميري، الروض المعطار، ص ٥١.

(٢) الخفاجي، أياد عبد الحسن، اقريطش ودورها في تثبيت نفوذ الدولة العربية الإسلامية في البحر المتوسط ، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص ٣١.

(٣) الروض المعطار، ص ٥١.

(٤) احمد بن علي بن احمد (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الأنشا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٤، ص ٧١.

(٥) الخير، رمزية، نشاط العرب البحري في البحر المتوسط، مجلة المؤرخ العربي، ع ٣٩، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ٣٣٢.

(٦) عبد الرحمن بن خالد: عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة المخزومي، امه أسماء بنت أسد بن مدرك الخثعمي ،يكنى أبا محمد، وكان مع أبيه يوم اليرموك وسكن حمص، وشهد صفين مع معاوية وكان معاوية يستعمله على غزو الروم. ابن الأثير، أسد الغابة،ج٣،ص٤٣٦؛ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، تحقيق: روحية النحاس، وآخرون، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٤م، ج١٤، ص ٢٤٤.

بيرجام[١]، في الشمال الغربي من آسيا الصغرى قرب القسطنطينية[٢].

٤. بسر بن أبي أرطأة:

ذكر الطبري [٣] أن الأمير بسر بن أبي أرطأة ، غزا الروم في سنة ٤٣هـ/ ٦٦٣م حتى بلغ القسطنطينية، ثم غزاها في سنة ٥٢هـ/ ٦٧٢م وعاد بكثير من الأسرى[٤].

٥. فضالة بن عبيد الأنصاري:

قاد فضالة بن عبيد الأنصاري[٥]، حملة بحرية إلى القسطنطينية للاستطلاع سنة ٤٩هـ/ ٦٦٩م وتقدم بها حتى وصل إلى خلقدونية [٦]،إذ قضى فصل الشتاء فيها، واضطر إلى طلب النجدة من الخليفة معاوية (ﷺ) والذي أرسل له نجدة بقيادة ابنه يزيد [٧].

٦. يزيد بن شجرة الرهاوي :

تولى يزيد بن شجرة الرهاوي [٨] قيادة الحملة البحرية التي أرسلها الخليفة معاوية (ﷺ) كمدد

---

(١) بيرجام: عاصمة المملكة البيرجامية التي قامت في شمال غرب أسيا الصغرى ، قبل الميلاد . ماخوفسكي ، ياتسيك، تاريخ القرصنة في العالم، ترجمة: أنور محمد ابراهيم، ط١،مكتبة المشارف، القاهرة،١٤٣٨هـ/٢٠١٦م، ص٣٤.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والموك، ج٣، ص ١٩٤؛ ابن خلدون، العبر ، ج٣، ص ١١.

(٣) تاريخ الرسل، ج٣، ص١٤٩.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، ج٣، ص ٢٣٧.

(٥) فضالة بن عبيد الأنصاري: فضالة بن عبيد بن نافذ بن قيس بن صهيب بن الأصرم بن جحجبي كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري، شهد أمع رسوله محمد (ﷺ)حد وجميع المشاهد وهو أحد الذين بايعوا تحت شجرة وشهد فتح مصر وولي القضاء بدمشق لمعاوية، ثم أمره معاوية (ﷺ) على جيش فغزا الروم في البحر. ابن الأثير، أسد الغابة، ج٤، ص ٦٣.

(٦) خلقدونية : مدينة إغريقية قديمة في آسيا الصغرى على ضفة البوسفور في مواجهة بيزنطة. ياقوت الحموي ،معجم البلدان، ج٤،ص١٨٨؛ابن تغري بردي، جمال الدين(٨٧٤هـ /١٤٦٩م)،النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت ، د.ت ،ج١،ص٤٨.

(٧) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب (ت ٢٩٢هـ/٩٠٤م)، تاريخ اليعقوبي ،مطبعة العزى ،النجف،١٣٥٨هـ /١٩٤٠م،ج١، ص ٢٠٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص ٢٠٧.

(٨) يزيد بن شجرة :هو يزيد بن شجرة الرهاوي ، نسبة لقبيلة رهاء المترفعة من مذحج نزل بلاد الشام واستعمله=

لفضالة بن عبيد الله الأنصاري بقيادة ابنه يزيد بن معاوية في فصل الربيع سنة ٤٩هـ/ ٦٦٩م ،إذ هاجموا القسطنطينية التي دافع عنها الامبراطور قسطنطين الرابع ولكن المسلمون انسحبوا في صيف السنة نفسها دون احراز اي نجاح[١]، وأشار ابن الأثير[٢]، أن يزيد بن معاوية اكتسب لنفسه نصر لشجاعة في عدد مرات القتال أمام أبواب العاصمة .

٧. مالك بن هبيرة الكوفي:

نزل البحر مالك بن هبيرة الكوفي[٣] في خلافة معاوية (ﷺ) سنة ٤٨هـ/ ٦٦٨م وكانت حملته من الحملات ابن وجهة الحملة المبكرة التي أرسلها الخليفة معاوية بن أبي سفيان (ﷺ) لاستطلاع أحوال الروم البيزنطيين من أجل فتح القسطنطينية.[٤].

٨. عمرو بن يزيد الجهني:

غزا البحر عمرو بن يزيد الجهني[٥] في خلافة معاوية بن ابي سفيان (ﷺ) سنة ٥٨هـ/ ٦٧٧م وهي من ضمن محاولات الخليفة المستمرة لفتح القسطنطينية[٦].

=معاوية بن أبي سفيان على الجيوش الإسلامية البرية والبحرية واستشهد في غزوة ضد الروم سنة ٥٥هـ /٦٧٤م ،وقيل سنة ٥٨هـ/ ٦٧٧م.ابن الأثير ،اسد الغابة،ج٤،ص٧١٩.

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص ٢٠٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٥٦.

(٢) اسد الغابة، ج٢، ص ١٠٢؛ الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٦٤.

(٣) مالك بن هبيرة : مالك بن هبيرة بن خالد الكندي السكوني، أميراً لمعاوية بن أبي سفيان على الجيوش .ابن الأثير ،اسد الغابة ،ج٤،ص٢٧٨.

(٤)الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص ٢٠٥ ؛ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٥٥.

(٥)عمرو بن يزيد: عمرو بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب أمه أم ولد ذكره الطبري في تاريخه في تسمية ولد يزيد. ابن عساكر ،تاريخ دمشق،ج٤٦،ص٢٧٨؛ياقوت الحموي ،معجم البلدان، ج٣،ص٤٣٦.

(٦) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص ٢٠٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك،ج٣،ص٢٥؛ابن خلدون،العبر،ج٣،ص١٨.

المبحث الثاني: أمراء البحر في عهد القوة للدولة الأموية

محاولات أمراء البحر فتح القسطنطينية:

كان فتح القسطنطينية هو ما شغفت ب المسلمين وأشريت إليه أعناقهم وامتدت إليه أبصارهم، وتزاحمت علي أكتافهم وتسابقت إليها أقدامهم كيف لاو قد تنبأ رسول الله (ﷺ) بفتحها وأمتدح الأمير والجيش قائلاً[١]، (ﷺ) "لتفتحن عليكم القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش"[٢]، فضلاً عن ما كانت تتمتع به القسطنطينية وهي حاضرة البحر المتوسط الكبرى من مركز تجاري وسوقاً ودار لجزء كبير من العالم المتحضر...، فبعد أن استتب الأمر لمعاوية في الشام وصار خليفة المسلمين، بدأ استعداده براً وبحراً لحملة ضد العاصمة، وتطلب مشروع كهذا اسطولاً كبيراً، ولم يتم ذلك كما روى اليعقوبي[٣] ،لا بعد أن تبين للمسلمين أهميته...، وتقدمت بحريتهم، وتأتي أهمية القسطنطينية من موقعها الفريد، فهي تقع عند التقاء القارتين أوربا وأسيا، ويحدها نهر البسفور من جهة الشرق والقرن الذهبي من جهة الشمال، وبحر مرمرة من جهة الجنوب، ولا يمكن الوصول إليها براً إلا من جهة واحدة [٤].

ولقد حرص الامبراطور قسطنطين عند بناء القسطنطينية سنة ٣٢٤م ،والتي بناها بجوار خرائب بيزنطة القديمة وسماها القسطنطينية نسبة اليه، وفي ١١ ايار سنة ٣٣٠م احتفل بافتتاحها، واتخذها عاصمة للإمبراطورية الرومانية، والتي عرفت فيما بعد بالإمبراطورية الرومانية الشرقية، أو الإمبراطورية البيزنطية، والتي لم تضارعها في الأهمية مدينة في العالم آنذاك[٥].

حرص قسطنطين على مد أسوار بحرية حول مدينته الجديدة، امتدت على طول القرن الذهبي، وبحر مرمرة، وكانت البوابة الذهبية الميناء الكبير للقسطنطينية الى جانب الأسوار الداخلية[٦]، وكانت الرياح الشمالية هي الرياح السائدة في منطقة القرن الذهبي، وهذا الأمر جعل من

(١) فهمي، البحرية الإسلامية، ص ٢٨٩.
(٢) أحمد بن حنبل، المسند،ج٤،ص ٣٣٥.
(٣) تاريخ اليعقوبي، ج١، ص ٢٠٠.
(٤) العريني، الدولة البيزنطية، ص ٣٠.
(٥) الدوري، الأمويون والبيزنطيون، ص
(٦) العريني، الدولة البيزنطية، ص ٣٠.

الصعوبة على السفن الدخول الى القرن الذهبي[١]، وعليه فالقسطنطينية بموقعها الجغرافي المميز، ومناعة أسوارها الداخلية والخارجية والبحرية، وبواباتها العسكرية الحصينة، ورياحها الشمالية جعلها مدينة صامدة، تمكنت من صد كل الهجمات الخارجية، فردت غارات القوط والهون والبلغار[٢]، وتربع أباطرتها على حكمها وأقاموا عروشهم وملكهم مطمئنين داخلها، وتعاقبوا على هذه العاصمة من عهد الامبراطور قسطنطين الكبير سنة ٣٣٠م وحتى عهد الامبراطور هرقل(٦١٠-٦٤١م)، والذي بزغ في مطلع حكمه نور الإسلام سنة ٦١٠م، فاهتزت بأشراقه أسوار القسطنطينية، وأخذت قلاعها وحصونها تدك في بلاد الشام ومصر أمام زحف الجيوش العربية الإسلامية معلنة تحريرها، ومتجهة صوب العاصمة البيزنطية لتنهي بذلك أكبر امبراطورية مسيحية في الشرق[٣]، ومنذ أن دخل المسلمون بلاد الشام فاتحين، وهدفهم الرئيس هو فتح القسطنطينية؛ وذلك لنشر الإسلام الذي جاءت رسالته رحمة للعالمين، قال تعالى:﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[٤] ، ولقد أدرك المسلمون أن مثل هذه العملية ليست بالعملية السهلة، فأنشأوا الاسطول الذي بدونه لا يمكن تحقيق أهدافهم[٥]؛ وذلك لأن الموقع الجغرافي للقسطنطينية فرض عليهم ذلك.

حدثت المحاولة الأولى لفتح القسطنطينية في سنة ٣٢هـ/ ٦٥٢م، عندما جهز الخليفة عثمان بن عفان (ﷺ) حملة بقيادة واليه على الشام معاوية بن أبي سفيان (ﷺ) لفتحها، وهذه الحملة ذكرها اليعقوبي[٦] بقوله: "أن عثمان أغزى جيشاً أميره معاوية على الصائفة سنة اثنان وثلاثون من الهجرة فبلغوا مضيق القسطنطينية، وفتحوا فتوحاً كبيرة"، كما ذكرها الطبري[٧] في حوادث العام نفسه "فمن ذلك غزوة معاوية بن أبي سفيان المضيق، مضيق القسطنطينية ومعه زوجته عاتكة أبنة قرظة"

(١) الحميري، الروض المعطار، ص ٤٨١-٤٨٢.
(٢) الأعظمي، الجذور التاريخية، ص ٦٩.
(٣) العريني، الدولة البيزنطية، ص ٣٢.
(٤) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.
(٥) الأعظمي، الجذور التاريخية، ص ٦٩.
(٦) تاريخ اليعقوبي، ج١، ص ١٧٣.
(٧) تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٦٢٧.

ولم تقدم هاتين الروايتين تفاصيل عن هذه الحملة، وهل هي حملة برية فقط، أم كان للأسطول دوراً فيها، ولكننا نستنتج من تكملة لرواية اليعقوبي[١]: "... وصير عثمان إلى معاوية غزو الروم على أن يوجه من رأى على الصائفة، فولى معاوية بن سفيان بن عوف الغامدي ، فلم يزل عليها أيام عثمان"، ويبدو أن هناك سفناً قد رافقت تلك الحملة، والإ كيف يستطيع سفيان بن عوف عبور مضيق البسفور وغزو القسطنطينية، هذا إلا إذا كان الخليفة عثمان (ﷺ) يقصد غزو الروم البيزنطيين في مدينتهم، كما ذكر الطبري[٢]، وذلك لأنه ذكر بأن معاوية (ﷺ) قد اصطحب معه زوجته، وكان العرب المسلمون يصطحبون معهم نسائهم في المعارك البحرية[٣]؛ لأن الخليفة عثمان بن عفان (ﷺ) قد اشترط ذلك على معاوية حين استأذنه في ركوب البحر قائلاً: "فإن ركبت البحر ومعك امرأتك فاركبه مأذوناً لك و الإ فلا"[٤]، فاصطحب زوجته في الغزوة التي توجهت لفتح جزيرة قبرص[٥]، ومما سبق يتضح أن هذه الحملة البرية قد رافقتها بعض السفن الحربية، والتي أراد بها العرب المسلمين العبور إلى العاصمة البيزنطية، وعلى الرغم من أن هذه الحملة لم تحقق أهداف العرب المسلمين في فتح القسطنطينية الإ أنها عززت معنوياتهم وفتحت أمامهم أملاً واقعياً في أن القسطنطينية ستصبح يوماً ما في قبضتهم، وتحت سيطرتهم، وأن هذه الحملة سوف تعقبها غزوات أخرى عديدة إلى أن يتم فتح العاصمة البيزنطية[٦]، وقد عانت بداية الطلائع الأولى لحصار القسطنطينية في بداية العصر الأموي فيما يعرف بالحملات الاستعلامية والتي أرسلها الخليفة معاوية (ﷺ) والتي ومهدت لحصارها الأول سنة ٥٤هـ/ ٦٧٣م والذي استمر كاملة حتى سنة ٦٠هـ/ ٦٧٩م، فقد أخرج معاوية حملات برية وبحرية متتابعة بقصد دراسة الطرق المؤدية الى عاصمة الروم الشرقية، ذكر منها شاتية أمير البحر بسر بن أبي أرطأة بأرض الروم سنة ٤٣هـ/ ٦٦٣م والتي بلغ فيها القسطنطينية، بحسب ما أورده

(١) تاريخ اليعقوبي، ج١، ص ٢٠٥.
(٢) تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٦٢٧.
(٣) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ٥٧.
(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٨.
(٥) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٢، ص ١٤٥.
(٦) الأعظمي، الجذور التاريخية، ص ٧١.

الواقدي[١] وإن كان بعضاً من المؤرخين قد طعنوا في صحة هذا التاريخ[٢]، وحملة بسر البحرية سنة ٤٤هـ/ ٦٦٤م وشاتية أمير البحر مالك بن عبيد الله بأرض الروم سنة ٤٦هـ/ ٦٦٦م، وشاتية مالك بن هبيرة بأرض الروم سنة ٤٧هـ/ ٦٦٧م، وصائفة أمير البحر عبد الله بن قيس الغزاوي بحراً، وغزوة مالك بن هبيرة السكوني بحراً، وغزوة عقبة بن عامر الجهني بأهل مصر في البحر سنة ٤٨هـ/ ٦٦٨م[٣]، وفيما يأتي أشهر أمراء البحر خلال هذه المدة:

١. سفيان بن عوف الغامدي وحصار القسطنطينية الأول ٤٩-٥٠هـ/ ٦٦٩-٦٧٠م:

أرسل الخليفة معاوية بن أبي سفيان (ﷺ) في سنة ٤٩هـ/ ٦٦٨م حملة برية وبحرية بقيادة أمير الجيوش والبحر سفيان بن عوف[٤] لدراسة الطرق المؤدية إلى القسطنطينية[٥]، فسار الجيش مخترقاً هضاب الأناضول وبلغ من اهتمام معاوية بأمر هذه الحملة، والإكسابها قدسية أعظم ، ضم إليها ابنه يزيد الذي صحب الحملة بعض الصحابة وهم عبد الله بن العباس، وعمرو بن الزبير[٦]، وأبو أيوب الأنصاري[٧]، (ﷺ) وأوغلت الحملة في بلاد الروم، حتى بلغ المسلمون القسطنطينية، واشتبكوا مع البيزنطيين في قتال عنيف، وتفانى المسلمون في القتال حتى وصلوا الى خليج القسطنطينية وعلى ضفاف البسفور نقلت السفن العربية الإمدادات لحصار العاصمة البيزنطية[٨]،

---

(١) فتوح الشام، ج١، ص ١٦٩.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص ٢٠٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص ١٧٨.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٢٩؛ ابن خلدون، العبر، ج٣، ص ١١.

(٤) سفيان بن عوف: صحابي شهد فتوح الشام مع أبي عبيدة بن عامر الجراح، واستعمله معاوية بن أبي سفيان على الصوائف، توفي سنة ٥٣هـ/ ٦٧٢م، ولما بلغ معاوية وفاته كتب كتاب إلى الأمصار ينعاه فبكاه الناس في كل مسجد، وكان معاوية إذا رأى في الصوائف خللاً يقول: واسفياناه. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٩،ص ٣٥١.

(٥)ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٥٦.

(٤) عمرو بن الزبير :هو عمرو بن الزبير بن العوام بن أسد بن عبد العزى، القرشي، أمه بنت خالد بن سعيد بن العاص ، توفي سنة٦٦هـ/٦٨٥م . ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن منيع البصري (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، تحقيق: احمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ،ج٧،ص١٨٤.

(٧) أبو أيوب الأنصاري: خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة من بني النجار، صحابي شهد العقبة وبدراً واحداً، والخندق وسائر المشاهد، وكان شجاعاً صابراً تقياً محباً للغزو والجهاد، ولما غزا يزيد القسطنطينية في خلافة أبيه جهزه غازياً فحضر الوقائع، ومرض فأوصى أن يوغل به في أرض العدو فلما توفي دفن في أصل حصن القسطنطينية ، توفي سنة ٥٢هـ / ٦٧٢م . ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد(٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض ،ط١، دار الكتب العلمية – بيروت،١٤١٥هـ/١٩٩٤م ،ج١، ص ٤٠٥.

(٨) ابن خلدون، العبر، ج٣، ص ١٢.

وقرر المسلمون رفع الحصار بعد أن أدركوا أن خير سبيل للاستيلاء على القسطنطينية هو أعداد أسطول قوي يقف على قدم المساواة مع القوات البرية[١]، واستشهد من الصحابة وأبنائهم عدد من الصحابة منهم عبد العزيز بن زرارة الكلابي[٢]، والذي بلغ معاوية (ﷺ) خبر استشهاده فقال فيه "والله هلك فتى العرب"[٣]، وفيها أيضاً استشهد أبو أيوب الأنصاري (ﷺ) مضياف النبي (ﷺ) فدفن بالقرب من أسوارها[٤]، واكتشف قبره أخيراً وحوله الأتراك إلى مرقد ديني يعرف بسيدي أيوب[٥].

وأظهر العرب بذلك مقدرة بحرية فائقة جعلت جزر البحر المتوسط الشرقي تحت رحمة اسطولهم الفتي، على أن تلك الغارات البحرية والبرية أتاحت للعرب ميداناً تدربوا فيه تدريباً واسعاً، وساعدهم على الفوز في أعظم معاركهم البحرية[٦].

٢. عبد الرحمن بن خالد وحصاره الثاني للقسطنطينية ٥٤-٦٠هـ/ ٦٧٤-٦٨٠م :

في الوقت الذي كان فيه أباطرة الروم يبذلون أقصى جهودهم في تحصين عاصمتهم المنيعة، صمم الخليفة معاوية (ﷺ) على اعداد حملة ثانية تستهدف الاستيلاء على القسطنطينية قبل أن يتم أباطرة الروم وسائل الدفاع عنها، وكان للأسطول العربي الإسلامي المكانة الأولى في تلك الحملة، التي سارت طلائعها في سنة ٥٣هـ/ ٦٧٢م بقيادة أمير البحر عبد الرحمن بن خالد، وقد حل فصل الشتاء والاسطول في طريقه إلى ميناء القسطنطينية فألقت السفن مراسيها على شاطئ قلقيلية حتى يتحسن الجو[٧]، وبمطلع الربيع غزت قوات عبد الرحمن بن خالد البحرية، بالتزامن مع مجيء اسطول

---

(١) ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن احمد بن محمد (ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٩م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الارناؤوط، ط١، دار ابن كثير، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ج٧، ص ٥.

(٢) عبد العزيز بن زرارة: عبد العزيز بن زرارة بن جزء بن عمرو بن عوف بن كعب بن أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر الكلابي، قائد من الشجعان، من أشراف العرب، كان يعد سيد أهل البادية في زمانه، عاش في النصف الأول الهجري، أعجب به معاوية (ﷺ) وولاه مصر، كان ذا مال كثير، توفي في قتاله مع الروم في غزوة القسطنطينية سنة ٥٠هـ / ٦٧٠م.ابن عساكر ،تاريخ دمشق،ج١٠،ص٣٥٨؛ ابن الأثير، اسد الغابة، ج٤، ص ١٠٢.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك،ج٥،ص٢٨٠؛ ابن الأثير، اسد الغابة، ج٢، ص ١٠٢.

(٤) ابن الأثير، الكامل في تاريخ، ج٣، ص ٥٧.

(٥) حرب، محمد، العثمانية في التاريخ والحضارة، المركز المصري للدراسات العثمانية ، القاهرة،١٤١٤هـ/١٩٩٤ ،ص٢٢٣.

(٦) العدوي، الأساطيل العربية، ص ٤٧.

(٧) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص ٢٠٥؛ فهمي، البحرية الإسلامية، ص ٢٩٠.

عربي إسلامي آخر بقيادة جنادة بن أبي أمية الأزدي، ورست بعض السفن في أزمير والبعض الآخر على شاطئ قلقيلية، وبمعاونة جيش سفيان بن عوف تمكن العرب المسلمون من النزول إلى جزيرة رودس[١] وانطلقت الأساطيل العربية الإسلامية إلى مياه مضيق الدردنيل دون أن تلقى أي مقاومة، واستولوا على جزيرة أرواد في القسطنطينية واتخذها العرب المسلمون قاعدة لإدارة حملاتهم ضد العاصمة البيزنطية، ولإمداد الجيش المحاصر بالميرة والسلاح والرجال لقطع الطريق على سفن الروم[٢].

وذكر الطبري[٣] في حوادث سنة ٥٤هـ/ ٦٧٣م "فتح جنادة بن أبي أمية جزيرة في البحر قريبة من القسطنطينية يقال لها أرواد... وأن المسلمين أقاموا بها دهراً ، فيها يقال سبع سنين... وجاء نعي معاوية وكتاب يزيد بالقفل فقفلنا، فلم تعمر بعد ذلك وخربت وآمن الروم".

ونلاحظ أن تاريخ فتح هذه الجزيرة يطابق بداية حصار العرب المسلمين للقسطنطينية، وأن تاريخ خروج المسلمين منها يطابق تاريخ نهاية الحصار وعودة القوات الإسلامية، ومن هنا يمكن القول بأن الفتح ربما حدث أثناء سير الاسطول العربي الإسلامي لحصار العاصمة البيزنطية، لاتخاذها قاعدة يغزون منها أرض الروم وتكون بمثابة مأمن لأنفسهم يرسون فيها متى شاءوا[٤]، وأحكم المسلمون الحصار البري والبحري طوال السنة واشتبكت أثناؤه سفن بيزنطية مع السفن الإسلامية في الوقت ذاته الذي استمرت فيه المعارك البرية تدور بين الجيش العربي الإسلامي والبيزنطي[٥]، واتبع المسلمون تكتيكاً خاصاً في هذا الحصار، وكان للأسطول الدور الأعظم فيه، إذ قام الإسطول الإسلامي بنقل الجند إلى البر الأوربي إلى رأس كيليوس ،الواقعة بالقرب من أحد أسوار القسطنطينية المعروف باب الذهب لمحاصرة أسوارها، ثم حدثت مناوشات بين الاسطول العربي والاسطول البيزنطي وبعدها عادت السفن العربية الإسلامية إلى جزيرة أرواد في الشتاء ثم تعاود الهجوم في الربيع[٦]، ويبدو أن هذه العملية تكررت كثيراً فقد استمر الحصار البحري للقسطنطينية من

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٣٣.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج٣، ص ٩١؛ العبادي ، تاريخ البحرية في الشام ومصر، ص ٣٢.

(٣) تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص ٢٤١.

(٤) عنان، حصار القسطنطينية، ص ٢٢٤.

(٥) فهمي، البحرية الإسلامية، ص ٢٩٠.

(٦) المسعودي ،التنبيه والإشراف،ج١،ص١٧٥؛العدوي، الأساطيل العربية، ص ٥٣.

شهر نيسان إلى شهر ايلول، وكانت تضلله المناوشات بين القوات البحرية والبرية الإسلامية والبيزنطية ، فكانت سفن الروم والعرب المسلمين تتصادم من الصباح إلى المساء، وفي الوقت الذي تتراشق فيه القوات البرية بالسهام والقذائف، وظلت المعارك بين الفريقين سجالاً دون أن يستطيع أحدهما التغلب على الآخر(١)، و بحلول الشتاء رفع العرب المسلمين الحصار عن القسطنطينية ؛ بسبب رداءة الأحوال الجوية والثلوج، ولكن العرب المسلمين أظهروا بفضل اسطولهم من الجد والمثابرة ما أثار قلق سكان العاصمة البيزنطية، إذ عادت في شهر أيلول الذي رفع فيه العرب المسلمين الحصار، سفن اسطولهم تحمل الجند إلى جزيرة أرواد، والتي بها قاعدة الاسطول، لتقضي بها فصل الشتاء، وتنتظر تحسن الأحوال الجوية لاعادة الحصار على القسطنطينية(٢)، وبمطلع الربيع عادت سفن الاسطول العربي تحمل الجند الى أسوار القسطنطينية، في حين تابع الاسطول حصار المدينة بحراً كما حدث في السنة الماضية، وقد أنزل الاسطول العربي بالجند المدافعين عن القسطنطينية خسائر فادحة، ولكن دون أن يتمكن من اقتحام الأسوار البحرية، وسرعان ما حل الشتاء مرة أخرى، واضطر الاسطول العربي إلى نقل الجند ثانية إلى جزيرة أرواد(٣)، ويبدو أن هذه العملية قد استمرت سبع سنين كان الاسطول العربي فيها ينقل الجند إلى أسوار القسطنطينية من جزيرة أرواد، ثم يكمل الحصار من البحر ثم يعود فينقل الجند إلى أسوار القسطنطينية إلى جزيرة أرواد ثانية، انتظاراً لمقدم الربيع وتطبيقاً لاسلوب الصوائف والشواتي(٤)، وهذا الأمر يوضح لنا أهمية جزيرة أرواد في ادارة عمليات حصار ومهاجمة القسطنطينية، والتي أشار الطبري(٥) إلى أنه بانسحاب العرب من هذه الجزيرة أمن الروم وذلك لما كانت تسببه لهم من خطر بسبب استقرارهم فيها، وبطبيعة الحال لم يكن البيزنطيون ليتركوا عاصمتهم تسقط بسهولة في يد العرب المسلمين، وعلى الرغم من طول مدة الحصار العربي لعاصمتهم فقد توجب عليهم الدفاع عنها بكل السبل والأسلحة، وهذا ما حدث فعلاً فقد أعد الامبراطور قسطنطين الرابع عدداً كبيراً من الحراقات وقوارب شراعية سريعة مزودة بالنار الاغريقية والذي يرجح أن استخدامها هو الذي أنقذ المدينة(٦)، وعلى الرغم من بسالة المسلمون وأقدامهم، إلا أن هذه النار

(١) ابن خلدون،العبر،ج٢،ص٢٦٤؛ العدوي، قوات البحرية، ص ٦٢.
(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ،ج٥،ص٢٣٩؛العدوي، الأساطيل العربية، ص ٥٣.
(٣) المسعودي، التنبيه و الأشراف ،ج١،ص٢٧٥؛العدوي، الأساطيل العربية، ص ٥٣.
(٤) فهمي، البحرية الإسلامية، ص ٢٩١.
(٥) تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٢٩٣.
(٦) فهمي، البحرية الإسلامية، ص ٢٩١.

تسببت في احراق عدد كبير من قطع الأسطول العربي الإسلامي وبث الذعر والخوف في نفوس المحاصرين للمدينة [١].

وكانت هذه النار الاغريقية المصنعة بطرق كيميائية لم يعرفها العرب المسلمين، قد قتلت منهم ثلاثين ألف، وعاد من بقي من السفن، وعندما كان العرب المسلمين في عرض البحر لحق بهم الجند اليونان المنضوين في الجيش والاسطول البيزنطي، وأشعلوا النار في اسطولهم، فاليونانيين هم أول من استخدم هذه النيران ودأبوا على استعمالها[٢]، وهذا السلاح الخطير أتعب الاسطول العربي لأن كرات النار التي قذفها اسطول الروم كانت تشتعل على الماء وعلى ظهور السفن على السواء، دون أن يعرف العرب إذ ذاك طريقة لاطفائها[٣]، غير أن هذا السلاح الناري الجديد لم يفت في عضد العرب وإنما جاءتهم الامدادات تباعاً، إذ وصل اسطول عربي آخر تحت قيادة سفيان بن عوف، والذي شد من أزر القوات العربية المحاصرة للقسطنطينية، حين أسهمت السفن العربية في مهاجمة أساطيل الروم، وحملتها على الانزواء في موانئ العاصمة، وعلى الرغم من استخدام تلك الأساطيل للنار البحرية الاغريقية[٤]، هبت عاصفة هوجاء على اسطولهم في أثناء عودته، وأتت عليه على مبعدة من شاطئ (بامغيليا) ومع ذلك قام قائد الأسطول البيزنطي الإقليمي (كبيرهايوت) بالهجوم على الأسطول العرب الإسلامي ولحق به خسائر فادحة ،إذ لم يرجع منه إلى جزيرة أرواد ألا القليل من سفنه[٥]، وذكر العريني[٦] بأنه ترتب على فشل الاسطول العربي في حصار ومهاجمة القسطنطينية آثار بعيدة المدى، فيما وراء الامبراطورية البيزنطية، إذ أن خاقان الافار ورؤساء القبائل الصقلبية الضاربة في شبه جزيرة البلقان أرسلوا إلى القسطنطينية السفراء، وأعلنوا احترامهم وولائهم للإمبراطور البيزنطي

(١) العبادي، تاريخ البحرية، ص ٣٣.

(٢) الصلابي ، علي محمد ، معاوية بن أبي سفيان، دار ابن كثير، بيروت، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص ٣٨٧؛ فهمي، البحرية الإسلامية، ص ٢٩١.

(٣) عنان، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلامي، ص ١٠٠.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٨٨؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢١، ص ٣٤٨.

(٥) العريني، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٨٦٩.

(٦) تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٨٦٩.

قسطنطين الرابع، ومن جهة أخرى فإن هذا الفشل قد أوقف زحف المسلمين إلى أوربا من جهة الشرق[١].

وعلى المستوى العربي الإسلامي، وبعد سبع سنين من تلك الحروب المضنية شعر الخليفة معاوية بن أبي سفيان (ﷺ) بدنو أجله، وأنه لابد من سحب الاسطول العربي، والقوات البرية المحاصرة للعاصمة البيزنطية حتى لا تتعرض تلك الحملة إلى الأخطار ما إذا حلت الوفاة به [٢].

وفضَّل الخليفة معاوية الدخول في مفاوضات لعقد هدنة مع الامبراطور قسطنطين الرابع لسحب قواته واسطوله في أمان، وكان الروم يتلهفون على انهاء ذلك الحصار القاسي، ففي سنة ٥٩هـ/ ٦٧٨م أرسل سفراء إلى القسطنطينية مع اقتراح لدفع ضريبة معنوية، واستقبل الامبراطور السفارة الأموية بترحاب، وأرسل إلى العاصمة الأموية دمشق رجلاً يدعى (يوحنا)[٣] والملقب (بثركوريس) والذي يعد من أشهر رجال بيزنطة الدبلوماسيين وأكثرهم ذكاء وفطنة[٤]، وليتفق على بنود المعاهدة والذي استقبله الخليفة معاوية (ﷺ) بحفاوة بالغة، وأحضره جلسات كثيرة في دمشق، ضمت خيرة أبناء البيت الأموي، وأبدى فيها من الاجلال للخلافة الأموية ما اكسبه تقدير الخليفة معاوية نفسه واحترامه، لذا نجحت مفاوضات يوحنا في عقد صلح بين دولته وبين الخلافة الأموية مدته ثلاثون سنة[٥]، ووافق الخليفة على أن يدفع ثلاثة الآف قطعة من الذهب وثمانمائة أسير يطلق سراحهم، وخمسين جواداً من الخيل الجياد[٦]، وبعد عقد تلك المعاهدة عادت الأساطيل العربية الإسلامية والقوات البرية من حصارها للقسطنطينية إلى قواعدها ببلاد الشام، بعد أن أثبت العرب للروم أن عاصمتهم ليست بعيدة المنال عن قبضة البحرية العربية الناشئة وضرباتها المؤلمة[٧]، وتعد تلك الحملة البحرية على القسطنطينية دليلاً على قوة العرب المسلمين، وقدرتهم على اكتساب الخبرات في الميدان البحري في سرعة فائقة، إذ عرف أمراء البحار العرب طبيعة المنطقة التي شغلتها العاصمة

---

(٧) الصلابي، معاوية بن أبي سفيان، ص٣٨٧ .

(٢) العبادي، تاريخ البحرية، ص ٣٤.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص ٣٧٠.

(٤) العدوي، الأساطيل العربية، ص ٥٤.

(٥) عنان، مواقف حاسمة في التاريخ الإسلامي، ص ٣٣-٣٦.

(٦) الواقدي ، فتوح الشام، ج٢،ص٧٣ ؛ العدوي، قوات البحرية، ص ٥٧-٦١.

(٧) الصلابي، معاوية بن أبي سفيان، ص ٣٨٩.

البيزنطية، وقوة أسوارها، ومدى استحكاماتها عند ذلك على اسس من الدراسة والتمحيص والتدقيق دون الاعتماد على الارتجال ويدل على ذلك اختيار جزيرة أرواد القريبة من القسطنطينية لتكون مركز لحركات الاسطول العربي في الصيف والشتاء في مياه تلك العاصمة، وكذلك دلت أحداث الحصار البحري على أن العوامل الطبيعية من تدفق التيارات المائية والريح وتساقط الثلوج على السفن كانت من العوامل الرئيسة التي عرقلت استيلاء الاسطول العربي الإسلامي على العاصمة البيزنطية[١]،

وعلى الرغم من ذلك لم تستغل الدولة البيزنطية عدم نجاح الأسطول العربي الإسلامي في اقتحام عاصمتها ، مما اوقعها في خطر كبير، ساعد على حصار القسطنطينية للمرة الثالثة [٢].

٣. سليمان بن معاذ الانطاكي وعمر بن هبيرة الفزاري ومسلمة بن عبد الملك وحصار القسطنطينية الثالث ٩٩-١٠٠هـ/ ٧١٧-٧١٨م:

لم يحاول العرب المسلمين بعد أن أخفقوا في فتح القسطنطينية سنة ٦٠هـ/ ٦٧٩م، أن يعودوا للمحاولة الثالثة إلا في سنة ٩٩هـ/ ٧١٧م، ولكنهم كانوا قد استغلوا هذه المدة في استكمال سيطرتهم على سواحل البحر المتوسط، ومد قواتهم إلى جزره، وفتح بعضها واشغال الأخرى في الدفاع عن نفسها، ويبدو أن ذلك كان ضمن خطة بعيدة المدى لتوفير ظروف أفضل وطرق أكثر أماناً للوصول إلى القسطنطينية[٣]، وكان النشاط البحري العربي أصبح قليلاً بعد وفاة الخليفة معاوية(ﷺ) (سنة ٦٠هـ/ ٦٧٩م،) وخيم الهدوء على الغزوات البحرية العربية الإسلامية، ولا يرجع ذلك فقط إلى أن العرب المسلمين قد فتحوا معظم الجزر المنتشرة في شرق البحر المتوسط، وهزموا ودمروا الاسطول البيزنطي في أكثر من معركة، وسيطروا على الملاحة البحرية في حوض البحر المتوسط، ولكنه يرجع إلى الأوضاع الداخلية في الدولة الأموية، والمتمثلة بوصول يزيد بن معاوية للخلافة (٦٠-٦٤هـ/ ٦٧٩-٦٨٣م) ودخوله في صراع مع معارضيه[٤]، وقد استمر هذا الفتور البحري الإسلامي في البحر المتوسط حتى خلافة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/ ٦٨٤-٧٠٥م) والذي ما أن قضى على

(١) الصلابي، معاوية بن أبي سفيان، ص ٣٨٩.

(٢) فهمي، البحرية الإسلامية، ص ٢٩٢.

(٣) الخربوطلي، الإسلام في حوض البحر المتوسط، ص ٢٢؛ العريني، الامبراطورية البيزنطية، ص ١٥١.

(٤) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ٢٢٥.

الثورات الداخلية حتى وجه اهتمامه نحو البحر، فأولى الحملات البحرية عناية واهتمام كبيرين، وحاول اعادة سيطرة المسلمين على البحر المتوسط ولاسيما الجزر التي لم تستقر فيها أقدام المسلمين[١].

و عندما توفي الخليفة عبد الملك بن مروان سنة ٨٦هـ/٧٠٥م تولى ابنه الوليد الخلافة (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٤م)[٢]، والذي يعد عصره هو عصر الفتوحات الكبرى براً وبحراً، فقد تم الاعداد لحملة مسلمة بن عبد الملك في عهده، ولكنه توفي قبل أن يحقق أهدافه، فاستكمل هذا المشروع سليمان بن عبد الملك بعد توليه الخلافة (٩٦-٩٩هـ/ ٧١٤-٧١٧م)[٣]، ففي عهد الامبراطور البيزنطي (ثيوديوس) المعروف بالارمني (٩٧-٩٩هـ/ ٧١٥-٧١٧م)، والذي كان ملكه في السنة التي بويع فيها الخليفة سليمان بن عبد الملك بالخلافة[٤]، وبعث أخاه مسلمة بن عبد الملك أميراً على الجيش والاسطول لغزو القسطنطينية براً وبحراً سنة ٩٩هـ/٧١٧م.[٥].

واختلفت المصادر التاريخية حول الأسباب التي دفعت الخليفة سليمان بن عبد الملك إلى ارسال هذه الحملة القوية، فصاحب كتاب العيون والحدائق[٦] حدثَّه جماعة من العلماء أن الخليفة الذي سيفتح القسطنطينية اسمه اسم نبي، لما ولي سليمان الخلافة ولم يكن في ملوك بني آمية من اسم نبي غيره، فطمع فيها، لذلك ولم يشك أنه الذي يلي ذلك فندب أخاه مسلمة وقطع معه البعوث على أجناد الشام والجزيرة وجمع آلات الحرب للصيف والشتاء، تم عقد لمسلمة على الجيش براً والإسطول بحراً.

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٢٦.

(٢) الطبري، تاريخ الرسال والملوك، ج٣، ص ٦٦٩.

(٣) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ج١، ص ٢٤١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص ٦٨١.

(٤) العريني، الدولة البيزنطية، ص ٨٦٩.

(٥) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٢١٠.

(٦) مؤلف مجهول، مكتبة المتنبي، بغداد، د.ت، ج٣، ص ٣٤.

وفي رواية الكتبي[١] أنه "لما قدم على سليمان بن عبد الملك، موسى بن نصير من ناحية المغرب، ومسلمة بن عبد الملك، فبينما هو على ذلك، إذ جاءه الخبر أن الروم خرجت على ساحل حمص، فغضب سليمان، وقال "والله لأغزونهم غزوة افتح بها القسطنطينية أو أموت من دون ذلك".

ولا يمكن جعل هاتين الروايتين في مقدمة الأسباب التي دفعت الخليفة سليمان بن عبد الملك للتفكير في غزو القسطنطينية براً وبحراً، ولكن يبدو أن المسلمين، وبعد أن قطعوا شوطاً كبيراً في فتوحاتهم، أدركوا بأن الوقت أصبح مناسباً للبدء في هذا المشروع[٢]، وعلى أية حال فإن هذه الحملة سارت سنة ٩٨هـ/ ٧١٦م، و جهز الخليفة سليمان حملتين إحداهما برية والأخرى بحرية من ١٨٠٠ سفينة بقيادة عمر بن هبيرة الفزاري، وجعل على كلتا الحملتين مسلمة بن عبد الملك أميراً مزوداً بالآلات لاسيما آلات الحصار [٣]، وسار الأسطول الإسلامي، حتى اجتاز مضيق الدردنيل وبحر مرمرة، وحاصر القسطنطينية، من جهة البحر وكانت الخطة التي سار عليها المسلمون أول الأمر هي قطع المواصلات البحرية بين القسطنطينية، وبين البحر الأسود شمالاً وبينها وبين بحر مرمرة وبحر ايجة جنوباً، لذلك انقسم الاسطول العربي إلى قسمين رابط القسم الأول منه على الشاطئ الأسيوي في تغزي يوثروبوس وافتيموس ليحول دون وصول الامدادات الواردة من بحر الأرخبيل، واحتل الآخر ساحل البسفور الأوربي لقطع كل صلة للمدينة بثغور البحر الأسود[٤]، وكان مسلمة قد سار بالجيش عبر آسيا الصغرى، وعبر الهلسبونت عند أبيدوس، إذ ليس من المعروف كيف عبر مسلمة بن عبد الملك المضائق، وأشار المسعودي [٥]إلى "أن الاسطول ذهب بحثاً على مسلمة في أبيدوس" ، وفي اليوم الثاني من شهر المحرم سنة ٩٩هـ/ ٧١٧م تقدم مسلمة نحو القسطنطينية وعسكر أمامها وطوقها بخندق ومشار من الحجارة الضخمة غير مغطاة بالاسمنت[٦]، ووافق ذلك وجود امبراطور بيزنطي قوي هو (ليو الثالث الاسبوري)، والذي تأثر بالمسلمين في تحريم الايقونات، فأمر بتحطيم الصور

(١) محمد بن شاكر بن احمد (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) ، فوات الوفيات، تحقيق: احسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت، د.ت، ج٢، ص ٧٠.

(٢) الخربوطلي، الاسلام في حوض البحر المتوسط، ص ٢٣.

(٣) مؤلف مجهول، العيون والحدائق ، ج٣، ص ٣٩.

(٤) عنان، حصار العرب القسطنطينية، ص ٣٧٨.

(٥) مروج الذهب، ج٢، ص ٤٥٥.

(٦) فهمي، البحرية الإسلامية، ص ٢٩٣.

والتماثيل داخل الكنائس والأديرة، وحرم تصوير الشخصيات الدينية المقدسة[١]، و على الرغم من ذلك كان من أشد المدافعين لمنع دخول المسلمين القسطنطينية، على لرغم مما ذكره المؤرخون المسلمون من أنه كان قد اتفق مع الخليفة سليمان بن عبد الملك على أن يسلم له القسطنطينية إذا ساعده في الوصول إلى العرش بدلاً من الامبراطور ثيودوسيوس[٢] ، وأمام مدينة عمورية التي كان مسلمة قد دخلها دارت المفاوضات بين ليو الثالث ومسلمة بن عبد الملك، على أن يسلم ليو جميع كنوز الإمبراطورية، وذكر الطبري[٣] المفاوضات بين ليو وعمر بن هبيرة قائد الاسطول العربي، والذي كان قد حاصر عمورية، وذكر صاحب كتاب العيون والحدائق[٤] أن البيزنطيين أرسلوا نبيلاً رومانياً، يطلق عليه ذا الأربعين ذراعاً وخولت له جميع السلطات في المفاوضات، واتفق مع عمر بن هبيرة ولكن المصادر الأخرى لم تذكر هذا الاسم الغريب وأعد الامبراطور ليو الثالث القسطنطينية لكي تصمد للحصار الذي كان يهددها من هجمات المسلمين، وذلك بأن نظم الدفاع عنها، وأمد أسوارها بالآت الحصار، وبناء على ما ذكره الطبري[٥] أن مسلمة أمر كل فارس أن يجعل مدين من طعام حتى يأتي القسطنطينية، ولم يمسها أحد ؛لأن رجاله كانوا قد عاشوا على ما غنموا أثناء خروجهم وما بذروه، ثم بني بيتاً من الخشب، وقعي الشتاء هناك، وأحاط بالمدينة من جانب البر، ورغب البيزنطيون في أن يفتدوا امبراطوريتهم بأن يدفعوا عن طيب خاطر أتاوة من ذهب عن كل مواطن بيزنطي، ولكن هذا العرض قابله مسلمة بكل ازدراء[٦].

وبعد وصول مسلمة على أسوار القسطنطينية بستة عشر يوماً، كما سجلت الحوليات البيزنطية، وصل اسطول بقيادة سليمان بن معاذ الانطاكي[٧] نائب مسلمة والذي حل محل عمر بن

---

(١) توفيق، عمر كمال، الدولة البيزنطية، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٢٠٩.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٢٨٩.

(٣) تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص ٢٩٠.

(٤) مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ج٣، ص ٣٢.

(٥) تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٢٩١.

(٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص ٤١٩.

(٣) سليمان بن معاذ الأنطاكي: أمير البحر سليمان بن معاذ الأنطاكي، قائد الأسطول البحري الموجه إلى القسطنطينية، وقادة حملة الاستطلاعية لتدمير عمورية ؛ نظراً لخلوها من الحامية العسكرية. مؤلف مجهول، العيون والحدائق،ج٣،ص٢٨ ؛عبابنة ،علي إبراهيم مصطفى، خلافة سليمان بن عبد الملك ٩٦-٩٩هجري، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية ، فيرجينيا،١٤٣٣هـ /٢٠١١،ص١٨٤.

هبيرة بعد أن اتهمه مسلمة بالخيانة[١]، وصل هذا الاسطول وكان قوامه ثماني عشر ومائة سفينة حربية كبرى وقوارب شراعية سريعة، وكان أول عمل قام به سد المنافذ والمرافئ المائية التي يمكن أن تحصل منها العاصمة على الامداد والمؤن ثم فرض حصاراً على الأسوار البحرية، كما احتل الاسطول العربي مدخل البسفور الجنوبي لقطع الاتصال بين القسطنطينية وبحر مرمرة، إذ أنه من دون مساعدة قوة بحرية فلن يتمكن الجيش من انجاز الكثير في القسطنطينية[٢]، وانتظر أمير البحر سليمان الأنطاكي يومين من دون أي نشاط حتى يتمكن من تقدير الموقف ثم انتهز فرصة هبوب رياح جنوبية طيبة، وأبحر شمالاً ليحتل مدخل البسفور الشمالي، واتخذ جزء من الاسطول مركزه على الساحل الآسيوي عند مخرج البوفاز بينما يقود هو اسطولاً آخر ماراً بالمدينة ليغلق قناة المدخل ويقطع اتصالها بالبسفور، كما اتبع الاسطول سفن تجارية كبيرة تحمل كلاً منها مائة جندي [٣].

أدرك الامبراطور (ليو الثالث) الموقف حين رأى عمليات المسلمين فقاد اسطولاً من القرن الذهبي وهاجم سفن النقل وأحرق عشرين سفينة منها بالقاء النار الاغريقية عليها[٤]، وكانت الروم قد وضعوا السلاسل الحديدية في البحر والتي عرفت بالمآصر للحيلولة دون دخول الاسطول العربي الإسلامي القرن الذهبي، وفي محاولة من الامبراطور (ليو الثالث) لخداع المسلمين أمر بازالتها سراً أملاً في أن يحاول المسلمون أن يلجوه، ولكنهم اكتشفوا الخدعة وخشوا من الوقوع في الفخ فأرسوا سفنهم على بعد ثمانية أميال شمال المدينة [٥].

وشجع هذا الفوز سكان القسطنطينية، ومر على الجيش والاسطول الاسلامي شتاء قارس ، وغطت الثلوج الأماكن الواقعة حول العاصمة أسابيع كثيرة وقاسى البرودة وخسر الجيش الكثير من الخيل والابل[٦]، ومما زاد الطين بلة موت أمير البحر سليمان الأنطاكي[٧]، ولكن تجدد الأمل وجددت الامدادات العسكرية بحلول فصل الربيع، فأتى اسطول اعد بالإسكندرية بالإمدادات لمسلمة بن عبد

(١) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ١١٩.
(٢) فهمي، البحرية الإسلامية، ص ٢٩٣.
(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٣٥٩.
(٤) فهمي، البحرية الإسلامية، ص ٢٩٢.
(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٣٠٩؛ مؤلف مجهول، العيون والحدائق ، ج٣، ص ٣٣.
(٦) فهمي، البحرية الإسلامية، ص ٢٩٤.
(٧) ابن عساكر ، تاريخ دمشق،ج١٣،ص١٠٦ ؛ فهمي، البحرية الإسلامية، ص ٢٩٤.

الملك مكون من٣٦٠ سفينة عربية، أبحرت مارة بالقسطنطينية ودخلت البسفور، ووصل اسطول آخر لا يقل عنه عدداً وعدة من افريقيا بعده بقليل لمهاجمة شواطئ البسفور البحرية الذين كان أمراء البحر عليهما ابن أبي بردة قائد الاسطول الافريقي وشريح بن ميمون أميراً على الاسطول المصري[١]، بينما ذكر اليعقوبي[٢] أن الخليفة سليمان أرسل عمر بن قيس براً وأرسل عمر بن هبيرة بحراً ،وكان على ظهر هذين الاسطولين كثير من البحارة الأقباط، ولكن هرب بعضهم تحت جناح الظلام إلى القسطنطينية في قواربهم، إذ أدلوا للامبراطور البيزنطي (ليو الثالث) بمعلومات قيمة[٣]، وسرعان ما أرسل ليو بالنار الاغريقية لتدمر سفن المسلمين وحقق له ما أراد ، إذ أمكنه أن يقضي على جزء من القوة البحرية الإسلامية، فأحرق بعض السفن والبعض الآخر جنح على الشاطئ واستولى الاسطول البيزنطي على البعض الآخر [٤].

وذكر المؤرخون المسلمون أنه لم يجرؤ رجل أن يخرج وحيداً دون رفيق، واضطر المسلمون إلى أن يعيشوا على لحم دواب الحمل وجذور النباتات والجلود[٥]، وبعد هذا التلاحم أمكن للاسطول الإسلامي أن يغطي اتصاله بالبحر المتوسط، ولكنه لم يتمكن من عزل المدينة عن البحر الأسود، وبدت دلائل فشل هذا الحصار، وبعد مدة صغيرة وصل جيش من سوريا ليشد أزر المسلمين واحتل الشاطئ الآسيوي للبسفور، وفي الوقت نفسه تفشت المجاعة والقحط بين المسلمين[٦]، وفي الوقت الذي جاءت قوة بلغارية تساعد الامبراطور، وأغاروا على المسلمين في الأرض المقدونية وأنزلوا بهم خسائر جسيمة.[٧]، وفي هذه المرحلة من الحصار توفي الخليفة سليمان بن عبد الملك سنة ٩٩هـ/ ٧١٧م وخلفه عمر بن عبد العزيز(٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م)، الذي أمر مسلمة بن عبد الملك أن يعود فوراً[٨]، وكان هذا الأمر على غير رغبة قائد الجيش مسلمة[٩]، ولكن في صيف سنة ١٠٠هـ/

(١) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ج١، ص ١٢٩.
(٢) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٣٦٩.
(٣) فهمي، البحرية الإسلامية، ص ٢٩٤.
(٤) الصلابي، تاريخ معاوية بن أبي سفيان، ص ٣٩١.
(٥) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٣٧٠؛ مؤلف مجهول، العيون والحدائق ، ج٣، ص ٣٢.
(٦) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٣٧.
(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ١٩.
(٨) خليفة ابن خياط، تاريخ خليفة ابن خياط ،ص٣١٦؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٣٥٤.
(٩) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٣٧٣.

٧١٨م أصبح الموقف في منتهى الحرج، ففي اليوم الثالث عشر من محرم سنة ١٠٠هـ/ ٧١٨م بدأ الانسحاب بعد أن طال الحصار لسنة كاملة، وعاد الجيش إلى سوريا عن طريق آسيا الصغرى، ولكن الاسطول كان اقل حظاً ، إذ هبت عليه عاصفتان واحدة في هلسبنت والآخرى في بحر الأرخبيل ولم ينج بسببها إلا عشرة سفن واستولى البيزنطيون على خمس منها، ولم يبقى من مائة وثمانية سفينة، سوى خمس فقط والتي تمكنت من العودة إلى بلاد الشام(١)، وكان مسلمة قد بنى مسجداً للمسلمين في القسطنطينية بناءً على اتفاق سابق مع الامبراطور ليو الثالث الاسيوي (٢).

اسباب فشل العرب المسلمين في فتح القسطنطينية:

تعددت الآراء واختلفت الروايات حول فشل مسلمة بن عبد الملك وأمراء البحر وقواده في فتح القسطنطينية، و على الرغم من بسالتهم وانتصارهم في البداية، وأرجع بعض المؤرخين البيزنطيين فشل هذا الحصار إلى الاسطول البيزنطي والذي قالوا عنه "انه كسب جل الفضل روعة دفاعة، فقد حارب في استعداد تام، ونظام يثير الاعجاب، وكان يوجه بطريقة تنم عن براعة، وتعقب العرب المتفرقين وثم تدمير عدتهم البحرية العظيمة(٣)، و على الرغم من هذا فلم يكن الاسطول البيزنطي متفوقاً على اسطول المسلمين الذي منحهم القدرة على الحصول على المؤن من مصر وسوريا، وكان من أشق الأمور أن تنتقل قوات كبيرة عبر الأراضي السورية القليلة السكان عن نقلها بحراً، وكان الاسطول البيزنطي متفوقاً بالنار الاغريقية التي كانت تنقص الاسطول العربي في ذلك الوقت فقد كانت هذه النار السبب المباشر لحماية القسطنطينية من الحصارين الذين فرضهما مسلمة بن عبد الملك عليها (٤).

وعلى النقيض من هذا فإن المؤرخين المسلمين يرون أن فشل الهجوم يرجع إلى الدور الذي لعبه كل من مسلمة بن عبد الملك وليو الثالث، فإن نفاق ليو الثالث ودهائه الذي ادعى أنه يحسن التحدث بالعربية بجانب اليونانية لم يمكنه فقط من الاحتفاظ بالسلطة لنفسه بل مكنه من انقاذ

(١) المسعودي، التنبيه والأشراف،ج١،ص ١٤١؛ فهمي، البحرية الإسلامية، ص ٢٩٥.
(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ٢٢.
(٣) فهمي، البحرية الإسلامية، ص ٢٩٥.
(٤) العبادي، تاريخ البحرية، ص ٣٨.

القسطنطينية [١]، إلا أنه أتخدع بحيلة وأهلك مسلمة بن عبد الملك مؤنته من الغلال التي كما ذكر ابن الأثير[٢] "أنها كانت مكروسة لتزويد العاصمة فقط"، ويقال :أن ليو لم يقع فريسة لخدعة العرب، وانه كان يعتقد انه يغل بمسلمة ما يشاء[٣]، ولخص صاحب كتاب العيون والحدائق [٤]، أن نبالة مسلمة وقوة احتماله عوضا عن وعدم جود من يعتد برأيهم.

وهكذا فشل مسلمة في حملته التي أحسن بدايتها، فهذا يرجع إلى ضعفه أمام حيل الإمبراطور ليو الثالث الذي من مبدئه أن الغاية تبرر الوسيلة، ويجب ألا يغيب عنا أن المسلمين قضوا شتاءً قارساً غير عادي، وحتى حين انسحابهم كانت الطبيعة نفسها غير مؤاتية لهم فالعواصف الهوجاء شتتت ما تبقى من سفنهم [٥].

و نخلص مما تقدم أنه يرجع سبب فشل المسلمين في الاستيلاء على القسطنطينية إلى عوامل مجتمعة، فتحصينات المدينة الطبيعية لا يتيسر اطلاقاً التغلب عليها وكانت تتكون من الأسوار العالية البرية، والتي اقيمت في القرن الخامس الميلادي من جدار داخلي وآخر خارجي، وكانت الأسوار الداخلية على بعد بضع أمتار خلف الأسوار الأمامية وأعلى منها حتى يمكن قذف النار الإغريقية من أربع مستويات مختلفة على المحاصرين، أما أسوار البحر فكانت أقل مناعة لعزلتها ، ولكن الاسطول البيزنطي كان يحميها ومع أن الاسطول لم يكن متفوقاً على الأسطول العربي الإسلامي[٦]، إلا أنه كان مرابطاً في مأمن في مياه القرن الذهبي، تحميه السلاسل العظيمة التي مدت عبر المدخل، لذا لم يقدر المسلمون على مهاجمة واجهة المدينة من جهة البحر، إذ يكونون عرضة لهجوم مضاد من المراكب البيزنطية التي يمكن ارسالها من القرن الذهبي[٧]، فضلاً عن خيانة الامبراطور ليو لمسلمة بن عبد الملك، والذي اطلع أثناء مرافقته لمسلمة في مرعش على خطط المسلمين المجربة، فقام

(١) مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ج٣، ص ٣٦.
(٢) الكامل في التاريخ، ج٥، ص ١٠٩.
(٣) فهمي، البحرية الإسلامية، ص ٢٩٥.
(٤) مؤلف مجهول ، ج٣، ص ٣٦.
(٥) فهمي، البحرية الإسلامية، ص ٢٩٦.
(٦) الخربوطلي، الإسلام في حوض البحر المتوسط، ص ٢٤.
(٧) الخربوطلي، الإسلام في حوض البحر المتوسط، ص ٢٤.

باغلاق مدخل مضيق البسفور بسلاسل مخفية لعرقلة سير السفن الإسلامية فيه[١]، وقد انعكس هذا الأمر سلباً على معنويات المقاتلة من المسلمين، إذ نفدت الاقوات وأكل العسكر الميتة ، وقتل خلق كثير منهم فأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز مسلمة بالرجوع بالجيش إلى بلاد الشام [٢].

ومن أسباب الفشل أيضاً أنه عندما قام رجال الاسطول العربي الإسلامي بتنفيذ خطة الحصار على مضيق البسفور وقعت كارثة قلبت الخطط الإسلامية رأساً على عقب[٣]، إذ كانت هذه المنطقة صعبة الملاحة حالها حال كل مضائق هذا البحر، فقد كان هذا التيار المنحدر من البحر الأسود تيار شديد، فعندما حاولت السفن العربية عبور هذا المضيق حدث أن اشتدت الرياح، وتعالت الأمواج مما زاد الأمر سوءاً، وكانت النتيجة أن وقع الاضطراب بين سفن المسلمين وبالنار الإغريقية[٤] أجهزت السفن البيزنطية على الأسطول العربي ودمرته[٥]، ويعد هذا من الأسباب الرئيسة في انهاء هذا الحصار؛ لأن المسلمين خسروا عدد كبير من سفنهم [٦].

وبالغ الروم في كتمان هذه النار ومكوناتها وبقى هذا الأمر سراً لمدة طويلة إلى أن اطلع العرب المسلمون عليها، وتتكون هذه النار من النفط والكبريت والاملاح فضلاً عن الجير وأضاف الحموي[٧] بأنها تتكون من بعض الرانتجات والدهون وتكون عبارة عن العربة سائل يطلق من المدافع تشد في مقدمة السفينة فيقذفون فيها السائل مشتعلاً[٨]، ومن خصائص هذه النار أنها تلتصق بأي

(١) لويس، ارشيالد، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة: أحمد محمد عيس ومحمد تفيق غربال، النهضة المصرية، القاهرة، د. ن، ص ١٠٤.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص ٢٣٤.

(٣) الخربوطلي، الإسلام في حوض البحر المتوسط، ص ٢٤.

(٤) النار الإغريقية : أحد الاكتشافات المشرقية ،أخترعها رجل سوري الأصل يدعى(كالينوس) وهومن مواطني بعلبك ،سائل شديد الاشتعال، استعمله البيزنطيون كسلاح حربي للمرة الأولى سنة ٦٧٨م.سلامة،أمين،الأساطير اليونانية والرومانية، هنداوي، بيروت ،د.ت،ص٩١؛لويس ،القوى البحرية والتجارية،ص٩٧.

(٥) عنان، حصار العرب للقسطنطينية، ص ٣٧٨.

(٦) العريني، الدولة البيزنطية، ص ١٨٨.

(٧) تاريخ الأسطول العربي، ص ٦٩.

(٨) الحموي، تاريخ الاسطول العربي، ص ٦٩.

شيء تلامسه حتى الماء، وتدمر كل ما تنصب عليه[١]، وقد سميت هذه النار أيضاً بالنار الحربية [٢].

وتعد النار الإغريقية من أخطر وسائل القتل والتدمير في العصور الوسطى، والتي لها تأثيراً كبيراً على ميزان القوى البحرية في البحر المتوسط ابان تلك المدة، إذ مكنت البيزنطيين من المعاودة والظهور في شرق البحر المتوسط والانتصار على الاسطول العربي[٣]، ويعد استخدام البيزنطيين لهذا السلاح واحداً من أهم الأسباب التي مكنتهم من التصدي للعرب المسلمين أثناء حصارهم للقسطنطينية[٤]، إلى جانب التنظيم البحري البيزنطي، إذ أدرك البيزنطيون قوة المسلمين البحرية النامية والتي تستلزم أجراًء مضاداً فقاموا بتشكيل لوائين بحريين وكان على رأس كل لواء (اميرال) وليس قائد، وهذان اللواءان هما الكيبورهيوت البحري، ولواء البحر الايجي، وهذان اللواءان هما اللذان تصديا للعرب المسلمين أثناء حصارهم القسطنطينية [٥].

كل هذه العوامل حطت أمل المسلمين في الاستيلاء على القسطنطينية[٦] ، وما أن تسلم عمر بن عبد العزيز الخلافة إلا وأمر بعودة الجيش والأسطول، إذ لم يكن هذا الخليفة ميالاً إلى زج المسلمين في فتوحات بعيدة [٧].

إن محاولات فتح العرب المسلمين للقسطنطينية، كانت تعتمد على الأسطول بالدرجة الأساسية ولولا الأسطول لم يتمكنوا من الوصول إلى أسوار القسطنطينية وفرض الحصار عليها، لذلك يمكن القول بأن محاولات العرب المسلمين لفتح القسطنطينية كانت محاولات بحرية بالدرجة الأولى وكان لتلك المحاولات أهمية كبيرة وفتح المدينة له تأثير كبير على الغرب الأوربي نجو عام

(١) عنان، مواقف حاسمة، ص ١٠٠.
(٢) العريني، الدولة البيزنطية، ص ١٥٠.
(٣) لويس، القوى البحرية والتجارية، ص ٩٧.
(٤) العريني، الدولة البيزنطية، ص ١٥٥.
(٥) رنسيمان، الإمبراطورية البيزنطية، ص ٧٧.
(٦) ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، تحقيق: احمد عبيد، ط١، مطبعة الرحمانين، القاهرة، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م، ص ١٦٥.
(٧) ابن الجوزي، سيرة عمر بن عبد العزيز، تحقيق: محي الدين الخطيب، مطبعة المؤيد، القاهرة، د.ت، ص ١٥٦.

وهذا ما أشار إليه عنان[١] ،"انه لو ظفر العرب بالاستيلاء على القسطنطينية لتغيرت معايير التاريخ ونشأت في أوربا أمم غير الأمم الحالية، وقام دين غير النصرانية لكان مرجحاً أن يسود الإسلام والعربية أمم الشمال".

كانت المدة بين عامي ١٠٠ هجرية إلى ١٢٥ مدة انحسار حركة الجهاد البحري لاسيما خلال مدة حكم الخليفة عمر بن عبدالعزيز، ثم تلتها مدة حكم يزيد بن عبد الملك الذي عمد إلى نقض كل إصلاحات سلفه، ولم يكن موفقا في حركة الجهاد، إلى أن جاء اخوه هشام بن عبد الملك، الذي يعتبر من طراز الخلفاء الأقوياء في الدولة الأموية، لكن برغم ذلك لم تشهد الجبهة البيزنطية نشاطا عسكريا قويا، ولاسيما بعد فشل حملة القسطنطينية الأخيرة في عهد سليمان بن عبد الملك، لذلك يبدوا أن العرب المسلمين لم يفكروا خلال هذه المدة بمواصلة الجهاد البحري.

٤- الأسود بن بلال المحاربي:

تتابعت حملات الأمويين البحرية في البحر المتوسط، و كان أغلبها في صقلية وسردينيا وبلاد المغرب، وممن تولوا أمارة البحر في مرحلة الضعف في البحرية الأموية :

استعمله الخليفة الوليد بن يزيد (١٢٥-١٢٦هـ/ ٧٤٢-٧٤٣م) على البحر، وبعثه في سنة ١٢٥هـ/ ٧٤٢م في حملة بحرية إلى جزيرة قبرص، وأمره أن يخير أهلها بين العيش في جوار المسلمين في بلاد الشام، أو العيش في بلاد الروم، فانقسم الناس فمنهم من اختار المسلمين فنقلهم إلى بلاد الشام ومنهم من اختار الروم[٢] فنقلهم الأسود بن بلال إلى هناك [٣].

لم نتمكن من العثور عن الأسباب التي دفعت المسلمين إلى إخلاء الجزيرة ، ولكن يمكن الاستنتاج بأنها كانت أسباباً أمنية، وربما بسبب الفتن وتردي الأوضاع السياسية والعسكرية الداخلية

---

(١) مواقف حاسمة، ص ٤٣.

(٢) الطبري ،تاريخ الرسل والملوك ،ج٤،ص٢٣٢؛ابن خلدون ،العبر ،ج٣،ص١٦٨.

(٣) الأسود بن بلال المحاربي : الأسود بن بلال المحاربي ، من ساكني داريا، والي بيروت، امره الوليد بن يزيد ،على جيش البحر، وأن يسير إلى بلاد الشام، فاختار طائفة منهم جوار المسلمين ، فنقلهم إلى الشام .ابن عساكر ،تاريخ دمشق،ج٩،ص٦٧.

في الدولة الأموية في ذلك الوقت، وعدم قدرة السلطة الأموية على تأمين الحماية اللازمة لسكان الجزيرة[١].

وسقطت الدولة الاموية سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م ، وقامت الدولة العباسية في العراق والتي ورثت العداء العربي الاسلامي البيزنطي[٢] وكان عليها توجيه أمراء البحر في عهدها الطويل لمواجهة الخطر البيزنطي، المستمر على الخلافة الإسلامية.

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٢٩٣.

(٢) ابن خلدون، العبر،ج٣،ص٢١٨.

الفصل الثالث:

أمراء البحر في العصر العباسي

المبحث الأول: أمراء البحر في نشأة الدولة العباسية.

المبحث الثاني: أمراء البحر في عصري المهدي وهارون الرشيد.

المبحث الثالث: أمراء البحر إلى نهاية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي.

المبحث الأول : أمراء البحر في نشأة الدولة العباسية.

قامت دولة بني العباس أثر دعوة طويلة امتدت أكثر من ثلاثين سنة فيما عرفت بالدعوة العباسية في خراسان وبلاد ما وراء النهر، ونجحت تلك الدعوة في التمهيد لقيام الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م(١)، والتي استمر حكمها أكثر من خمسة قرون من الزمان، حتى أسقطها المغول في بغداد سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م(٢)، و مرت الخلافة العباسية خلال هذه المدة الطويلة بعهد قوة وازدهار مثل، العصر العباسي الأول والذي يعد العصر الذهبي للخلافة العباسية، إذ شهد فيه قوتها وعنفوانها ووحدتها(٣)، ثم أتبعتها مدة الضعف فقد سيطر فيها الفرس، والأتراك على مقدرات الخلافة العباسية، فاستقلت الدول والامارات عنها، وضعف الخلفاء ونجحت بعض الثورات ضدهم لمدة طويلة(٤).

كان العباسيون قد ورثوا العداء الإسلامي البيزنطي من الأمويين، وتوجب عليهم مسؤولية الدفاع عن حدود الدولة وثغورها ضد البيزنطيين، فكانت حملاتهم البرية والبحرية، وشهدت الحملات في العصر العباسي الأول خروج الخلفاء أنفسهم كقادة لتلك الجيوش كما فعل هارون الرشيد والمأمون والمعتصم، أو ينيبون عنهم أولادهم، كما فعل الخليفة المهدي عندما أناب ابنه هارون لحرب الروم، وحصار القسطنطينية، أو يخرجون قادتهم وأمراء البحر لمقاتلة الروم البيزنطيين في البحر المتوسط(٥).

---

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤، ص ٢٦٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٢٥٨؛ الشامي، احمد، الدولة الإسلامية في العصر العباسي الأول، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٠٩٨هـ/ ١٦٨٦م، ص ٢١.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى ،ج١ ، ص ٢٦؛ أبو النصر، محمد عبد العظيم، الأوقاف في بغداد في العصر العباسي الثاني، ط١، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص ٣١.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٤٠٣؛ سالم، العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، ص ٣٤.

(٤) الواقدي، فتوح الشام، ج١، ص ١٢٦؛ شاكر، مصطفى، دولة بني العباس، وكالة المطبوعات، الكويت، د.ت، ج١، ص ٢٢١.

(٥) البلاذري ، أنساب الاشراف ،ج٤ ،ص٢٧٦؛ خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٤٤٧؛ فتوح البلدان، ص ١٦٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٥٦٦.

وكان عهد جديد قد بدأ في تاريخ البحر المتوسط منذ قيام الخلافة العباسية في بغداد، فقد تنبه خلفاء بني العباس إلى ضرورة العناية بالقوى البحرية في حوض البحر المتوسط الشرقي أي في سواحل مصر والشام، فكانت حملاتهم البحرية لتأديب الروم من ناحية، ومواصلة الجهاد الإسلامي ضدهم من ناحية أخرى(١).

وسار العباسيون على سياسة من سبقهم من المسلمين في الاهتمام بالأساطيل البحرية، ودقة التنظيم البحري، وجودة الخدمة، واختيار الكفاءات البحرية والمدربة، فقد أدركوا أن التنظيم البحري للأساطيل وما يتطلبه من قواعد آمنة ودور صناعات كاملة، وخدمة ممتازة، وهو عصب الحياة لأي قوة بحرية تضم للعزة والمجد(٢).

نظرت الخلافة العباسية إلى أهمية البحر المتوسط العسكرية والتجارية والسياسية فوجدت هو الحاجز الرئيسي الذي يعيق النشاط الإسلامي فرسمت سياستها تجاهه من خلال هذه الأهمية واتخذت من شواطئ مصر والشام، حدود العاصمة الخلافة في بغداد والسيادة الإسلامية عليه وتسخيره لأهداف لدولة العباسية، وقد كان عصر الأمويين هو عصر التعرف على البحر والتعامل معه، ولكن ظهور العباسيين أوقف هذا التطور البحري فجأة، فلم تستطع الدولة الإسلامية أن تفعل ما فعلته الإمبراطورية البيزنطية في السيطرة على الشواطئ الغربية والشمالية وفرض نفوذها عليها(٣).

وصرفت الدولة العباسية عنايتها البحرية الكبرى لخليج البصرة وعمان والمحيط الهندي، وكان نشاطها هناك نشاطاً تجارياً واسعاً، وقليلاً ما رافقه حملات عسكرية أو ارتبط به عمل سياسي إلا في بعض الظروف المتصلة أما بعمان أو بحر القلزم (البحر الاحمر) أحياناً، أو بحوض نهر السند الإسلامي(٤).

---

(١) النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، ج٢٠، ص ٤٨١؛ السامرائي، خليل ابراهيم وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، د.ت، ج١، ص ١٤٤؛ شاكر، دولة بني العباس، ج١، ص ٣٤٧.

(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١، ص ٣٢؛ شاكر، دولة بني العباس، ج١، ص ٣٤٧.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص ٣٦٠ ؛ محمود، شفيق جاسر احمد، الممالك البحرية وقضائهم على الصليبيين في الشام، ط٢١، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، ج١، ص ١٣٦.

(٤) شاكر، دولة بني العباس، ج٢، ص ٣٤٩.

ومن أبرز أمراء هذه الحملات في هذه المرحلة:

١- خازم بن خزيمة:

توجه أمير البحر خازم بن خزيمة[١] إلى خليج العقبة لقمع حركات الخوارج في عمان سنة ١٣٤هـ/ ٧٥١م، على عهد الخليفة العباسي أبو العباس السفاح (١٣٢-١٣٦هـ/ ٧٤٩-٧٥٣م)[٢] ، وقادة حملة بحرية أخرى أرسلها الخليفة المنصور بقيادته لرد حملات القراصنة الترك عن جدة[٣].

٢- عبد الله بن علي:

أمر الخليفة العباسي أبو العباس السفاح سنة ١٣٦هـ/ ٧٥٣م بتجهيز حملة بحرية وبرية لغزو الروم وعهد بقيادتها إلى أمير البحر عبد الله بن علي[٤]، الذي وصل إلى الاسكندرية في شوال من تلك السنة، لتجهيز المراكب، ويقال أن مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، عندما هرب إلى مصر من سيوف بني العباس أمر بأحراق الأسطول المصري [٥].

فضلاً عن ذلك فقد استغلت الدولة البيزنطية فرصة قيام الثورات العربية في وجه العباسيين، وهاجمت منطقة الثغور البرية والبحرية والعواصم على أطراف الدولة العباسية الشمالية، مما اضطر الخليفة أبو العباس السفاح أن يعهد إلى عمه عبد الله بن علي والي الشام قيام حملة عسكرية برية وبحرية للتصدي للبيزنطيين ، وسار عبد الله بن علي لتنفيذ تلك المهمة، وبينما هو في الطريق علم بوفاة الخليفة أبو العباس فتوقف عن متابعة المسير، وأخذ يبتعد للعودة إلى العراق لمحاربة الخليفة

---

(١) خازم بن خزيمة: عبد الله بن حنظلة بن فضلة بن حرثان، يكنى أبا هزيمة، ولي خراسان وعمان وهو قائد كبير، من كبار أمراء الدولة العباسية، قضى على كثير من حركات الخوارج في عهد أبي جعفر المنصور، توفي في بغداد سنة ١٩٠هـ/ ٧٦٩م. ابن الأثير، اسد الغابة، ج٣، ص ٧٩.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ١٧ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢٥٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ٣٦٨؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٧، ص ٧.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ٤١.

(٤) عبد الله بن علي: أمير عباسي، عم الخليفتين أبو العباس عبد الله السفاح وأبو جعفر المنصور، فتك بالأمويين في معركة الزاب، توفي سنة ١٤٧هـ/ ٧٦٤م، . ابن الأثير، اسد الغابة، ج٣، ص ٩٩.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك،ج٤،ص٣٧٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج٥،ص١٣٥.

الجديد، أبو جعفر المنصور وبقصد انتزاع الخلافة منه[١]، وكانت وفاة الخليفة أبو العباس السريعة أوقفت المشروع كله[٢].

لم يهتم أبو جعفر المنصور بأمر هذه الحملة كثيراً لما كان بين يديه من المشاكل الداخلية، ولاسيما ثورات المشرق، ومع ذلك فيذكر أن الخليفة المنصور سمع وهو في الحج سنة ١٥١هـ/ ٧٦٨م أن الكرك وهم من بلاد السند يغيرون على جدة كنوع من أنواع القرصنة البحرية ، ويهددون شواطئها وانهم أغاروا عليها سنة١٥٣هـ /٧٧٠م فجهز فور عودته من الحج جيشاً في البحر أطلقه ورائهم من البصرة قبل أن يغادر إلى بغداد[٣].

٣- عبد الوهاب بن ابراهيم:

توجه أمير البحر عبد الوهاب بن ابراهيم[٤] في البوارج إلى بلاد الهند بأمر من الخليفة المنصور سنة ١٥٢هـ/ ٧٦٩م[٥].

٤- عبد الملك بن شهاب المسمعي:

الحملة البحرية الثانية التي سيرها الخليفة المنصور سنة ١٥٥هـ/٧٧١م بقيادة أمير البحر عبد الملك بن شهاب المسمعي[٦] إلى مدينة بارد بالهند وانتصرت ثم نكبتها الأوبئة والعواصف في العودة، وعاد أميرها سالماً ببعض مراكبه[٧].

---

(١) أبو النصر، الدولة العباسية، ص ٢٣.

(٢) ابن خلكان ،وفيات الأعيان،ج١،ص٤٥٠.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ١٧٨.

(٤) عبد الوهاب بن ابراهيم: عبد الوهاب بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي، أمير دمشق من قبل المنصور، مات في الشام سنة ١٥٨هـ/ ٧٧٤م. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧، ص ٤٥.

(٥) الطبري ،تاريخ الرسل والملوك،ج٤،ص٥٠٣؛شاكر، دولة بني العباس، ج٢، ص ٣٤٩.

(٦) عبد الملك بن شهاب المسمعي: عبد الملك بن شهاب بن المنذر بن محمد الجارودي، من رجال المطوعة من أهل البصرة، فتح مدينة باربد سنة ١٥٩هـ/ ٧٧٥م، توفي سنة ١٦٠هـ/ ٧٧٦م. المزي، يوسف بن عبد الرحمن (ت ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م) ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ج٦، ص ٩٤.

(٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ٥٤٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ٢٤٨.

وكان منطلق هذه الحملات العسكرية هو نفسه الميناء التجاري الأول للعراق في تلك المدة ميناء البصرة، ولم يكن في المحيط الهندي فيما عدا القراصنة أي دولة أو قوة بحرية آخرى تقف في وجه النفوذ العربي، فكان المحيط الهندي في الواقع بحراً عربياً للمراكب الإسلامية، وتسبح في ظلها المراكب الهندية وغيرها(١).

ومن الواضح أن الإمبراطورية البيزنطية أستمرت في سياستها التجارية على البحر لمتوسط في عهد العباسي على ما كانت عليه في العهد الأموي ،أنها أغلقت طرق البحر المتوسط ولم تفتح منه إلا طريق تغور طرابزون لمرور البضاعة الشرقية لبيزنطية بشكل خاص وبلاد العرب بشكل عام (٢)، وهي البضاعة المستوردة بواسطة التجار العرب في بلاد فارس والعراق، كما واصل العباسيون سياسية الدولة الأموية التجارية القائمة على الرقابة بوحصر مرور التجارة تحت أعينهم بالعراق(٣).

ومما هو جدير بالذكر أن الخليفة أبو جعفر المنصور طمر القناة التي تصل النيل والبحر الأحمر سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م(٤) والتي كان قد حفرها والي مصر عمرو بن العاص (رضي الله عنه) لتوصيل الميرة من مصر إلى بلاد الحجاز، والتي كانت تعرف بخليج أمير المؤمنين(٥)، وهذا الاجراء من قبل المنصور وأن كان سببه لايقاف وصول الميرة من مصر للثائر العلوي محمد ذو النفس الزكية(٦) ، وحصاره اقتصادياً(٧)، في الحجاز إلا أنه كان من نتائجه أيضاً و دوافعه تحويل تجارة المحيط الهندي من طريق بحر القلزم نهائياً إلى طريق العراق(٨).

---

(١) شاكر، دولة بني العباس، ج٤، ص ٣٥٠.

(٢) لويس، القوى البحرية والتجارية، ص ١٧٥.

(٣) شاكر، دولة بني العباس، ج٢، ص ٣٥٠.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ٤٥١.

(٥) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص ٨٩.

(٦) محمد ذو النفس الزكية : محمد بن عبد الله بن الحسن ذو النفس الزكية ،يكنى أبا عبدالله ،ويلقب بالمهدي سنة ١٤٥هـ /٧٦٢م،وقيل أبا القاسم، كان ذا همة سامية ،وسطوة عالية، وشجاعة باهرة، وكان كثير الصوم والصلاة، شديد القوة ،توفي سنة ١٤٥هـ /٧٦٢م. ابن العماد الحنبلي ،شذرات الذهب في أخبار من ذهب،ج٢،ص٩٢.

(٧) عبد الغفار، حسن ، هارون الرشيد الخليفة المفترى عليه ، مكتبة النافذة، القاهرة، ١٤٣٢هـ /٢٠١٠م، ص٣٢.

(٨) لويس، القوى البحرية والتجارية، ص ١٧٥.

أما في البحر المتوسط فلم يكم بالإمكان أن يبذل العباسيون أي نشاط فيه دون أن تكون له مضاعفات، أو مقدمات ونتائج سياسية وفكرية، بجانب النتائج الاقتصادية المترتبة على ذلك، لا مع بيزنطة فقط ولكن مع كثرة الدول الناشطة على أطرافه(١)، واذا كان حوضه الشرقي بيد العباسيين في الشرق والجنوب، وبأيدي الروم في الشمال، فإن حوضه الغربي كان مشتركاً بين الروم أنفسهم في ايطاليا وصقلية، وبين الفرنجة في الشواطئ الشمالية وبين عرب الأندلس الأمويين في شواطئ أيبيريا(٢).

وعلى الرغم من الإهمال وانصراف العباسيين عن تنمية القوى البحرية الإسلامية في البحر المتوسط إلا أنه مع ذلك كان في سواحل الشام ومصر أسطول عباسي، قام بعدد من العمليات الحربية البحرية ضد الأسطول البيزنطي، وهناك ملاحظتين حول هذا الأمر هما:

الملاحظة الأولى:

بلغ اهتمام الروم البيزنطيون بأسطولهم وباستغلاله التجاري والعسكري في البحر المتوسط أوجه في الحكم العباسي، وكان أقوى بكثير من اهتمام العباسيين أنفسهم بالاسطول، وهذا ما ترك السيطرة على الحوض الشرقي منه بأيدي الروم لمدة لا تقل عن ثلاثة أرباع القرن أي ما بين سنة ١٣٥-٢١٢هـ/ ٧٥٢-٨٢٧م(٣).

ولم تكن عظمة العباسيين في القوى البرية تتناسب مع قواعد وأعمالهم البحرية المحدودة، وظل للبيزنطيين السيطرة على صقلية وكريت وسردينيا وجزر البليار، كما تحكموا في المضائق ذات القيمة البحرية العامة على طرق التجارة العالمية(٤).

(١) شاكر، دولة بني العباس، ج٢، ص ٣٥١.

(٢) عبد الحميد، سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، مكتبة نشأة المعارف، الاسكندرية، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، ج١، ص ٣٢٨.

(٣) لويس، القوى البحرية والتجارية، ص ٢٣٩.

(٤) هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، تحقيق: عز الدين فودة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، ج٢، ص ١٤٤.

الملاحظة الثانية:

ان العمليات الحربية البرية لم تكن تتوافق مع العمليات البحرية، ولم يسجل العباسيون إلا محاولات محدودة للتنسيق والتعاون بين جيوشهم البرية في الثغور، واسطولهم البحري على الشواطئ والجزر[١].

وانتشرت في تلك المدة اقامة (الأربطة)[٢] لا على سواحل مصر والشام فقط، ولكن على سواحل افريقية تحسباً للغارات البيزنطية، وعلى أية حال فإن العباسيين قد قاموا بعدة عمليات عسكرية بحرية، وإن لم يكن لها تألق وانتصارات الجيوش البرية إلا أنها كانت نوعاً من اثبات الوجود في البحر المتوسط، وكان الذي يقوم بها في الغالب اسطول الشاطئ الشامي أو المصري[٣].

٥- ثمامة بن وقاص "باناكيس":

انتهزت الدولة البيزنطية فرصة اضطراب الأوضاع في المشرق، لاسيما في خراسان وقيام الثورات التي نادت للثأر من مقتل أبو مسلم الخراساني[٤]، وهاجم الامبراطور قسطنطين الخامس مدينة ملطية في الشام ودخلها عنوة سنة ١٣٨هـ/ ٧٥٥م وكانت في يد المسلمين، منذ أن فتحها معاوية بن أبي سفيان [٥]، في عهد الخليفة عثمان بن عفان (ﷺ) سنة ٣٢هـ/ ٦٥٢م[٦] وكانت ملطية من أحسن ثغور المسلمين في تلك النواحي، مما مكن الامبراطور قسطنطين من الاستيلاء على ثغور أخرى[٧].

---

(١) شاكر، دولة بني العباس، ج٢، ص ٣٥٢.

(٢) الأربطة : مفردها رباط والرباط معناه في الأصل يطلق على إعداد الخيل وربطها وملازمة الثغور استعداداً للجهاد في أية لحظة .الذهبي ،سير أعلام النبلاء،ج١٩،ص٦٨.

(٣) الشامي، أحمد، الدولة الإسلامية في العصر العباسي الأول، دار الاصلاح، القاهرة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م، ص ٧٩.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان ، ص ٤٥٦.

(٥) الشامي، الدولة الإسلامية، ص ٨٧.

(٦) البلاذري، فتوح البلدان ، ص ٤٥٦.

(٧) المسعودي، التنبيه والاشراف، ج١، ص ١٠٥؛ الشامي، الدولة الإسلامية، ص ٨٧.

ومن أجل ذلك أرسل الخليفة المنصور أخاه أمير البحر العباس بن محمد[١] على رأس الاسطول البحري، وعمه صالح بن علي على الجيش البري، ومجموعة من القواد في أربعين ألف مجاهد، وتمكن العباس بن محمد بن استعادة ملطية في سنة ١٣٩هـ/ ٧٥٦م فأمر المنصور بتحصينها وإعادة ترميمها، كما حصن الثغور القريبة منها[٢].

في سنة ١٥٧هـ/ ٧٧٣م وقبل وفاة الخليفة المنصور بعام واحد أخرج حملة على شواطئ آسيا الجنوبية، وكانت جزءاً من العمليات الحربية التي أرسلها الخليفة المنصور في أواخر عهده ضد الروم البيزنطيين، وكانت حملة بحرية وبرية قادها ثمامة بن وقاص[٣]، والذي سمي في المراجع البيزنطية (باناكيس)[٤]، والذي توغل شمالاً في اقليم اقبادق في عهد الامبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس واستطاعت القوات البرية البيزنطية مع الاسطول البيزنطي قطع خط الرجعة على ثمامة، إذ احتلت مدينة سيس[٥] وحاصرت قواته البرية وحرمته من الاتصال باسطولها البحري، ولكنه استطاع الافلات من التطويق، ونجحت حملته البحرية بامتياز، فقد سجل البيزنطيون أنفسهم خبر نجاح الاسطول العربي الإسلامي في الهجوم على قبرص وأسر حاكمها البيزنطي، بينما فشلت الحملة البرية[٦].

وخطط الخليفة المنصور لغزو الروم في عقر دارهم، أي غزو القسطنطينية بحراً وبراً، ولكنه قبل أن يقدم على هذا العمل جدد نشاط الأربطة، وشجع الناس على الجهاد في سبيل الله، وشجع الخراسانيون على الانضمام إلى المرابطين في الثغور الشامية والمصرية والمغربية، وخصص لهم الأرزاق وبنى لهم البيوت والاصطبلات، ووفر لهم الأسلحة وأقطعهم المزارع والاقطاعات، كما شجع

---

(١) العباس بن محمد: أبو الفضل أخاه أبو جعفر المنصور، لقب بالمذهب ؛ لحسنه وكرمه، وكان أميراً على المدينة المنورة ومكة المكرمة، وله في بلاد الروم غزوات عديدة، ولاه المنصور دمشق وبلاد الشام كلها، وتوفي في بغداد. ابن الأثير، اسد الغابة، ج٢، ص ٧٧٢.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ج١، ص ٤١٨؛ الشامي، الدولة الإسلامية، ص ٨٨.

(٣) ثمامة بن وقاص: ثمامة بن وقاص المعروف عند البيزنطيين باناكيس قائد حملة بحرية وبرية التي جرت بين العباسيين والبيزنطيين التي وقعت سنة ١٥٧هـ/ ٧٧٣م، على شواطئ اقليم بسورة بآسيا الصغرى. أمينة، بيطار، دراسات في تاريخ الخلافة العباسية ٢٣١-٢٣٢هـ، مكتبة دار القلم، جامعة ميشيغان، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص ٤٨.

(٤) أمينة ، دراسات في تاريخ الخلافة العباسية، ص ٤٤.

(٥) سيس: مدينة في تركيا بلدة كبيرة ذات قلعة بأسوار ثلاثة على جبل مستطيل. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٢٩٧.

(٦) أمينة، دراسات في تاريخ الخلافة العباسية، ص ٤٤.

الجند المرتزقة على الانضمام إلى جيوشه، واستنقذ أسرى المسلمين من الروم فأحيا ما كان معروفاً في عهد الخلفاء الراشدين (ﷺ) والخليفة عمر بن عبد العزيز(ﷺ) باسم (الفداء) وتبادل الأسرى[١]،إذ تراسل كل من الامبراطور قسطنطين الخامس والخليفة أبو جعفر المنصور بشأن فداء الأسرى بين الدولتين سنة ١٣٩هـ/ ٧٥٦م، وفي سنة ١٥٥هـ/ ٧٧١م عقدت بينهما معاهدة صلح تقرر فيها أن يدفع الامبراطور البيزنطي أتاوة للخليفة المنصور[٢]، واستمرت حتى عهد ابنه المهدي[٣].

ودار الصراع البيزنطي الأسلامي في هذه المدة حول المناطق التي تكون منها سلسلتي جبال طوروس والتي تبدأ من الفرات حتى حدود قليقلة، بعد جبال اللكام (الامانوس) وهو واحداً من مجموعة طوروس الداخلية، ويحمي الثغور هناك خط طويل من القلاع يبدأ من ملطية على الفرات الأعلى إلى طرسوس بالقرب من ساحل البحر المتوسط، وشهدت هذه المنطقة صدامات مستمرة[٤].

ولم تتوغل أي من الدولتين إلا نادراً في أراض الدولة الأخرى، وكانت الصفة الغالبة على تلك الغارات الاستيلاء على معاقل جبال طوروس، والتخلي عنها بحسب مدة الحرب، وان أسفر بعضها عن تخريب بعض المدن المهمة[٥].

نقل العباسيون الخلافة إلى الشرق، إذ أسسوا عاصمتهم الجديدة بغداد على ضفاف نهر دجلة، وأخذوا يرسمون سياستهم، ولاسيما أزاء البيزنطيين على أساس هذا الوضع الجديد، فكان بعد الشقة والمسافة بين بغداد والقسطنطينية مدعاة لرسم سياسة حربية جديدة، اختلفت عن سياسة دمشق،

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص١٨٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص ٢٨٩.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص ٤٦.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التأريخ، ج٦، ص ٢٥.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٣٢٦؛ لسترانج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ١٦، ٣٨.

(٥) الجنزوري، الثغور البرية، ص ١٢، ١٣.

ولم تدخل التنفيذ الجدي إلا زمن الخليفة هارون الرشيد[١]،و اقليم الشام سطوته في الحكم بزوال الخلافة الأموية وكذلك مركزه الاستراتيجي المهم في الدولة الإسلامية[٢].

(١) العمري، ابن فضل الله ، شهاب الدين (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ط١، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠١م، ج٥، ص ١٤٣؛ العدوي، النظم الإسلامية، ص ٣١٢.

(٢) ابن القلانسي، حمزة بن اسد بن علي (ت ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م) ، تاريخ دمشق، تحقيق: سهيل زكار، ط١، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، ص ٧؛ فازليف، العرب والروم، ترجمة: محمد الهادي أبو شعيرة، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ص ٢١٨.

المبحث الثاني: أمراء البحر في عصري المهدي وهارون الرشيد:

توفي الخليفة أبو جعفر المنصور سنة ١٥٨هـ/٧٧٤م[١]، وتولى ابنه وولي عهده محمد المهدي الخلافة العباسية ثالث خلفاء بني العباس[٢]، وأخذت له البيعة بمكة المكرمة يوم وفاة أبيه المنصور؛ لأن الناس قد سبق لهم أن بايعوه بولاية العهد[٣]، وبعد أن تمت له البيعة في بغداد من أهل الحل والعقد ومن الجند والقواد، ألقى المهدي خطبة في الناس عبر فيها عن حزنه لوفاة والده المنصور، وعن عظيم المسؤولية التي القيت على كاهله، ومن ضمن ما قاله: "لقد فارقت عظيماً، وقلدت جسيماً، وعند الله احتسب أمير المؤمنين، وبه (عز وجل)استعين على خلافة المسلمين"[٤]، وتميز حكم المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٤-٧٨٥م) والذي استمر أكثر من عشر سنوات بالاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي؛ لأن والده الخليفة المنصور كان قد قضى على الفتن والثورات، وأورثه ملك ثابت الدعائم، شامخ البنيان، مملوءة الخزائن بالوفير من الأموال[٥].

ساعد ذلك الخليفة المهدي على العمران ومواجهة أعداء الدولة بقوة وافتخار، فقد بدأت الدولة العباسية تقوى وتشتد، وبدأت بوادر عظمتها وقوتها مع بداية عهد الخليفة المهدي ، في الوقت الذي كان فيها العرش البيزنطي مضطرباً أثناء وصاية أيرين على ابنها القاصر قسطنطين السادس سنة (١٦٤-١٨١هـ/٧٨٠-٧٩٧م)، وقد ارتأت أيرين مخالفة سياسة الأباطرة السابقين من الاسرة الابيورية، فشرعت في العودة إلى ما كان عليه من تقديس الايقونات[٦]،في الوقت الذي كانت فيه الخلافة العباسية في أوج قوتها وعظمتها[٧].

وكان أسطولها لبحري قد أشتد ساعده ونشط في حملاته وظهرت خبرته أمراء وقادته ومن أهم في عصري المهدي وهارون الرشيد هم:

---

(١) المسعودي، التنبيه والاشراف، ج١، ص ٢٩٥؛ ابن خلدون، العبر، ج٣، ص ٣٦٣.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٤٣٦؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء ، ص ٩.

(٣) الدينوري، أبو حنيفة احمد بن داود (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٤م)، الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، ط١، دار احياء الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م، ج١، ص ٣٨٦؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٢٩٩.

(٤)ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٣، ص ٤١٩؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج١، ص ٢٠٢.

(٥) المسعودي، التنبيه والاشراف، ج١، ص ٢٩٧؛ الشامي، الدولة الإسلامية، ص ٩٢.

(٦) العريني، الدولة البيزنطية، ص ٢٢٥، ٢٤٤.

(٧) ماجد، العصر العباسي الأول، ص ٧٨.

١- الغمر بن العباس الخثعمي:

أخرجه الخليفة المهدي العباسي في حملتين بحريتين الأولى سنة ١٦٠هـ/ ٧٧٦م وزوده بالرجال والعتاد والسفن الحربية، واسلحتها كالقسي التي تشد بواسطة اليد أو الارجل، وقد جاء في وصف هذه القسي البحرية أنه كان القتال في البحر المالح فينبغي أن يكون خشب القوت أكثر من قرنه، وتكون القوس طويلة والسبات معتدلة الغروض، أي موضع الوتر لا متسع ولا ضيق، فإن في ذلك فساخ لخروج السهم وغيرها من الأسلحة(١)، أما الحملة الثانية فكانت في سنة ١٦١هـ/ ٧٧٧م وكانت وجه الحملتين البحر المتوسط، وثغور الشام البحرية، انطرطوس، وبانياس، واللاذقية، وطرابلس، وبيروت، وصيدا، وجبلة، وقيسارية، وارسوف، وعسقلان، وغزة(٢)، وحققت الحملتان الغرض من خروجهما، وعاد الأمير الغمر بن العباس الخثعمي(٣) سالماً بمن معه من الرجال والسفن(٤).

٢- الحسن بن قحطبة:

كانت العلاقات قد ساءت بين الدولة البيزنطية والخلافة العباسية على عهد الخليفة المهدي؛ بسبب استمرار (حملات) الصوائف والشواتي على العاصمة القسطنطينية وسواحلها في محاولة لفتحها على عادة الخلفاء المسلمين، مما ألحق أضراراً جسيمة بممتلكاتها ،ففي سنة ١٥٩هـ/ ٧٧٥م أرسل الخليفة المهدي الحملات البرية والبحرية والتي لم تتوقف عن أرض الدولة البيزنطية(٥)، وقد أراد حاكم مدينة أزمير(٦) البيزنطي أن يرد على هذه الحملات العباسية، فخرج في ٨٠ ألف من جنود البيزنطيين سنة ١٦١هـ/ ٧٧٧م، ووصل إلى حصن الحدث، وكان المسلمون قد اتخذوه قاعدة لهم في

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٢١٨؛ عبادة، عبد الفتاح، سفن الأسطول الإسلامي، القاهرة، ١٣٣٢هـ/١٩١٣م، ص ١٠٩.

(٢) قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ج١، ص ٢٢٥-٢٣٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٧٦.

(٣) الغمر بن العباس الخثعمي: ولي غزو البحر في زمن أبي جعفر المنصور، وغزا بحر الشام في عهد الخليفة المهدي. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢٨، ص ٨٥.

(٤) تابو، الدولة العباسية، ص ٨٧.

(٥) ابن خلدون، العبر، ج٣، ص ٣٥٦؛ العريني، الدولة البيزنطية، ص ٣٤٥.

(٦) أزمير: مدينة تقع غرب تركيا، تعد ثالث أكبر مدينة في البلاد وأحد أكبر موانئها، وتقع على رأس خليج أزمير المحمي على ساحل بحر ايجة. أبو عبية، ، موجز من الفتوحات الإسلامية، ، ج١، ص ٣٤؛ العريني، الدولة البيزنطية، ص ٣٤٥.

منطقة الثغور، منذ أيام معاوية بن أبي سفيان ومنه اتجه إلى حصن مرعش في الجنوب، فأحرقوا وقتلوا عدد كبير من المسلمين سنة ١٦٢هـ/ ٧٧٨م[١].

أرسل الخليفة المهدي حملة قوية من المتطوعين والمجاهدين والبحارة الأشداء، بقيادة أمير البحر الحسن بن قحطبة[٢] والذي قاد حملة برية وبحرية على بلاد الروم، فاستعاد الأماكن التي استولى عليها حاكم أزمير البيزنطي، ورممها، وبناها من جديد، وتوغل في حروبه حتى وصل براً وبحراً قرب القسطنطينية، فدمر كثير من المباني، وأحرق كثيراً من المنشآت وأردع حاكم أزمير، ثم عاد الى بغداد ؛ لأنه لم يجد جيشاً بيزنطياً يدخل معه في معركة[٣].

٣- خالد بن برمك:

خرج الخليفة المهدي بنفسه ومعه ابنه هارون سنة ١٦٣هـ/ ٧٧٩م على رأس حملة لم تشهد الدولة الإسلامية مثلها، وضرب معسكره في البردان من أرض الشام المؤدية إلى طرسوس[٤]، ومكث فيها شهرين، فانضمت إليه حشود كبيرة من أهل خراسان، ومن هناك أرسل حملتين، الأولى برية بقيادة الأمير البحر الحسن بن قحطبة، ومعه ابنه هارون، وربيع الحاجب، والأخرى بحرية بقيادة أمير البحر خالد بن برمك[٥]، وتوغلت الحملتان في أرض الدولة البيزنطية وفتحوا بعض الحصون[٦].

---

(١) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٤٣٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٣٨٧؛ ابن خلدون، العبر، ج١، ص ١٨٢.

(٢) الحسن بن قحطبة: الحسن بن قحطبة بن شبيب، أحد قادة الثورة العباسية التي أطاحت بالخلافة الأموية، وأصبح حاكم في أرمينيا خلال خلافة أبو جعفر المنصور، ووقف مع المنصور، حتى هدأت الأوضاع ،توفي سنة ١٨١هـ/ ٧٩٧م. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١٤، ص ٢٨.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان ، ص ١٩٠؛ فتحي، الحدود الإسلامية البيزنطية، ج٢، ص ٤٨.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج٥، ص ٢٦؛ ابن الفقيه، البلدان، ج١، ص ١٦٢.

(٥) خالد بن برمك: أبو البرامكة وأول من تمكن منهم في دولة بني العباس، كان يتهم بدين المجوس ،كان خالد من أفراد الرجال رئاسة ،ودهاء ،وحزما، وخلفه في ذلك أولاده توفي سنة ١٦٥هـ/ ٧٨١م. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٩، ص ٣٧.

(٦) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ج١، ص ٤٣٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٣٢٣.

٤- يحيى بن خالد:

أرسل الخليفة المهدي في سنة ١٦٥هـ/ ٧٨١م حملة برية وبحرية كبيرة بلغ عدد جنودها مائة ألف[١] بقيادة ابنه هارون، والذي كان عمره لا يتجاوز ١٧ سنة[٢] وأمر على البحر يحيى بن خالد[٣]، وعمره عشرون سنة، وزودها بالأسلحة البرية والبحرية مثل القسي والمنجنيق والعرادات[٤].

وصلت الحملة الى مشارف مدينة أنقرة على خليج البسفور وأنزل هارون بالروم البيزنطيين خسائر فادحة ، وغنم غنائم كثير، منها ٢٠ الف دابة من الخيل والبغال والأبل، و ١٥٠ ألف من البقر والغنم[٥]، فاضطرت الامبراطورة ايرين التي كانت قد أزاحت ابنها قسطنطين السادس عن العرش وتولت هي حكم الامبراطورية[٦] وطلبت الصلح والموادعة مع الدولة العباسية واعطائها الجزية والفدية وجاءت رسلها إلى الأمير هارون لهذا الغرض، فقبل منها وشرط عليها الوفاء بما أعطت له، وأن تقيم الأدلاء والأسواق في طريق عودته[٧]، فأقامت له الأسواق في منصرفه لضمان مؤونة جيشه وكان مقدار الجزية سبعون ألف دينار تؤديها في نيسان من كل سنة وفي حزيران فقبل ذلك منها[٨]، وأن تعيد أسرى المسلمين وأن يجدد المسجد الذي بناه مسلمة بن عبد الملك في القسطنطينية[٩] ، ووجهت معه رسولاً إلى الخليفة المهدي على أن تؤدي ما تيسر من الذهب والفضة وكانت مدة الهدنة ثلاث

(١) ابن عذاري، البيان المغرب ، ج١، ص ٨٠.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص ٢٩٠.

(٣) يحيى بن خالد: كاتب هارون الرشيد قبل أن يلي الخلافة، ثم أصبح وزيره بعد أن تولاها، وأصبح هو وأولاد الفضل وجعفر علية القوم في الخلافة العباسية. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦، ص٢١٩.

(٤) المقريزي، الخطط والآثار، ج١، ص ٤٨٠.

(٥) ابن خلدون، العبر، ج٣، ص ٤١١.

(٦) العريني، الدولة البيزنطية، ص ٣٥٨.

(٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٤٨٠.

(٨) عنان، مواقف حاسمة، ص ٢١١.

(٩) ابن خلدون، العبر، ج٣، ص ٤١١.

سنوات[١]، ويرجح أن الخليفة المهدي لقب ابنه هارون بالرشيد، وأسند اليه ولاية العهد بعد أخيه موسى الهادي نتيجة لهذا الانتصار العظيم[٢].

توفي الخليفة المهدي ستة ١٦٩هـ/ ٧٨٥م[٣] وتولى ابنه موسى الهادي الحكم من بعده والذي لم يستمر في الحكم إلا سنة واحدة حتى توفي سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٦م[٤] ولم تحدث في عهده أي حروب مع الروم لا برية ولا بحرية، وتولى الخلافة العباسية هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٨م) والذي يعد عنوان المجد في التاريخ العباسي، إذ كان يحج سنة ويغزو في سبيل الله السنة التالية[٥]، واهتم اهتماماً كبيراً بتأمين منطقة الثغور، ومحاربة الدولة البيزنطية، محاولاً فتح القسطنطينية هو الآخر، فحصن الكثير من القلاع التي اطلق عليها اسم الثغور وشحنها بالجند، وكانت الثغور الإسلامية بوجه عام تنقسم إلى ثلاثة أقسام ثغور برية، وثغور بحرية، وثالثة تجمع بين الصفتين البرية والبحرية، أما خط القلاع فينقسم إلى مجموعتين: أحدهما تحمي منطقة الجزيرة وتسمى ثغور الجزيرة وهي الشمالية الشرقية، والثانية تحمي منطقة الشام وهي الجنوبية الغربية[٦].

ويفصل جبل اللكام بين ثغور الجزيرة وثغور الشام، وسمي بعضها من ملطية إلى مرعش بثغور الجزيرة ؛لأن الجند المقيمين فيها كانوا من العراق أو من الجزيرة الفراتية، ويلي ثغور الجزيرة مجموعة أخرى تعرف بالثغور البكرية نسبة إلى ديار بكر بالجزيرة، وأهمها سميساط، وماني، وحصون، ومكلين، و آخرى منها جمع، وحورا، ولكلس، وفي أقصى الشمال حصن فاليفك الذي يقابله من الثغور البيزنطية ثغر الارمنياك[٧]، وأذنة و المصيصة، وحلب، وعين زربة، والكتيبة السوداء، وأنطاكيا، من ناحية البر، ثم سلوفيا من ناحية البحر[٨].

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص ٤٦.

(٢) محمود، حسن أحمد، والشريف ،أحمد ابراهيم، العالم الإسلامي في العصر العباسي، ط١،دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، ص ٢٥٩.

(٣) السيوطي، تاريخ الخلفاء ، ص ٩٨.

(٤) ابن خلدون، العبر، ج٣، ص ٤٩٩.

(٥) أبو النصر، محمد بن عبد العظيم، هارون الرشيد المفتري عليه، دار الثقافة، القاهرة، د.ت ، ص ٢٠.

(٦) لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٦٣.

(٧) الجنزوري، الثغور البرية، ص ١٤٤.

(٨) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ٩٩.

أما الثغور الجزرية فقد اشتملت على مرعش والحدث وزبطرة وكيسوم، وسمياط، وملطية، ويقابلها في الأراضي البيزنطية، ثغر خرشنة، والخالدية[١]، وإلى جانب الثغور البحرية في مصر، وبيروت، والشام، وصيدا، وغزة، ورفح، والعريش، والغرف، في كل من مصر والشام[٢].

وأقام الخليفة هارون الرشيد خطاً دفاعياً آخر خلف مناطق الثغور سمي العواصم؛ وذلك لأنه يعصم المسلمين في الثغر من الوقوع في قبضة البيزنطيين، ومن مدنه منبج والتي اتخذها عاصمة له ثم استبدلها بانطاكيا[٣]، وزود الخليفة هارون مناطق الثغور بالجند والأسلحة والخيل والمؤن والعتاد والأموال اللازمة للصرف على وسائل الدفاع الخاصة بها، والقيام بالغزوات، وبلغ ما تصرفه الثغور الشامية نحو مائة ألف دينار، تنفق في البر والبحر، وفي بعض الأحيان تبلغ مائتين أو ثلاثمئة الف دينار[٤].

٥- عبد الملك بن صالح العباسي:

لم تكن المبادرة بالهجوم في عهد الخليفة هارون الرشيد من العرب المسلمين، ولكن من الروم البيزنطيين، والذين كانت خططهم في ذلك الوقت قائمة على فرض الرقابة على الشواطئ العربية عن طريق الأبراج الدفاعية التي بنوها منذ عهد الامبراطور هرقل بطريقة هندسية معينة على طول الحدود، وعلى مسافات لا تقل عن الكيلو متر، ولا تزيد عنه، ليتناوب الجنود حراسة هذه القلاع من خلال الأبراج، وذلك عن طريق ارسال صيحات أو اشارات إلى الأبراج الأخرى إذا شعروا بالخطر[٥].

وأغار البيزنطيون فجأة على شواطئ الشام وثغورها، واستطاعوا أسر بعض السفن العربية الإسلامية سنة ١٧٤هـ/ ٧٩٠م وهي في طريقها من مصر إلى الشام، فأمر الخليفة هارون الرشيد

(١) الجنزوري، الثغور البرية، ص ١٤٦.
(٢) قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص ٢٥٥.
(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص ٣٤٥.
(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص ٣٤٥.
(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٧٧.

بخروج الاسطول العباسي بقيادة عبد الملك بن صالح[١]، والذي أغار على كريت وقبرص في السنة نفسها، ويبدو أن الروم كانوا يراقبون وجود مشروع حملة بحرية إسلامية عليهم، وقد حاولوا اجهاض مشروع تلك الحملة بالهجوم على السفن المعدة لها[٢].

نزل عبد الملك بن صالح بقواته جزيرة قبرص، والتي لم ينفع أهلها وصول قسم من الاسطول البيزنطي بأمر الامبراطورة أيرين لنجدتهم، فقد هزم هذا الاسطول قرب خليج أضالية وأسر المسلمون قائده وجاء أمر بغداد بقتله[٣].

ويبدو أن والي الثغور وأمير البحر عبد الملك بن صالح العباسي نقض الصلح مع القبارصة ؛ نظراً لاستعانتهم بالبيزنطيين، والعهد القديم المتعلق بالجزية والمعطى لهم، فقد كانت قبرص منذ ولاية معاوية بن أبي سفيان وغزوها على يديه تدفع الجزية السنوية للعرب والروم معاً، وقد زاد هشام بن عبد الملك في جزيتها ألف دينار فألغاها الخليفة أبو جعفر المنصور قائلاً: "نحن أحق من انصفهم ولم نكترث بظلمهم"[٤].

٦- حميد بن معيوف الهمداني:

استمر أهل قبرص في الهجوم على السواحل الشامية، ولهذا تنبه الخليفة هارون الرشيد إلى خطرها يوم خروجه في حملته الكبرى على الروم سنة ١٩٠هـ/ ٨٠٥م، فعهد الى أمير البحر حميد بن معيوف الهمداني[٥]، قائد الصوائف بأن يلي (سواحل بحر الشام إلى مصر) فجهز حملة بحرية ونزل قبرص، وبينما كان الرشيد يهاجم الأناضول بأضخم حملة عباسية يوم ذاك، فهدم وحرق

(١) عبد الملك بن صالح: أبو عبد الرحمن، عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ، من أمراء بني العباس، ولي المدينة، وغزا الصوائف للرشيد ثم ولي الشام والجزيرة للخليفة الأمين ، توفي سنة ١٧٢هـ/ ٧٨٨م. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٣٨، ص ٢٥.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٥٦.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٥٦.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان ، ص ١٥٧.

(٥) حميد بن معيوف الهمداني: أمير عربي خدم في الخلافة العباسية، وعينه الخليفة هارون الرشيد مسؤولاً عن سواحل بلاد الشام في شرق البحر المتوسط حتى مصر. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢٨، ص ٣٧.

وسبى ستة عشر ألف [١] من أهلها فأقدمهم الرافقة [٢]فتولى بينهم أبو البختري القاضي[٣]، وذكر البلاذري[٤]عن أهل قبرص بقوله: "ثم انهم استقاموا للمسلمين فأمر الرشيد .... برد من أسر منهم فردوا".

وفي سنة ١٩١هـ/ ٨٠٧م، قامت حملة بحرية أخرى بقيادة حميد بن معيوف وبأمر الرشيد لغزو جزيرة رودس وعادت محملة بالغنائم والأسرى[٥]، كما غزا حميد بن معيوف جزيرة اقريطش أو (كريت) سنة ١٩٢هـ/ ٨٠٨م[٦].

وانقطعت أخبار العباسيين البحرية، لمدة طويلة؛ وذلك نظراً للصراع بين الأمين والمأمون والذي انتهى بقتل الأمين وتولي المأمون الخلافة سنة ١٩٨هـ/ ٨١٣م[٧]، إلى جانب بعد العاصمة العباسية عن العاصمة البيزنطية لتهدأ المشاريع البحرية من جانب العباسيين، والذين نشطوا في حروبهم البرية معها على الحدود الثغرية، [٨].

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص ٢٨٦؛الطبري ،تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص ٨٧٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ٣٧١.

(٢) الرافقة : بلد متصل البناء بالرقّة وهما على ضفة الفرات وبينهما مقدار ثلاثمائة ذراع، قال: وعلى الرافقة سوران بينهما فصيل، وهي على هيئة مدينة السلام، ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج٣،ص١٥.

(٣) أبو البختري القاضي : وهب بن وهب بن كثير بن عبد الله بن زمعة بن الأسود ،وكان قد انتقل عن المدينة إلى بغداد فسكنها ، أبن سعد، الطبقات الكبرى،ج٧،ص٢٣٩.

(٤) فتوح البلدان ، ص ١٥٩؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص ٢٨٦.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ٣٧٣؛ ابن خلدون، العبر، ج٣، ص ١٦٨.

(٦) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢١٣.

(٧) الشامي، الدولة الإسلامية، ص ١٤٨.

(٨) فهمي، البحرية الإسلامية، ص ٢٩٧.

المبحث الثالث: أمراء البحر إلى نهاية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي

تولى الخليفة المأمون الخلافة سنة ١٩٨هـ/ ٨١٣م[١]، وخرج بنفسه لحرب الروم البيزنطيين في حملة برية سنة ٢١٧هـ/ ٨٣٢م وعاد منها منتصراً[٢]، ولكن الحملات البحرية في عهده قامت بها قوى أخرى غير العباسيين منها ما كان تابعاً لهم كالأغالبة، ومنهم من كان معارضاً لهم كالربضيين الأندلسيين الذين دخلوا جزيرة كريت بحراً[٣].

إلى جانب مجموعات إسلامية اتخذت العمل البحري التجاري والعسكري لها، ووصفت بأنها حرة الارتباط، صغيرة الأعداد، خفيفة الحركة، أخذت تظهر وتقوى وتعمل في طول البحر المتوسط وعرضه، وكانت عملها المفضل ضد الشواطئ البيزنطية والفرنجة الممتدة من الأناضول حتى صقلية، وايطاليا، وجنوب فرنسا، ضد مئات الجزر عند تلك الشواطئ[٤].

والمصادر العربية تتحدث عن هذه القوى التي تحدثت عنها المصادر البيزنطية واللاتينية ووصفتها بـ (القرصنة) والتي يجب أن نفهم مواقفها ودوافعها فقد كانت عناصرها مكونة من عنصرين هما: المجاهدين الذين يتطوعون للغزو بدافع ديني، ومن البحارة المسلمين الذين حرمتهم الأساطيل البيزنطية ورقابتها القاسية في البحر من العمل التجاري فتحولوا إلى الهجوم الانتقامي، وإلى اختطاف السفن البيزنطية[٥]، وهددت هذه الجماعات أمن البحر المتوسط وكثيراً ما عطلت تجارات البيزنطيين ومواصلاتهم[٦].

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٤٦٨؛ مجهول، أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده، تحقيق: عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي، دار الطليعة، بيروت، د.ت ، ص ٤١٢؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ١١٣.

(٢)ابن قتيبة، المعارف ، تحقيق: ثروت عكاشة،ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢ م ص ٥١؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص ٣٠٢.

(٣) ابن خلدون، العبر، ج١، ص ٢٨؛ عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية، ج٢، ص ٣٥١.

(٤) شاكر، دولة بني العباس، ج٢، ص ٣٥٦.

(٥) العدوي، الأساطيل العربية، ص ٩٩.

(٦) شاكر، دولة بني العباس، ج٢، ص ٣٥٨.

استغل الخليفة المأمون كغيره من خلفاء بني العباس الأوائل هذه الجماعات الحرة المسلمة لقطع المواصلات على السفن البيزنطية، وكعيون لهم داخل البحر الذي كان للروم فيه الغلبة[١].

وجاءت ثورة توماس الصقلي[٢] سنة ٢٠٥-٢٠٧هـ/ ٨٢٠-٨٢٢م التي استغلها الخليفة المأمون العباسي ضد البيزنطيين بذكاء[٣]، فأصابت القوة البحرية البيزنطية بضربة قاسية، إذ خرجت هذه القوة منها غربان تماماً، وقد أتت الحرب الأهلية على أساطيلها في الولايات وشتت شملها[٤].

وكان يكفي لقوة منظمة ناشطة أن تكثف العمل لتحقيق الانهيار البيزنطي البحري، وعلى أثرها وجه الخليفة المأمون كل انتباهه لمشاكل الخلافة الداخلية وقام بتأجيل خطته العسكرية بشن حملة ضد الإمبراطورية البيزنطية لبعض الوقت[٥]،ثم يعاود بنفسه قيادة الصائفة في سنة ٢١٥هـ/ ٣١٠م[٦].

وقد حاول الخليفة المأمون مهاجمة القسطنطينية والسيطرة عليها فتوجه إلى الروم البيزنطيين في سنة ٢١٨هـ/ ٨٣٣م، وقد استعد لحصار عمورية، إذ وجه العرب فأتى بهم من البوادي ثم أنزلهم كل مدينة افتتحها حتى اقترب إلى القسطنطينية[٧]، وفيما يأتي أبرز أمراء هذه المدة:

---

(١) العدوي، الدولة الإسلامية وامبراطورية الروم، دار الانجلو المصرية، القاهرة، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، ص ١٠٧.

(٢) ثورة توماس الصقلي: اندلعت ثورة عارمة في آسيا الصغرى ،بقيادة جندي يدعى توماس الصقلي ،ضد الإمبراطور البيزنطي ميخايل الثامن سنة٢٠٦هـ/٨٢١م،على الرغم من القضاء على هذه الثورة سنة ٢٠٩هـ/٨٢٤م،لكن البيزنطيون عانوا من نتائجها السلبية على إمبراطوريتهم. طه، دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي ،دار المدار الإسلامي،بيروت،١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م،ص١٦١.

(٣) عبد الجليل، محمد عثمان، ثورة توماس الصقلبي في الامبراطورية البيزنطية (٢٠٥-٢٠٧هـ/ ٨٢٠-٨٢٢م) جامعة طنطا، كلية الآداب ، رسالة ماجستير غير منشورة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ص ٥٠؛ محمود، العالم الاسلامي، ص ٣٩٨.

(٤) فازيليف، العرب والروم، ص ٢٨-٢٩؛ طاقة ،رنا صلاح طاهر ، قضية الاسرى بين الخلافة العباسية والامبراطورية البيزنطية (١٣٢-٣٧١هـ/ ٧٤٩-٩٧٩م) ، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٤م، ص ١٠٢.

(٥) فازيليف، العرب والروم، ص ٥١؛ طاقة، قضية الاسرى، ص ١٠٢.

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٤١٧.

(٧) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٤٦٩.

١- أبو حفص عمر بن شعيب الربضي:

ثار أهل الربض[١] بقرطبة في عهد الحكم الأول الأموي سنة ٢٠٢هـ/ ٨١٧م والذي لقب بالحكم الربضي، وكانت ثورة عارمة، استخدم الحكم ضدهم كل أساليب البطش والشدة وقمع الفتنة، وأمر بتدمير الربضي الحي الثائر، فطلب من سكانه الخروج من الأندلس خلال ثلاثة أيام، فذهب فريق منهم إلى مدينة فاس المغربية، بينما اتجه فريق منهم إلى الاسكندرية واستولوا عليها وكانوا حوالي خمسة عشر ألف عدا النساء والأطفال[٢]، ولم يلقوا معارضة عند نزولهم بمصر، إذ كانت الفوضى مستحكمة بها، والثورات مشتعلة في كل مكان، وكانت الاسكندرية وقتئذ عرضة لهجمات العرب من قبيلتي لخم وجذام، فاستغل الربضيون هذه الفرصة واستولوا على الاسكندرية سنة ٢٠٣هـ/ ٨١٨م[٣].

وفي هذه الأثناء قلد الخليفة المأمون عبد الله بن طاهر[٤] ولاية مصر، فاستتب له الأمر في الفسطاط، ثم تمكن من ارغام الربضيين على مغادرة الاسكندرية، فاستقر رأيهم على أن يتخذوا من جزيرة كريت مقاماً لهم، إذ أنهم أرسلوا سنة ٢١١هـ/ ٨٢٦م اسطولاً بحرياً مؤلفاً من عشرين سفينة الى كريت، عادت بكثير من الغنائم والأسرى، ودرست طبيعة المنطقة وعرفتها جيداً[٥].

---

(١) أهل الربض:كانوا يسكنون ضاحية من ضواحي قرطبة يفصلها عن المدينة واد شيد عليه هشام بن عبد الرحمن جسراً رابطاً المدينة بضواحيها الجنوبية، وكان سكان أهل الربض من الطبقة الشعبية واقعين تحث تأثير علماء الدين الذين ناصبوا العداء للحكم بن هشام. المغلوث، عبدالله ،سامي ،أطلس تاريخ الدولة العباسية، العبيكان،القاهرة،ص١٢٢

(٢) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص ٢٧٠.

(٣) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ج١، ص ١٥٩.

(٤) عبد الله بن طاهر: عبد الله بن طاهر الخراساني، كان بارع الأدب حسن الشعر نبيها في نفسه تنقل في الأعمال الجليلة شرقا وغربا قلده المأمون مصر والمغرب ثم نقله عنها إلى خراسان بعد وفاة أبيه ،كان حاكم الإمارة الطاهرية على خراسان، اشهر الحكام الطاهريين، عهد المأمون إلى عبد الله بن طاهر بولاية خراسان ،توفي سنة ٢٣٠هـ/٨٤٤م، أبن عساكر، تاريخ دمشق،ج٢٩،ص٢١٧؛ أبن سعيد الأندلسي ،أبو الحسن علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) ، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، ط٣، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ج١، ص ٤٢.

(٥) ابن خلدون، العبر،ج٤، ص ٢٧٠؛ العدوي، الأساطيل العربية، ص ٦٧.

أغرت جزيرة كريت الريضيين بما اشتهرت به الجزيرة من الخصوبة والثراء، ووفرة مواردها الطبيعية، فلما اتفقوا مع عبد الله بن طاهر والي مصر على المغادرة ، قادهم زعيمهم أبو حفص عمرو بن شعيب[١] في أربعين سفينة سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧م، في خليج سودا في كريت، فلما وطئوا أرض الجزيرة أعملوا فيها السلب والنهب لمدة اثنى عشر يوماً[٢].

ولم يلق الريضيون أي مقاومة تذكر عند نزولهم كريت، ولما استقروا بها، اختاروا موقعها على الشاطئ الشمالي ليقيموا مدينة جديدة تطل على جزر الأرخبيل، وأحاطوا هذه المدينة بخندق عميق[٣]، ومنه اتخذت المدينة اسمها فكان يطلق عليها الخندق أو كنديا مع سيطرتهم على تسعة وعشرين مدينة أخرى[٤].

كانت الدولة البيزنطية تدرك مدى الخسارة التي منيت بها، سياسياً وعسكرياً وتجارياً، بسقوط كريت في حوزة المسلمين، فعدت الدولة البيزنطية سقوط جزيرة كريت فقدانها لواحدة من أكبر القواعد الاستراتيجية شرقي البحر المتوسط، مما جعلها تقوم بعدة محاولات لاستعادتها [٥] ، و على الرغم من ذلك أرسل حملتين لاستردادها ولكنه لم يتمكن من ذلك، ثم أرسل حملة ثالثة مكونة من سبعين سفينة بقيادة كراتيروس[٦] قائد اسطوله والذي تمكن بصعوبة بالغة من انزال جنوده إلى أرض الجزيرة، غير أنهم لم يتمكنوا من البقاء فيها، فقد أجلاهم العرب الريضيون عن كريت، بعدما قتلوا منهم أعداداً كبيرة منهم القائد كراتيروس[٧].

---

(١) عمر بن شعيب: أبو حفص عمر بن شعيب، وهو أحد حكام إمارة كريت من سنة ٢٠٨هـ/ ٨٢٤م إلى سنة ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م، ومؤسس أمارة كريت (اقريطش) في جزيرة كريت على البحر المتوسط، كان أحد من هاجروا من الأندلس بعد أن ثاروا على الحكم بن هشام الاموي. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص ٢٣٤.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان ، ص ٢١٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ١٧٤.

(٣) ابن خلدون، المقدمة ، ج١، ص ٢١؛ العدوي، الدولة الإسلامية، ص ١٢٤.

(٤) فازيليف، العرب والروم، ص ٥٧.

(٥) العدوي، تاريخ الدولة الإسلامية والروم، ص ١٢٦.

(٦) كراتيروس: قائد عسكري مقدوني خدم تحت أمرة الإسكندر الأكبر، وأحد ملوك طوائف الأسكندر ،الكريدلي تحسين علي، جزيرة كريت في التاريخ العربي الإسلامي،ط١،دار البيروني ،القاهرة، ١٤٣٩هـ/٢٠١٩م ص ٤١.

(٧) العدوي، قوات البحرية العربية، ص ٨٨.

وهكذا أفشلت محاولات الامبراطور ميخائيل الثاني وغيره من أباطرة بيزنطة الذين أتوا بعده في استعادة الجزيرة المفقودة، وتمكن المسلمون من البقاء في كريت الإسلامية زهاء قرن ونصف من الزمان(١).

٢- أحمد بن دينار بن عبد الله:

تولى أبو اسحاق محمد المعتصم أمر الخلافة يوم وفاة أخيه المأمون سنة ٢١٨هـ/ ٨٣٣م(٢)، واستطاع تحقيق نصر عظيم على الروم البيزنطيين في معركة عمورية سنة ٢٢٣هـ/ ٨٣٧م(٣)، والتي كانت سبباً لاضطرار الامبراطور البيزنطي ثيوفيليوس إلى السعي وراء التحالف والتعاون مع دول أخرى، فأرسل لسفراء إلى إمبراطور الغرب (لويس الثغي) يسأله أن يرسل له اسطولاً بحرياً قوياً لمهاجمة مصر وسوريا، واسترجاع كريت وصقلية من السلمين(٤)، وعلى الرغم من أن لويس الثغي استقبل سفراء الامبراطور البيزنطي بحفاوة وود والذين وصلوا إليه في سنة ٢٢٥هـ/ ٨٣٩م إلا أنه لم يحقق شيئاً من طلبات الامبراطور خوفاً من انتقام المسلمين(٥).

وفي سنة ٢٢٦هـ/ ٨٤٠م عقدت هدنة بين الامبراطور ثيوفيليوس والخليفة المعتصم ولم تدم طويلاً فقد أعد الخليفة العباسي حملة بحرية لمهاجمة القسطنطينية، ففي سنة ٢٢٧هـ/ ٨٤١م قادها القائد المسلم أمير البحر أحمد بن دينار بن عبد الله(٦) والذي قيل أنه كان أميراً على جزيرة كريت(٧)،وقيل انه كان والي دمشق سنة ٢٢٩هـ/ ٨٤٣م(٨)،إذ خرج في إسطول مكون من أربعمائة سفينة حربية كبيرة من موانئ سوريا متوجهاً نحو القسطنطينية، ولما رأى سكان العاصمة فهددوهم

(١) شاكر، دولة بني العباس، ج٢، ص ٣٦٤.
(٢) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٢٠٧.
(٣) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص ١٣٤؛ ابن قتيبة، المعارف ، ص ٣٩٢.
(٤) فهمي، البحرية الإسلامية، ص ٢٩٧.
(٥) فازيليف، العرب والروم، ص ٦٦.
(٦) أحمد بن دينار: عامل ايذج ونواحيها من كور الأحواز في جمع كثير والرجالة فكان يباشر الحرب بدقة وأصحابه إلى أن قتل. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٥٨٢.
(٧) فازيليف، العرب والروم، ص ٦٦.
(٨) النويري، نهاية الأرب، ج٦، ص ١٩٨.

واتخذوا وسائل الدفاع الممكنة[١]، ومات الخليفة المعتصم قبل موت الامبراطور ثيوفيليوس وقبل أن يرى النازلة التي حلت باسطوله، إذ تدخلت عوامل الطبيعة في مصيره، فهبت عاصفة هوجاء عصفت باسطول المسلمين قرب جزر كاليدونيا على مبعدة من شاطئ ليكيا، وأتت عليه، ولم ينج منها إلا سبع سفن واضطرت إلى العودة إلى سوريا ونجت بذلك العاصمة البيزنطية[٢].

٣- ليو الطرابلسي :

اختلف المؤرخون في اسمه وأصله فذكره المؤرخون البيزنطيون باسم (ليو الطرابلسي) صاحب طرابلس وهو اسم لم يرد في المصادر العربية الإسلامية، ومن المحتمل أنه لم يكن سوى الأميرال (غلام زرافة) الذي ذكره الطبري[٣]، وغيره من المؤرخين[٤]، وذكره المسعودي[٥] باسم (رشيق الورداني) المعروف بغلام زرافة، والذي يدعوه لاوي الطرابلسي، ويلقب بأبي الحارث وأنه عهد إليه بقيادة السفن البحرية في البحر المتوسط، ولفظ لاوي إنما هو تحريف واضح للفظ (ليو)[٦]، وقيل عن حياته وأصله أنه كان نصرانياً ابناً لوالدين مسيحيين من مدينة اتاليا في الجنوب الشرقي لآسيا الصغرى، وترك المسيحية ودخل في الإسلام[٧]، وكان من أشهر قادة الأساطيل وأمراء البحر المسلمين على الاطلاق[٨].

ففي نهاية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي أصبح الاسطول الشامي مصدر هلع لسكان جزر الأرخبيل في الوقت الذي دبرت فيه مؤامرة ضد الامبراطور البيزنطي (ليو السادس) ليكون التاج للحاكم العسكري لاند رونيكوس والذي ساعده ابنه قسطنطين والبطريق يوستاس، وكان الثلاثة قوة لا يستهان بها، إذ كانوا اقطاعيين يملكون اقطاعات كثيرة[٩].

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان ، ص ١٨٩.

(٢) فهمي، البحرية الإسلامية، ص ٢٩٨.

(٣) تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٦٥٦.

(٤) المسعودي، التنبيه والاشراف، ص ١٥٣؛ الذهبي، العبر، ج١، ص ٤١٩؛ ابن خلدون، العبر، ج٣، ص ٤٤٥.

(٥) مروج الذهب، ج١، ص ٢٨٢.

(٦) فهمي، البحرية الإسلامية، ص ٢٩٩.

(٧) العدوي، الأساطيل العربية، ص ١٤٢.

(٨) ابن خلدون، العبر، ج٣، ص ٤٤٥.

(٩) العريني، الدولة البيزنطية، ص ٣٧٩.

وكان لابد من معاضدة الاسطول الإسلامي لهم، وذلك عن طريق خيانة يوستاس الذي لم يكن فقط نائب قائد الاقليم الأناضولي بل كان أمير البحر للاسطول الامبراطوري، وكان يتولى كذلك منصب رئيس الحرس، وكان أكثر العسكريين نفوذاً في الامبراطورية البيزنطية(١).

وفي سنة ٢٨٩هـ/ ٩٠١م كان يوستاس يعمل في وفاق مع المسلمين، وما أن حل فصل الشتاء حتى كان على تفاهم تام مع نيكولاس مستيكوس الذي انتخب بطريقاً للقسطنطينية، وعن طريقه نالوا تأييد الكنيسة والذي كان أمراً جيداً لهم، وفي اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م كانت هناك محاولة لاغتيال الامبراطور(٢).

وفي ربيع الثاني استولى الاسطول المرابط في قواعده في طوروس وطرابلس على لمتوس دون مقاومة تذكر من الاسطول البيزنطي(٣)، والتحق شخص عربي يدعى (سامونوس) بخدمة الامبراطور (ليو السادس) وقضى معه على مؤامرة دبرها أقارب الامبراطورة (زوي) ليقضوا على الامبراطور واحلال واحد منهم مكانه على العرش البيزنطي(٤).

لذلك ألحقه الامبراطور بخدمته لاسيما وأصبح على اتصال وثيق بعمل" البوليس السري"، ولكنه أصبح خائناً لسيده الامبراطور وحاول الفرار متخفياً في سنة ٢٩١هـ/ ٩٠٣م ولكن غلب عليه واعيد إلى العاصمة وبدلاً من أن يعدمه الامبراطور (ليو السادس) أعاده إلى خدمته وتركه لكي يدبر مؤامرة دون عائق، واعيد يوستاس إلى قيادة الاسطول البيزنطي(٥)، ولقد دفع الامبراطور البيزنطي غالياً نظير اهماله، ففي منتصف شهر شعبان سنة ٢٩١هـ/ ٩٠٣م ظهر اسطول إسلامي على مبعدة من الهلسبونت قوامه أربع وخمسون سفينة تحمل كل منها مائتي رجل خلاف ضباطهم(٦)، وكان يقود هذا الاسطول (ليو الطرابلسي) أكثر أمراء البحر المسلمين نشاطاً وجرأة وحكمة(٧)، ولم يبد أمير البحر

(١) توفيق، الدولة البيزنطية، ص ٢١١.
(٢) العريني، الدولة البيزنطية، ص ٣٨٩.
(٣) توفيق، الدولة البيزنطية، ص ٢١٣.
(٤) العريني، الدولة البيزنطية، ص ٣٨٩.
(٥) فازيليف، العرب والروم، ص ١١٦.
(٦) سعيد، ابراهيم، حسين، البحرية في عصر سلاطين المماليك، دار المعارف، جامعة ميشيغان، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م، ص ٢٩٩.
(٧) فهمي، البحرية والإسلامية، ص ٢٩٩.

البيزنطي (يوستاس) أية مقاومة تذكر، فدخل ليو الطرابلسي أو غلام زرافة البوغازينو زحفاً الى العاصمة القسطنطينية، أما قائد القوات البرية البيزنطية فكان مستعداً للأضراب عن القتال بمجرد ظهور ليو الطرابلسي بأسطول المسلمين تحت أسوار العاصمة[١].

وعندها تحركت الدولة البيزنطية فأغتالت يوستاس وحل محله (هميريوس) وتلقى (اندرونيكوس) أمر بأن يبحر بجنوده دون توان، بأمرة أميرال جديد ليحارب (ليو الطرابلسي) ولكنه عصى أمراً الامبراطور ووصلته الرسالة من (ساموناس) ليخبره فيها أن مؤامرته قد كشفت، وأنه بمجرد أن تطأ قدمه سفينة الأميرال ولو أن اسطولهم صد عن القسطنطينية[٢]، لذا رحل ليو الطرابلسي إلى شاسوس وهاجم سالونيك[٣]،

وكان الهجوم على سالونيك هو أجرأ عمل أقدم عليه أمير البحر ليو الطرابلسي، ضد الدولة البيزنطية، ومن حسن الحظ أن تفاصيل هذا الهجوم رواها شاهد عيان اسمه (جان كامنياس) والذي كان قساً ومواطناً في سالونيك، ووصف تجارب الحصار وشدائده، فهو يصور لنا سالونيك وهي في أوج قوتها قبل مهاجمته المسلمين لها بأسطولهم، إذ كانت ثاني مدن الامبراطورية البيزنطية في عدد سكانها وثروتها، وكانت مركزاً تجارياً يتمتع بحياة ثقافية عالية، وأضفت عليها الطبيعة ما جعلها عاصمة وميناء اقليم شاسع ذي ثراء وخيرات، فالخليج الذي تقع عليه جعل منها مرسى آمناً، إذ يمكن للسفن أن ترسوا أو تشحن حمولتها ويحد الميناء المدينة من الجنوب ويفصله عنها جدار طويل يمتد من الجنوب، ويفصله عنها جدار طوله ميل يمتد على طول الشاطئ[٤].

توقع الامبراطور ليو السادس أن هجوماً جريئاً سيقع على أراضيه، وجرت اشاعة في العاصمة القسطنطينية أن العدو ينوي مهاجمة سالونيك وكانت أسوارها منيعة، واستحكاماتها قوية، ولكنها كانت مهملة وكانت المدينة دون حامية أو فرق قائمة من الجيش فأرسل الامبراطور ضباطاً تباعاً يحملون تعليمات مختلفة، ولكن الخيانة والتجسس كانت من سمات البيزنطيين[٥].

---

(١) فازيليف، العرب والروم، ص ١١٦.

(٢) توفيق، الدولة البيزنطية، ص ٢١٦.

(٣) غنيم ، اسمت، الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية، دار المعارف ،القاهرة، ١٤٠٤هـ /١٩٨٣م،ص١٩٣ .

(٤) فهمي، البحرية الإسلامية، ص ٣٠٠.

(٥) العريني، الدولة الإسلامية والروم، ص ١٢٩.

وعهد إلى (همبريوس) أمير الاسطول البيزنطي وقتئذ بالدفاع عن الامبراطورية، فأبدى ولاء كامل للامبراطور، ولكن قلة خبرته البحرية جعلته لم يقوى على مواجهة الاسطول الإسلامي الذي وصل إلى أسوار سالونيك، بقيادة ليو الطرابلسي، الذي اختبر الأسوار والتحصينات وقرر أن سفنه يمكنها معالجة المدينة من عدة جهات عينها هو باحكام، ونفذ مشروعه بكفاية وحزم(١).

وفي اليوم العاشر من شهر رمضان سنة ٢٩١هـ/ ٩٠٣م دخل المسلمون سالونيك عنوة، وكان الأحباش من سفن الاسكندرية أو من ثبتوا أقدامهم في سور المدينة، التي أصبحت بعد ذلك مفتوحة للمسلمين(٢)، وحاول عدد من أهلها الفرار منها، ويقول القسيس كا: "أنه بينما هو ووالده وأمه وأخواه يحاولون الهرب قبضت عليهم فرقة من الأحباش وبعد رحيل الاسطول من ميناء سالونيك استغرق جمع الغنائم بضعة ايام ورحل كامنيوتس على سفينة الاميرال المصري الذي كان في خدمة ليو الطرابلسي وكانت بحرة السفينة مائة رجل وعليها ثمانمائة أسير بين رجال ونساء وأطفال ازدحمت بهم أرضية السفينة"(٣).

ولم يستطع قائد الاسطول البيزنطي مهاجمة الاسطول الإسلامي المحمل بالغنائم كما استولى أمير الطرابلسي على الكثير من السفن البيزنطية الحربية والتجارية وعبئها بالأسرى والغنائم والذين بلغ عددهم ٢٢ ألف أسير ورسا الاسطول الإسلامي في (زنتاريون) وهو ميناء مواجه لجزيرة (ديا) وكان أنسب مأوى له(٤)، وزعت الغنائم بطريقة القرعة، وتغرق الاسطول وأبحرت السفن الشراعية من كريت إلى الاسكندرية ومختلف الأماكن التي أتت منها(٥).

(١) فهمي، البحرية الإسلامية، ص ٣٠١.

(٢) العريني، الدولة الإسلامية والروم، ص ١٣٢.

(٣) غنيم ، الإمبراطورية البيزنطية، ص١٨٥؛ العريني، الأساطيل العربية، ص ٩٦.

(٤) ابن الأثير، الكامل في تاريخ ، ج٧، ص١٧٤؛ فهمي، البحرية الإسلامية، ص ٣٠١.

(٥) ابن خلدون، العبر، ج٣،ص٣٥٧؛ سعيد، البحرية في عصر السلاطين، ص ٢٩٩.

الفصل الرابع:

أمراء البحر في المغرب العربي والأندلس

المبحث الأول: أمراء البحر في المغرب العربي الإسلامي.

المبحث الثاني: أمراء البحر في الأندلس.

.

المبحث الأول : أمراء البحر في المغرب العربي الإسلامي.

أسهم سكان المغرب بنصيب كبير في النشاط البحري التجاري ولاسيما في البحر المتوسط قبل الإسلام، وكانت موانئ الشمال الأفريقي مثل قرطاجنة[١] وبونة[٢] وسبتة وطنجة[٣] محطات تجارية مهمة في البحر ترسو بها السفن للمتاجرة، وتقلع عنها إلى موانئ غالة وإيطاليا وإسبانيا، وهذه الحركة التجارية البحرية النشيطة إنما هي مرتبطة بالحالة العامة في بلاد المغرب، فإذا ساد السلم وجدنا أهل المغرب في البحر[٤].

ويختلف المغرب عن غيره عندما دخل في حوزة الإسلام من بلاد البحر المتوسط بأن النشاط البحري كان جزء لا يتجزأ من حياته وكيانه الاقتصادي والاجتماعي ؛ لأن أخصب بلاد المغرب وأفضلها للسكن وأوفرها ماء هي مناطق الشريط الساحلي الذي يتصل من أفريقية إلى المحيط الأطلسي، ومن دون هذا الشريط يكون سياج الجبال المثالية[٥] كما قال ابن خلدون[٦] وهي جبال درن أو الأطلس وتليها نواحي الحمراء وتتخللها واحات وسهول ضيقة.

هذا الشريط الساحلي لا يستغني سكانه عن البحر وتجارته، ولذا كان أهله من أنشط الأمم البحرية أيام الرومان والبيزنطيين، إذ كانت بلاد شمال أفريقية تابعة للروم البيزنطيين، الذين عمدوا إلى التشبث بالدفاع عن هذا الجزء من ممتلكاتهم عوضاً لهم عما فقدوه من ولايات في شرق البحر المتوسط، وكان الإمبراطور قنسطانز الثاني هو صاحب تلك الدفاعية الجديدة بعد هروبه من موقعة ذات الصواري البحرية سنة ٣٤هـ/ ٦٥٤م، والذي أظهر عجزه عن الدفاع وتنظيم دولته البحرية في

---

(١) قرطاجنة: قرطاجنة أفريقية وهي أجلها وأشهرها وهي تونس وراء بلاد القيروان وهي أرض الافرنجة وبين قرطاجنة وتونس عشرة أميال، هي من المدن الأثرية المشهورة. الحميري، الروض المعطار ، ص ٤٦٢.

(٢) بونة: مدينة تقع على ساحل البحر في مرتفع مطل على مدينة سبوس وتسمى مدينة زاوي. البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص ٧١٧.

(٣) طنجة: مدينة كبيرة وقديمة بناؤها من الحجر فيها آثار للأول تقع على ساحل البحر المتوسط المقابل لساحة عدوة الأندلس، تبعد عن سبتة مسافة ثلاثين ميلاً، وعن القيروان مسافة ألف ميل، وقد كانت مقراً لحكام المغرب من البيزنطيين وغيرهم من الأمم السالفة. ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٨١؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٥٦.

(٤) العدوي، الدولة الإسلامية، ص ٩٦.

(٥) العدوي، الأساطيل العربية، ص ٦٦.

(٦) العبر، ج٦، ص ٢٧٣.

المشرق ؛لأن العرب المسلمين أصبحوا قوة كبرى في عالم البحرية، فبدأ يفكر في بناء قاعدة بحرية بعيدة عن بطش الأسطول العربي الإسلامي القوي وتكون وسيلة في المستقبل لكسر شوكته[١].

وبدأ الإمبراطور قنسطانز الثاني ينفذ سياسته البحرية الجديدة حينما وقع اختياره على صقلية لتكون مركزاً للمقاومة ضد النشاط البحري العربي الإسلامي المتزايد، فنقل عاصمته إلى تلك الجزيرة بعد وقعة ذات الصواري البحرية وهزيمته فيها[٢]، ثم عهد إلى تدعيم اساطيله هناك بربط ما تبقى لدولته من أملاك في ايطاليا مع ممتلكاته في شمال أفريقيا لتصل سرقوسة[٣] (سيراكوز) بصقلية، إذ بعث اساطيله منها لتغير على القوات العربية الإسلامية التي وصلت طلائعها إلى أفريقية (المغرب الأدنى)[٤].

ونجح قنسطانز بفضل قواته البحرية في استرداد الأقاليم التي فتحها العرب المسلمون في برقة وتونس، كما حصن مدن الشمال الأفريقي المهمة مثل قرطاجنة، وزاد عدد السفن الحربية فيها، غير أن الإمبراطور قنسطانز اتسمت أعماله بالقسوة، ونجم عنها مؤامرة انتهت بالتخلص منه، وقتله غيلة في صقلية سنة ٤٨هـ/ ٦٦٨م[٥].

غير أن مقتل قنسطانز لم يؤثر في سياسة الروم البحرية في غرب البحر المتوسط، إذ صارت أساطيل البيزنطيين تقف بالمرصاد للفتوحات العربية الإسلامية التي اتجهت إلى بلاد المغرب، بعد أعتلا معاوية بن أبي سفيان عرش الخلافة[٦]،وفيما يأتي أهم أمراء هذه المدة :

---

(١) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢١٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص ١٤.

(٢) العريني، الدولة البيزنطية، ص ٣٥٤.

(٣) سرقوسة: مدينة سرقوسة من مشاهير المدن وأعيان البلاد تشد إليها المطي من كل حاضر وباد ويقصد إليها قصاد التجار من سائر جميع الأقطار وهي على ساحل البحر وهو محدق بها دائر بجميع جهاتها والدخول إليها والخروج عنها على باب واحد وهو بشمالها وشهرتها تغنى عن التكثير من وصفها إذ هي منبر مشهور ومعقل مذكور ،مدينة في جزيرة صقلية. الادريسي، نزهة المشتاق في اختراع الافاق،ج٢،ص٥٩٧؛ ياقوت الحموي ،معجم البلدان،ج٣،ص٢١٤.

(٤) توفيق، الدولة البيزنطية، ص ٦٨.

(٥) العريني، الدولة البيزنطية، ص ٣٥٦.

(٦) البلاذري، فتوح البلدان ، ص ١٥٥.

١- عقبة بن نافع (٥٠-٥٥هـ/ ٦٧٠-٦٧٤م):

أشار الطبري[١] في حوادث سنة ٤٩هـ/ ٦٦٩م خبر أحدى الحملات فقال كانت غزوة عقبة بن نافع البحر فشقنا بأهل مصر، ولكنه لم يذكر وجهة هذه الحملة إلا أن ارشيبالد لويس[٢] ذكر وجهة أحدى الحملات الإسلامية وجيها نحو المغرب، فانحازوا على صقلية سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م وهذا التاريخ ينطبق تقريباً مع التاريخ الذي أورده الطبري، مما يدل على أن عقبة بن نافع ربما توجه بالغزو نحو هذه الجزيرة[٣].

عندما خرج عقبة بن نافع[٤] لغزو بلاد المغرب سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م[٥] اتبع الطريق الداخلي ليكون بمأمن من اغارات سفن الروم، ولما بلغ تونس أسس فيها أول قاعدة عربية حربية في شمال افريقية وهي القيروان[٦]، بعيداً عن الساحل حتى تكون عسيرة المنال على الأساطيل البيزنطية المعادية[٧].

ولكن سياسة عقبة بن نافع لم يكتب لها النجاح بسبب وجود أساطيل الروم، وقدرتها على الاتصال بالبربر سكان بلاد المغرب، إذ أعد الروم بالاتفاق مع البربر كميناً في بلدة تهوده[٨]، قضوا

---

(١) تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٢١٠.

(٢) القوى البحرية والتجارية، ص ٩٦.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان ، ص ٢٢٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٢١٠.

(٤) عقبة بن نافع: عقبة بن نافع بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن الظرب بن الحارث من بني فهر، بطن من بطون قريش، ولد في عهد الرسول (ﷺ) هو تابعي وقائد عسكري من أبرز أمراء الفتح الإسلامي للمغرب في عهد الخلافة الراشدة ثم الدولة الأموية ووالي أفريقية مرتين (٥٠-٥٥هـ) و (٦٢-٦٣هـ) في عهدي معاوية بن أبي سفيان ويزيد بن معاوية، توفي سنة ٦٣هـ/ ٦٨٢م. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ٤٢؛ابن الأثير،أسد الغابة،ج٣،ص٤٢٠.

(٥) البلاذري، فتوح البلدان ، ص ٢٢٩؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٢١٦؛ قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص ٣٤٤.

(٦) القيروان: من أقدم المدن الإسلامية وتبعد عن تونس العاصمة بمسافة ١٦٠ كيلو متر ظلت أربعة قرون عاصمة للإسلام في قارة أفريقيا، وهي كلمة فارسية تعني مكان اجتماع الناس في الحرب أو رهط الجيش، أسسها عقبة بن نافع. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٤٢؛ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج١،ص٥٥.

(٧) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص ١٢؛ العدوي، الأساطيل العربية، ص ٦٧.

(٨)تهودة: بلاد الزاب بالقرب من بسكرة، وهي مدينة أولية بنيانها بالحجر الجليل وعليها سور عظيم، ولها ربض ويدور بجميعها خندق، ولها نهر كبير ينصب إليها من جبل أوراس، الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار،ص١٤٢

فيه على عقبة أثناء عودته من غزوته في المغرب الأقصى[١]، وقد عجز زهير بن قيس[٢] خليفة عقبة والذي سار سنة ٦٩هـ/ ٦٨٨م إلى أفريقية عن دعم الفتوحات العربية الإسلامية هناك بسبب سياسة الروم البحرية كذلك[٣].

وكانت خطة الروم تجري على أساس افتقار العرب في بلاد المغرب إلى أسطول يساند فتوحاتهم وزحفهم على شمال أفريقيا، فلم يتعرض أسطول الروم لقوات زهير أثناء توغلها في بلاد المغرب حتى صارت خطوط التموين العربية طويلة ومن السهل مهاجمتها من البحر، ولم ينتبه زهير لهذا الخطر الكامن له من ناحية البحر، وتابع فتوحاته وعندما فرغ زهير من حملته رجع قافلاً إلى برقة[٤]، إذ جرت العادة على عودة القوات العربية إلى مصر بعد انتهاء مهمتها في شمال أفريقية[٥].

وفي تلك الأثناء نجحت سفن الروم بالاقتراب من ساحل برقة لمهاجمة قوات زهير المنهكة القوى، للانقضاض عليها فجأة، وقد علم زهير عندما اقترب من برقة بنزول جند من الروم البيزنطيين على ساحلها، دون أن يتوقع مدى قوة واستعدادات الروم البحرية، إذ اعتقد زهير أن سفناً ضئيلة للروم قد رست بشواطئ برقة ولا ضير من مهاجمتها[٦].

وذهب زهير إلى الساحل على رأس نفر يسير من قواته ليستطلع الأخبار فوجد الروم في سفن كثيرة العدد، ومعهم عدد من أسرى المسلمين ولما رأى هؤلاء الأسرى زهير استغاثوا به لتخليصهم من الأسر، غير أن الروم كانوا قد أعدوا معسكراً على الشاطئ بعيداً عن أعين العرب المسلمين، ولذا ما

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص ١٣٩.

(٢) زهير بن قيس: زهير بن قيس البلوي ،يكنى أبا شداد ،وهو من الصحابة ،شهد فتح مصر وقيل أنه ولد في عهد الرسول محمد (ﷺ).ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥، ص ٣٩٣ ؛ أبن الأثير، اسد الغابة، ج٢، ص ٢١١.

(٣) البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص ٦٥٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٣٦٢.

(٤) برقة: اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الاسكندرية وافريقية، واسم مدينتها انطابلس. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ١٣٢؛ البكري، المسالك والممالك، ص ٣٣.

(٥) سالم، تاريخ المغرب العربي في العصر الإسلامي، مكتبة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، ص ١٤٤.

(٦)عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ص ١٨٠.

كانت أقدام زهير ومن معه تطأ أرض الساحل حتى فوجئوا بجند الروم المختفي في المعسكر، ودارت معركة قاسية أستشهد فيها زهير كما أستشهد عقبة عند تهودة من قبل[١].

كان لاستشهاد زهير بأرض برقة نتائج بعيدة المدى في سياسة العرب المسلمين البحرية في غرب البحر المتوسط، إذ ادرك الخليفة الأموي في عاصمة الخلافة دمشق أن الموقف يتطلب انتزاع قواعد الروم البحرية في بلاد المغرب وأنشاء أسطول عربي إسلامي أخر في مياه الجبهة الجديدة، تكون مهمته القضاء على سيادة الروم البحرية في غرب البحر المتوسط[٢].

٢- حسان بن النعمان:

بعد وفاة الخليفة معاوية بن أبي سفيان سنة ٦٠هـ/ ٦٧٩م[٣] فتر النشاط البحري الإسلامي في البحر المتوسط، وما على الغزوات والحملات البحرية العربية، ولا يرجع هذا فقط إلى أن العرب المسلمين قد فتحوا معظم الجزر المنتشرة في شرق البحر المتوسط وهزموا ودمروا الاسطول البيزنطي، وسيطروا على الملاحة في حوض البحر المتوسط، ولكنه يرجع أيضاً إلى الاوضاع الداخلية في الدولة الأموية والمتمثلة بوصول يزيد بن معاوية (٦٠-٦٤هـ/ ٦٧٩-٦٨٣م) إلى الخلافة و انشغاله في الصراع مع الخارجين عليه [٤].

وقد استمر هذا الفتور البحري الإسلامي في البحر المتوسط حتى خلافة عبد الملك بن مروان سنة ٦٥-٨٦هـ/ ٦٨٤-٧٠٥م[٥]، والذي ما أن قضى على الثورات الداخلية حتى وجه اهتمامه نحو البحر، فأولى الحملات البحرية عناية واهتمام كبيرين، ولم يغفل عن اعادة سيطرة المسلمين على البحر المتوسط، ولاسيما الجزر التي لم تستقر أقدام المسلمين فيها، والواقعة في غرب البحر المتوسط، واستأنف العرب المسلمين نشاطهم البحري بإنشاء دار صناعة السفن في تونس رغبة منهم في تقوية

---

(١) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص ٥٦.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان ، ص ٢٢٧.

(٣)أبن قتيبة، المعارف ، ص ٣٢١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ١١٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب ، ج١، ص ٢٣.

(٤) مجهول، اخبار الدولة العباسية، ج١، ص ٩٩؛ أبن قتيبة ، المعارف، ج١، ص ٣٥١.

(٥) خليفة ابن خياط، الطبقات، تحقيق : أكرم ضياء العمري، ط٢، دار طيبة – الرياض ، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢م،ج١، ص ٥٥٢.

وتدعيم أسطولهم البحري في غرب البحر المتوسط[١]، ويعود الفضل في قيام هذه الصناعة في المغرب العربي إلى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، الذي أمر أخاه عبد العزيز بن مروان والي مصر بإرسال عدد كبير من أقباط مصر المتمرسين بصناعة السفن إلى تونس، كما أمر الوالي حسان بن النعمان[٢] أن ينشأ دار لصناعة لسفن ويجاهد الروم براً وبحراً[٣].

وكان من نتيجة ذلك مباشرة العرب المسلمين نشاطهم البحري وقيامهم سنة ٧٤هـ/٦٩٦م بحملة بحرية انطلقت من تونس إلى قرطاجنة، وكان يتولى قيادتها أمير البحر حسان بن النعمان والي أفريقية، إذ بادر حسان بمهاجمة قرطاجنة أقوى قاعدة للأسطول البيزنطي في مياه المغرب[٤]، وكان يدرك أن نجاحه يتوقف على سرعة العمل والتنفيذ ومن ثم فاجأ المدينة بقواته الهائلة، وأنزل بالروم هزيمة فادحة انسحبت على أثرها سفنهم من الميناء والتجأت إلى صقلية[٥].

وذكر ابن عذاري[٦] أن حسان بن العمان عندما وصل القيروان والياً سأل أهل أفريقية من أعظم ملوك بها قدراً فقالوا صاحب قرطاجنة دار ملك أفريقية فسار حسان حتى نزل عليها، وكان بها من الروم خلق كثير فنازلهم وقتل أكثرهم حتى افتتحها، و كانت دار ملك أفريقية وهي مدينة عظيمة تضرب أمواج البحر سورها يسميها أهل المغرب المعلقة.

غير أن الروم انتهزوا فرصة ابتعاد حسان بن النعمان في فتوحاته عن قرطاجنة وعادت أساطيلهم مرة ثانية اليها واستولت على هذا الميناء المهم بعد قتلهم الحامية العربية،[٧].

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان ، ص ٢٢٥.

(٢) حسان بن النعمان: هو حسان بن النعمان بن عدي بن بكر بن عامر الازدي، من الغساسنة ملوك الشام الذين كانوا موالين للإمبراطورية البيزنطية قبل الفتح الإسلامي، كان حسان من التابعين وترعرع في بيت عريق له ماضي مجيد في القيادة والحكم، أطلق عليه لقب الشيخ الأمين، توفي سنة٨٧هـ/ ٦٩٧م. ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،ج٣،ص٤١١؛ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص ٣٤.

(٣) خليفة ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٥٢٨؛ البكري، المسالك والممالك، ج١، ص ٦٩٥.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٤١٥.

(٥) العدوي، الأساطيل العربية، ص ٧١.

(٦) البيان المغرب، ج١، ص ٣٤.

(٧) ابن خلدون،العبر، ج٢، ص ٢٣٥.

وقد جذب تلك الاعارة من جانب الروم إلى الخطة البحرية التي يجب أن يسير عليها ازاء الروم، إذ عرف أن للروم على الساحل معاقل أخرى يتخذونها وسيلة في استرداد قواعدهم البحرية الكبرى، ومن ذلك أن الروم حاولوا بعد خروجهم من قرطاجنة للمرة الثانية اتخاذ شبه الجزيرة الواقعة شمال تونس، والتي تقع فيها مدينة بنزرت مقراً لأعمالهم الحربية ضد العرب، وتعرف هذه المنطقة بإقليم سطفورة ، وتضم عدد كبيراً من المدن التي تعتمد على البحر في الدفاع عن نفسها والحصول على الأمداد، لذا بادر حسان بن النعمان بطرد الروم من تلك الجهات الساحلية وثبت أقدام العرب المسلمين فيها(١).

وأحس العرب أن البيزنطيين لن يكفوا عن أغارتهم طالما أن العرب المسلمون مفتقرين لأسطول يحمي شواطئ بلاد المغرب، وكان حسان صادق الظن، إذ انتهز امبراطور الروم انشغال حسان بفتن داخلية في بلاد المغرب و أرسل سنة ٨٧هـ/ ٧٠٥م(٢) اسطولاً عظيماً على رأسه أشهر قادته وهو البطريق يوحنا(٣)، واستولى على قرطاجنة مرة أخرى ومن ثم بعث حسان بن النعمان في طلب الأسطول العربي الإسلامي يشد من أزره في استرداد قرطاجنة، وجاءته عدة سفن حربية كانت أول قوة بحرية عربية ظهرت في مياه شمال أفريقيا(٤).

أستطاع الجيش العربي الإسلامي بفضل المعونة البحرية أن ينال نصراً باهراً على الروم، إذ دارت رحى معركة بحرية بين أسطول العرب المسلمين وأسطول الروم انتهت بانتصار العرب(٥)، الذين أثبتوا مرة أخرى أن اسطول العرب الفتي قد صار قوة شديدة البطش، وآثر أمير الأسطول الرومي الفرار عائداً إلى بلاده(٦).

ثم أن حسان رأى أن يتخذ هذا الأسطول العربي الإسلامي الذي جاء لنجدته نواة لخلق قوة بحرية في أرض بلاد المغرب، تعمل على شد أزر العرب المسلمين في فتوحاتهم وأعمالهم فأنشأ

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص ٢٠.
(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٣٦٩.
(٣)البطريق يوحنا : عاش في أيام الخليفة المنصور واختلف في تاريخ وفاته بين (٧٩٨ م /٨٠٦م). شاكر، محمود، التاريخ الإسلامي، ج٤، ص ١٨٥.
(٤) المسعودي، التنبيه والاشراف، ج١، ص ١٢٨.
(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص ٣٤.
(٦) العريني، الدولة البيزنطية، ص ٤٤.

قاعدة تونس[١]، التي حلت محل قرطاجنة وصارت مركز البحرية العربية ونشاطها المبكر في غرب البحر المتوسط[٢].

وبذلك فقد صنع حسان بن النعمان أول قوة بحرية عربية في غرب البحر المتوسط حينما رأى من كثرة تجاربه مع الروم أن قرطاجنة وعلى الرغم من شهرتها القديمة أصبحت لا تصلح كقاعدة الأسطول العربي الإسلامي وهو ما زال في دور النشأة والنمو في غرب البحر المتوسط ،ذلك أن أغارات الروم البحرية المتواصلة على مراكب العرب في شمال أفريقيا جعلت حسان يفكر في ضرورة تأسيس قاعدة لأسطوله تكون بمأمن من هجمات الروم، وتستطيع فيما بعد أن تساعد السفن الحربية على صد غارات الروم وأساطيلهم[٣].

وجد حسان ضالته في مكان جنوبي قرطاجنة، إذ يقع خلف الساحل بحيرة داخلية تسمى (رادس)[٤] لا يفصلها عن البحر غير برزخ صغير وعلى تلك البحيرة توجد مدينة لها ميناء ترسو به بعض السفن ، ووجد حسان بغيته في تلك المدينة ومن ثم أمر بحفر البرزخ الذي كان يفصل البحيرة عن البحر، وكذلك بحفر قناة أخرى في مياه البحيرة، حتى تستطيع السفن المدور من البحر مباشرة إلى الميناء الداخلي الذي عرف عندئذ باسم ميناء تونس، وغدا قاعدة آمنة للسفن الحربية العربية الإسلامية[٥].

وأثبتت الأحداث حسن الاختيار والمكان بناء تونس، إذ كفل لها ابتعادها عن البحر تستطيع غيرها الحاميات العربية مقاومة أساطيل الروم قبل وصولها الميناء الجديد حماساً أن مياه البحيرة الهادئة هيأت السفن العربية الحماية، من عواصف البحر واتوائه، ولم يكتف حسان بتاسيس قاعدة تونس ؛لأنه خلق لها دار صناعة تموج بالسفن الحربية، وتجعلها قاعدة للغزو والهجوم، وليست قاعدة

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص ٢١.

(٢) العدوي، الاساطيل العربية، ص ١٤٠.

(٣) العدوي، الأساطيل العربية، ص ١٤٢.

(٤) رادس: مرسى بحر تونس وهذا أسم للقرية المطلة عليه، وفي بعض الأخبار أن الروم ،أغاروا على رادس فقتلوا من بها وسبوا وغنموا وذلك في عهد حسسان بن النعمان. الحميري، الروض المعطار ، ص ٣٦٥.

(٥) البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص ٦٩٣.

دفاعية فقط فقد أرسل هذا القائد العربي إلى الخليفة عبد الملك بن مروان أن يوفد إلى تونس جماعة من المصريين من لهم خبرة ببناء السفن لينشئوا له دار صناعة هناك[١].

وكلف الخليفة أخاه عبد العزيز بن مروان والي مصر، إذ أن يرسل إلى تونس ألف مصري بأهله وولده وأن يعدهم أحسن اعداد بما يكفل لهم الراحلة طيلة السفر والوصول آمنين سالمين[٢]، وتعد تلك السياسة العربية عنواناً على التضامن البحري الذي ساد سائر الأقاليم العربية المطلة على البحر المتوسط وبداية المجد للأسطول العربي في بلاد المغرب، ذلك ان المصريين بادروا إلى انشاء دار الصناعة في تونس عقب وصولهم وحسان بن النعمان مقيد بها، وكان البربر من سكان البلاد الأصليين يقطعون الأخشاب من سفح الجبال وينقلونها إلى الصناع المصريون في تونس لبناء السفن[٣].

٣- موسى بن نصير:

ولاه الخليفة معاوية بن أبي سفيان إمارة البحر، وأرسله لغزو جزيرة قبرص، إذ بنى فيها حصوناً للمسلمين[٤]، ثم رجع واليا على المغرب في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك وفي أثناء ولايته على بلاد المغرب خطا الاسطول العربي الفتي في البحر المتوسط خطوات سريعة في سبيل المجد والقوة على نحو ما قام به قرينه في شرق البحر المتوسط، وتجلت مظاهر نشاط الاسطول العربي في ولاية موسى بن نصير[٥]، الذي خلف حسان بن النعمان سنة ٨٩هـ/ ٧٠٧م[٦].

---

(١) العدوي، الأساطيل العربية، ص ٨٨.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص ٣٤.

(٣) البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص ٦٩٣.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان ، ص ١٥٣.

(٥) موسى بن نصير: موسى بن نصير بن عبد الرحمن بن يزيد، يكنى ابا عبد الرحمن من بيت لحم ، ولد موسى بن نصير سنة ١٩هـ/ ٦٤٠م في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ونشأ في بيت له صلة مباشرة بالجندية قريباً من قادة الفتح الاسلامي، توفي سنة ٩٧هـ/ ٧١٦م، شهد فتح قبرص في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان ثم اصبح واليا على افريقية من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك. ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص ٣٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩، ص ١٩٤.

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ١٤٤.

استهل موسى حكمه بارسال اسطوله لمطاردة الروم من قواعدهم في الجزر القريبة من الممتلكات المغربية في بلاد المغرب، فهاجمت السفن المغربية جزيرة ميورقة بالقرب من سواحل اسبانيا، وضمتها إلى الأرضي العربية الإسلامية ببلاد المغرب(١).

وكان موسى بن نصير قد اتخذ جملة من الاصلاحات والتنظيمات المتعلقة بتطوير الاسطول العربي الإسلامي في تونس، وربط دار الصناعة التي أسسها حسان بن النعمان بمرفأ على البحر تستخدمه السفن وتلجأ إليه إذا اشتدت الرياح أو كلما دعتها الحاجة الى ذلك، وقد شهدت هذه المدة انتصارات حربية عربية إسلامية متكررة في البحر المتوسط، لعب دوراً كبيراً فيها، إذ حظيت وظيفة أمير البحر باهتمام الوالي موسى بن نصير فكان لا يعقدها إلا للمقربين منه والمشهود لهم بالكفاءة والقدرة(٢).

٤- عبد الله بن موسى بن نصير:

أولى موسى بن نصير ركوب البحر اهتماماً كبيراً وشجع الناس ولاسيما الأشراف منهم على ركوب البحر والاشتراك في الحملات البحرية تحت أمرته، وتحت أمرة أبنه عبد الله بن موسى(٣)، ووعد الناس بالفوز بالغنائم، ومما يدل على ذلك ما أشار عليه ابن قتيبة(٤) ، إذ قال: " أمر موسى الناس بالتأهب لركوب البحر وأعلمهم أنه راكب فيه بنفسه، فرغب الناس وشاركوا ثم تحن فلم يبق شريك ممن كان معه إلا وقد ركب، حتى إذا ركبوا في الفلك، ولم يبق إلا أن يرفه هو دعا برمح لعبد الله بن موسى بن نصير، وولاه عليهم وأمره أن يرفع من سعته، وإنما أراد موسى بما أثار من مسيرة أن يركب أهل الخلد والنكاية والشرف فسميت غزوة الأشراف"(٥)،واشترك فيها ما بين تسعمائة إلى ألف

---

(١) العدوي، الأساطيل العربية، ص ٧٣.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص ٧٠.

(٣) عبد الله بن موسى: عبد الله بن موسى بن نصير، يكنى أبو محمد، نشأ عبد الله وشب في أحضان بيه موسى الذي كان قائداً ووالياً على أفريقية، توفي سنة ١٠١هـ/ ٧١٩م.ابن عساكر، تاريخ دمشق،ج٣٣،ص٤٢٧.

(٤) الأمامة والسياسة، ج٢، ص ٧٠-٧١.

(٥) غزوة الإشراف: أغزى موسى بن نصير ابنه عبد الله بن موسى فأتى ميورقة ومن ورقة جزيرتين بين صقلية والأندلس فافتتحهما الله وهذه الغزوة تسمى غزوة الأشراف كان معه أشراف الناس وفيها أغزى موسى بن نصير ابنه مروان بن موسى السوس الأقصى فبلغ السبي أربعين ألفا ، في سنة ٩٨هـ/٧١٦م. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦١، ص ٢١٦.

مجاهد من أهل النجدة والشرف، تولى قيادتها أمير البحر عبد الله بن موسى بن نصير، وسارت إلى جزيرة صقلية ، وأشار ابن قتيبة[١] إلى أن هذه الحملة أصابت غنائم كثيرة ،إذ بلغ سهم الرجل منها ١٠٠ دينار ذهب.

أمراء البحر ومحاولات فتح جزيرة سردينيا:

سردينيا[٢] جزيرة في بحر المغرب كبيرة ليس هناك بعد الأندلس وصقلية أو اقريطش أكبر منها، طولها مائتان ميلاً، وعرضها من الغرب إلى الشرق مائة وثمانون ميلاً[٣]، وذكر ابن الكردبوس[٤] أن فيها أربع مدن، أهم أمراء في فتح جزيرة سردينيا هم:

١- عطاء بن نافع الهذلي:

توالت حملات المسلمين على جزيرة سردينيا و انطلقت اولى هذه الحملات من مصر سنة ٨٣هـ/ ٧٠٢م بقيادة أمير البحر عطاء بن نافع[٥]، ومعه مراكب أهل مصر متوجهة إلى جزيرة سردينيا[٦]، ويبدو أن هذه الحملة كان هدفها هو ضرب القواعد البحرية البيزنطية المتمركزة في الجزيرة، ولكن سوء الأحوال الجوية أدى إلى توقف الحملة في مدينة سوسة[٧] في المغرب الأدنى

(١) الأمامة والسياسة، ج٢، ص ٧٢؛ خطاب، محمود شبيب ، قادة فتح المغرب العربي، ط٧، دار الفكر، مطبعة النشر، القاهرة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ج١، ص ٢٣٩.

(٢) سردينيا: من الجزر الكبيرة في البحر المتوسط وتقع إلى الشمال الغربي من جزيرة صقلية ، كانت أول الحملات الموجهة إلى سردينيا سنة ٨٣هـ/ ٧٠٢م في عهد موسى بن نصير والذي اشترك فيها الأسطول المغربي إلى جانب الأسطول المصري. المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت ٦٤٧هـ/ ١٢٥٠م) ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: احمد سعيد العريان ومحمد العربي السلمي، ط٢، الدار البيضاء، ١٩٧٨م، ص ٤٣٠.

(٣) الحميري، الروض المعطار ، ص ٧٠٦.

(٤) تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط، تحقيق: احمد مختار العبادي، معهد الدراسات الاسلامية، مدريد، ١٩٧١م، ص ١٨٦.

(٥) عطاء بن أبي نافع : عطاء بن نافع الهذلي أمير البحر الشهير، ولي بحر مصر زمن عبد الرحمن بن مروان، تولى غزو صقلية سنة ٨٣هـ/ ٧٠٢م ، توفي سنة ٨٥هـ/ ٧٠٤م. ابن الأثير، اسد الغابة، ج٦، ص ١٠٤.

(٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٢٠٩.

٧)سوسة : مدينة صغيرة بنواحي إفريقية. ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج٣،ص٢٠٩.

وأصاب المشاركون في الحملة غنائم كثيرة من الذهب والفضة، إلا أنه في طريق العودة أصابت الحملة رياح عاصفة أدت إلى غرق أمير البحر عطاء ومعه عدد كبير من أفراد حملته[١].

٢- عبد الله بن حذيفة الازدي وعبد الله بن موسى بن نصير:

توقفت الحملات على جزيرة سردينيا مدة أربع سنوات إلى أن جهز موسى بن نصير حملتين الأولى بقيادة أمير البحر عبد الله بن حذيفة الازدي[٢] سنة ٨٧هـ/ ٧٠٥م غنم وأصاب سبايا كثيراً، والثانية بقيادة ابنه عبد الله بن موسى بن نصير والذي استطاع فتح أحدى مدنها[٣] وهي مدينة تولة أو قولة[٤].

٣- عبد الله بن مرة:

وفي سنة ٨٩هـ/ ٧٠٧م خرج أمير البحر عبد الله بن مرة[٥] على رأس حملة بحرية طرقت جزيرة سردينيا فدخل مدنها ونكل بحاميتها وعادت القوة بسلام في السفن نفسها[٦] وعندما دخل موسى بن نصير الأندلس سير طائفة من عسكره في البحر إلى هذه الجزيرة وكان ذلك سنة ٩٢هـ/ ٧١٣م فأصاب هذه الجزيرة وعاد[٧].

---

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص ٧٢.

(٢) عبد الله بن حذيفة الأزدي : وهو عبد الله بن حذيفة الازدي وقيل اليماني، أحد أمراء البحر الذي غزى سردينيا مرتين الأولى سنة ٨٧هـ/ ٧٠٥م، والثاني سنة ٨٩هـ/ ٧٠٧م، وغنم واصاب غنائم. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧، ص ٣٨٩.

(٣) خليفة ابن خياط، تاريخ خليفة ابن خياط ، ص ٣٠٠؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦١، ص ٢١٦.

(٤) قولة أو تولة : مدينة تقع على الساحل الشمالي لبحر ايجة على راس خليج قولة، ترتفع المدينة من مستوى سطح البحر تعد المرفأ البحري الأول لمقدونيا الشرقية، أحدى مدن جزيرة سردينيا. ابن خياط ، تاريخ خليفة ،ج١،ص٣٦٣؛ الذهبي ، العبر، ج١، ص١٠٢.

(٥) عبد الله بن مرة : عبد الله بن مرة بن كبير بن اسد بن خزيمة، ويكنى أبا نظلة وشهرته :عبد الله بن مرة الهمداني، توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة ٩٩هـ/٧١٧م . ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص ٧٠.

(٦) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص ٢٣٥.

(٧) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٣٨.

٤- حسان بن محمد بن أبي بكر:

أمير البحر حسان بن محمد بن أبي بكر[١] مولى بني جمع، الذي غزا سردينيا سنة ١٠٦هـ/ ٧٢٤م من سواحل أفريقية[٢]، ثم قام بغزوها مرة ثانية سنة ١٠٩هـ /٧٢٧م[٣].

٥- يزيد بن مسروق وحبيب بن أبي عبيدة:

غزا بشر بن صفوان[٤] ويزيد بن مسروق اليحصبي[٥] في سنة ١٠٣هـ/ ٧٢٤م سردينيا[٦]، ولم يتمكنا من فتحها، ثم بقيت بعد ذلك لمدة لم تتعرض لمحاولة فتح جديدة، حتى دخلت سنة ١١٧هـ/ ٧٣٨م، إذ بعث عبيد الله بن الحبحاب[٧] حبيب بن أبي عبيدة[٨] فأصاب قرية منها[٩].

١- عبد الملك بن قطن الفهري ومحاولات فتح جزيرة قوصرة:

جزيرة قوصرة هي جزيرة في البحر المتوسط بين تونس وجزيرة صقلية[١٠]، وذكر فازيليف[١١]

---

(١) حسان بن محمد بن أبي بكر، مولى بني جمع أحد أمراء البحر الذي غزا سردينيا. الحميري، الروض المعطار ، ص ٣١٥.

(٢) خليفة ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣٣٩؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣١٥.

(٣) خليفة ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣٣٩؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣١٥.

(٤) بشر بن صفوان بن توبل بن شراحبيل بن عزيز وبثال بن أبي جابر بن زهير بن جناب بن هبل، تولى أمارة مصر من قبل يزيد بن عبد الملك، كذلك تولى أمارة أفريقية، توفي سنة ١٠٩هـ/ ٧٣٠م. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١٠، ص ١٣٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٢٩٩.

(٥) يزيد بن مسروق الذي قاد حملة بحرية على جزيرة سردينيا سنة ١٠٣هـ/ ٧٢٤م، ونجح فيها في خلافة يزيد بن عبد الملك، تولى أفريقية والمغرب.ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج١،ص٥٢؛ خطاب، محمود شيت(١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، قادة فتح الأندلس،ط١، مؤسسة علوم القرآن ،الموصل، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م ، ج٢، ص ٨٠.

(٦) البلاذري، فتوح البلدان ، ص ٢٢٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص ٤٩.

(٧) عبيد الله بن الحبحاب: عبد الله بن الحبحاب، كان مولى بني سلول، والي أفريقية من قبل هشام بن عبد الملك، من أبرز أعماله بناء جامع الزيتونة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٦٢.

(٨) حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري، عاش في الدولة الأموية، وكان من اهم القادة العسكريين في المغرب، توفي سنة ١٢٤هـ/ ٧٤١م. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٢، ص ٤٢.

(٩) خليفة ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣٢٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٢٢٥.

(١٠) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ١٠١.

(١١) العرب والروم، ص ٧٣.

بأنها على ستين ميلاً من صقلية وأربعين من أفريقية، إذ تبعد مائة كيلو متر عن مدينة مازر في المركز الجنوبي الغربي من صقلية بينهما مجرى، إذ يمكن أن ترى هذه المدينة من أين ويمكن رؤيتها من ليبيا في بر أفريقية؛ لأن هذه الجزيرة جبل مشرف عال جداً[١].

وقد تنبه العرب المسلمون إلى أهمية هذه الجزيرة وكيف أنها كانت مكمن للصقليين لغزو أفريقية[٢]، فاتجهت انظارهم لحرمان البيزنطيين منها كقاعدة بحرية فضلاً عن الاستفادة من أخشابها ،إذ تعد من أفضل مصادر أنواع الأخشاب ولاسيما خشب التين والقطن، إذ ذكر الحميري[٣] أن هذه الجزيرة مقطع الخشب الجيد يحمل منه إلى صقلية كما لا يستبعد أن المسلمين أرادوا الافادة من أخشابها لامداد دار الصناعة بتونس منها.

وقوصرة هي المشهورة اليوم باسم بنطلاوية قريبة جداً من البلاد التونسية وقد تمتعت بموقع جغرافي ممتاز يساعد على الدفاع عن بلاد المغرب منها، و منا لممكن اتخاذها قاعدة للتوسع البحري فهي قريبة من صقلية التي كانت القاعدة الكبرى للأسطول الرومي في غرب البحر المتوسط ومركز المقاومة لنشاط العرب المسلمين البحري[٤].

وقد صمم موسى بن نصير على الاستيلاء على تلك الجزيرة المهمة واتخاذها قاعدة أمامية لاسطوله في صد هجمات الروم البيزنطيين، وقد انتدب لهذه المهمة أمير البحر عبد الملك بن قطن الفهري الذي خرج إليها باسطوله من القاعدة البحرية الجديدة في تونس واستولى على جزيرة قوصرة وضمها إلى ولاية افريقية سنة ٨٨هـ/ ٧٠٦م[٥].

٢- حبيب بن أبي عبيدة الفهري:

كان على خلفاء موسى بن نصير في المغرب الإسلامي الاحتفاظ على لجزيرة قوصرة في حيازتهم، فقد عمد الروم إلى انتزاعها من أيدي الأسطول العربي الإسلامي ؛ لقربها من قاعدتهم في

(١) البكري، المسالك والممالك، ج١، ص ٤٨٨؛ أحمد ، نهلة شهاب ، تاريخ المغرب والأندلس،ط١ ،دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٣١هـ/٢٠٠٩م،ص١١.

(٢) فازيليف، العرب والروم، ص ٧٣.

(٣) الروض المعطار، ص ٤٨٦.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ٤١٣؛ الحميري، الروض المعطار ، ص ٤٨٦.

(٥) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١، ص ١٤٥.

صقلية، لهذا سار إليها حبيب بن أبي عبيدة الفهري[١] في ولاية عبد الله بن الحبحاب سنة ١١٨هـ/ ٧٣٦م[٢]، دعماً للسيادة العربية الإسلامية فيها، غير أن استيلاء العرب نهائياً على تلك الجزيرة كان سنة ١٣٠هـ/ ٧٤٧م حينما اوفد عبد الرحمن بن حبيب الفهري[٣] حملة بحرية سيطرت على جزيرة قوصرة، وجعلها قاعدة دائمة للاسطول العربي في غرب البحر المتوسط[٤].

وقد ساعدت قوصرة الجيش الإسلامي الذي فتح صقلية لموقعها الوسط فائدة كبيرة، إذ أنها ساعدت المسلمين على الاختفاء بها والتحصن بمرفئها المنيع[٥]، فسرعان ما ظهر نشاط الاسطول العربي من قاعدته الجديدة في جزيرة قوصرة، إذ خرجت سفنه تباعاً من تلك الجزيرة فغارت على صقلية وأنزلت التخريب والتدمير بإسطول الروم الراسي في موانئها، وقد ساعدت تلك الحملات البحرية على دراسة شواطئ صقلية[٦] وجعلت العرب على خبرة بقواعدها وخبروا الطرق للاستيلاء عليها، وظهر ذلك في عهد الاغالبة الذين اتخذوا من قوصرة قاعدة للاستيلاء على جزيرة صقلية سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧م[٧].

٣- عياش بن أخيل:

تولى امارة البحر في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، إذ قاد في سنة ٨٦هـ/ ٧٠٥م أهل أفريقية حملة بحرية إلى مدينة سرقوسة أكبر مدن جزيرة صقلية فقاتل أهلها ، وعاد سالماً ومحملاً

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٢، ص ٤٢.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٢٢٤؛ حسن حسني، عبد الوهاب، قصة جزيرة قوصرة، المجمع العلمي العربي، مجلة المجمع العلمي العربي، العدد ٢٧، سوريا، ص ٥٩.

(٣) عبد الرحمن بن حبيب الفهري : عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع، من نسل عقبة بن نافع والي أفريقية للأمويين، وساهم في لفتح الإسلامي للمغرب شارك عبد الرحمن مع أبيه حبيب بن أبي عبيدة في حملة المسلمين على صقلية، توفي سنة ١٣٧هـ/٧٥٤م . ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٧، ص ٤١٦.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان ، ص٢٩٩؛ عنان، محمد عبد الله (ت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م)، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ج١، ص ١٢٩.

(٥) حسن حسني، قصة جزيرة قوصرة، ص ٥٩.

(٦) العدوي، الأساطيل العربية، ص ٧٤.

(٧) العدوي، الأساطيل العربية، ص ٧٤.

بالغنام الوفيرة [١].

٤- خالد بن كيسان:

من أشهر أمراء البحر في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك(٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٤م) الذي شهد أكبر نشاط بحري وبري تمثل في مساندة أمراء البحر لقادة الجيوش البرية وحماية تقدمهم، والتي بعضها كان عاملاً مهماً في تحقيق النصر للعرب المسلمين في الأندلس وفي بلاد السند والبنجاب، وكان خالد بن كيسان[٢] من أبرز أمراء البحر، ويبدو أن نشاطه البحري المتزايد قد أدى إلى وقوعه في الأسر، إذ ذكر الطبري[٣] في أحداث سنة ٩٠هـ/ ٧٠٨م أن الروم أسروا خالد بن كيسان صاحب البحر، فذهبوا به إلى ملكهم فأهداه ملك الروم إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك.

٥- بشر بن الوليد بن عبد الملك:

أمير البحر بشر بن الوليد بن عبد الملك[٤]، تولى أمارة البحر في عهد والده الخليفة الوليد حينما أرسله من بلاد الشام إلى جزيرة صقلية فغزاها، ثم عاد محملاً بالغنائم على دمشق، وحملها بعد وفاة أبيه الوليد سنة ٩٦هـ/ ٧١٤م[٥].

رويفع بن ثابت الأنصاري وفتح جزيرة جربة:

جزيرة جربة في بحر الروم تقع في الجزء الجنوبي من خليج فاس وهي قريبة من السواحل يفصلها عن البر مضيق لا يتجاوز عرضه من جهتها الغربية على ساحل البحر سوى ٢ كيلو متر[٦]،

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص ٥٨؛أحمد، تاريخ المغرب والأندلس،ص١١.

(٢) خالد بن كيسان: هو والي غزو البحر في أيام بني أمية سنة ٩٠هـ/ ٧١٨م فيها أسره الروم فذهب به إلى القسطنطينية فأهداه صاحبها إلى الخليفة الوليد. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٦، ص ١٨.

(٣) تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص ٦٨١.

(٤) بشر بن الوليد بن عبد الملك : بشر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي، كان يقال له عالم بني مروان، قاد حملات عسكرية ضد الإمبراطورية البيزنطية، وسجن في عهد مروان بن محمد وتوفي في السجن. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٠، ص ٣٦٩.

(٥) خليفة ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣٠٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ٢٨.

(٦) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٢، ص ٣٨؛ ابن الأثير، اسد الغابة، ج٢، ص ٨٨.

وسميت باسم قبيلة جربة البربرية[١]، وهي من أعظم الجزر خطراً، اذ أن موقعها على طريق قابس وتوسطها بين ليبيا وأفريقية كان له الأثر العظيم في لفت أنظار الدول البحرية إليها، فهي صالحة لتكون مركزاً تجارياً مهماً يمون القبائل الساكنة على سواحل افريقية ومركزاً حربياً مهمة تنطلق السفن الغازية منه لتلك السواحل[٢].

اتجهت أنظار المسلمين لفتح هذه الجزيرة والاستيلاء عليها، ففي سنة ٤٧هـ/ ٦٦٧م قام معاوية بن حديج[٣] بتجهيز حملة إلى جزيرة جربة بقيادة أمير البحر رويفع بن ثابت الأنصاري[٤] الذي كان أميراً لطرابلس[٥].

أمراء البحر وفتح جزيرة صقلية:

وهي جزيرة على شكل مثلث متساوي الساقين[٦]، بينها وبين ايطاليا خليج من البحر[٧]، ويجافيها من بلاد المغرب بلاد أفريقية[٨]، وصقلية جزيرة كبيرة فيها مائة وثلاثين بلداً مابين مدينة وقلعة غير ما فيها من الضياع والمنازل، وسميت هذه الجزيرة باسم (صقلية) نسبة إلى (سيقيلو) آخر

(١) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص ١٦١.

(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٢، ص ٣٨.

(٣) معاوية بن حديج : معاوية بن حديج بن جفنة بن قتيرة بن حارثة بن عبد شمس، يكنى أبا نعيم، وقيل السكوني، وقد قيل الكندي، وقد قيل الخولاني، شهد فتح مصر وغزا المغرب وأفريقية، توفي سنة ٥٢هـ/ ٦٧٢م. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٩، ص ٢١؛ ابن الأثير، اسد الغابة، ج٤، ص ٤٣٠.

(٤) رويفع بن ثابت الأنصاري : رويفع بن ثابت بن سكن بن عدي بن حارثة، من بني مالك بن النجار الأنصاري، صحابي جليل شهد فتح مصر، وله اثار جيدة في فتح المغرب، ومات في برقة. ابن الأثير، اسد الغابة، ج٢، ص ٨٧.

(٥)ابن عساكر ،تاريخ دمشق،ج١٥،ص٣١٢ ؛ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ٦١؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص ١٩٩؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج١، ص ٢٤٠.

(٦) ابن حوقل، صورة الأرض، ج١، ص ١١٨.

(٧) البكري، المسالك والممالك، ج١، ص ٢٠٣؛ الحميري، الروض المعطار ، ص ٣٦٧.

(٨) ابن حوقل، صورة الأرض، ج١، ص ١١٨.

الأبطال الذي بنى إيطاليا[١]، وكانت قبل ذلك تسمى (ثري فريا)[٢] وذكرابن الكردبوس[٣] وصقلية اسم لأحدى مدنها.

وكانت هذه الجزيرة عظيمة الشأن حتى قبل فتحها وكان ملك الروم في ثلاثة مواضع من الأرض هي صقلية ورمية وقسطنطينية[٤]، وبين هذه الجزيرة وأفريقية مائة واربعون ميلاً إلى اقرب المواضع بأفريقية[٥].

هذا الموقع جعل من هذه الجزيرة هدفاً للفينيقيين واليونان ثم الرومان ثم المسلمين فيما بعد فتاريخ هذه الجزيرة هو تاريخ الشعوب ذات الحضارات في حوض البحر المتوسط، فهو جزء من تاريخ اليونان والفينيقيين والرومان والقوط والبيزنطيين ثم العرب المسلمين بعد ذلك[٦].

وأدى موقع صقلية الجغرافي دوراً مهماً في رسم تاريخها، فموقعها في البحر جعلها لا يحوزها إلا من قهره، كذلك كانت القوى المتصارعة في ذلك الميدان المائي فيه وجهاً لوجه حتى تقرر فيه تلك السيادة ،ومع توسطها إلا أن أهم ما يميز موقعها هو قرب ساحلها الشمالي من شبه الجزيرة الإيطالية، إذ لا يفصل بينهما سوى حاجز ، الذي يبلغ عرضه ثلاثة كيلومترات فقط[٧]، وأن مواجهة جزئها المقابل لأفريقية أعطاها أهمية أخرى بالنسبة لسكان هذه المنطقة[٨].

ولقد تنبه العرب المسلمون إلى الأهمية الاستراتيجية لهذه الجزيرة، وأدركوا ضرورة السيطرة عليها لتأمين عمليات تحرير أفريقية، فقد كانت هذه الجزيرة حصناً منيعاً للبيزنطيين، فأصبحت هدفاً مهماً من أهداف العرب المسلمين العسكرية في أفريقية، فبدأت الهجمات تتوالى عليها[٩].

---

(١) البكري، المسالك والممالك، ج١، ص ٤٨٢.
(٢) ابن أعثم، الفتوح، ج٢، ص ١٣٨.
(٣) تاريخ الاندلس، ج٢، ص ١٣٨.
(٤) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٣، ص ٣٣٣.
(٥) الحميري، الروض المعطار، ج١، ص ٥٦٢.
(٦) البكري، المسالك والممالك، ج١، ص ٤٨٢.
(٧) سالم، تاريخ البحرية في المغرب والأندلس، ص ١٤١.
(٨) عباس، العرب في صقلية،ص٢٥.
(٩) سالم، تاريخ البحرية في المغرب والاندلس، ص ١٤١.

وذكر عنان [١] أن الحملة الأولى وقعت في نحو سنة ٤٥هـ/ ٦٦٥م، ولا يوجد ما يطابق تاريخ هذه الحملة إلا ما ذكره ابن أعثم الكوفي[٢]، في كتابه الفتوح ،إذ قال" ثم هيأ المسلمون لغزو صقلية فعزم معاوية بن أبي سفيان على غزوها فكتب إلى عثمان بن عفان (ﷺ)في ذلك وبلغ أهل أفريقية الخبر فبعثوا إلى أهل صقلية، أن العرب قد أجمعوا على حربكم فكونا على حذر ثم يسترسل في وصف هذه الحملة التي سارت فيما ذكر عليها ثلاثمائة مركب حتى وصلت صقلية".

١- عبد الله بن قيس:

اتفقت أغلب المصادر التاريخية[٣] التي وصلت الينا على أن أول حملة بحرية إلى صقلية قد قامت بقيادة معاوية بن حديج والي المغرب، وذكر البلاذري[٤] غزا معاوية بن حديج الكندي أيام معاوية بن ابي سفيان (ﷺ) صقلية، وكان أول من غزاها، وكانت هذه الحملة بقيادة عبد الله بن قيس[٥]، وذكر ابن عذاري[٦] انها حدثت سنة ٤٦هـ/ ٦٦٦م وعلى أي حال فإن المسلمين قد أصابوا من هذه الجزيرة وعادوا[٧].

ولعل أهم ما دفع معاوية بن حديج لقصد جزيرة صقلية هو أن الروم البيزنطيين بعد كل هزيمة لهم يولون هاربين عليها[٨]، فأدرك أهميتها ؛ لأنها بمثابة قاعدة للنفوذ البيزنطي، وأن وجودها بأيديهم يهدد التواجد العربي الإسلامي في بلاد المغرب ، ومن ثم فان الاستيلاء عليها يوفر حماية لعمليات التحرير لاسيما وأن البيزنطيين قد اتخذوها قاعدة لانطلاق اساطيلهم بعد أن خسروا جزيرة قبرص[٩].

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس ، ج١، ص ١٩.

(٢) ج٢،ص١٤١.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان ، ص ٢٣٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص ١٤؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج١، ص ٢٢٧؛ السلاوي، الاستقصاء ، ج١، ص ١٣٣.

(٤) فتوح البلدان، ص ٢٣٣.

(٥) السلاوي، الاستقصاء ، ج١، ص ١٣٣.

(٦) البيان المغرب، ج١، ص ١٤.

(٧) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٢.

(٨) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص ١٦.

(٩) سالم، المغرب الكبير، ص ١٢١.

واستمرت هذه الجزيرة تمثل خطراً يهدد التواجد في بلاد المغرب[١] فقد انطلق منها اسطول بيزنطي على برقة سنة ٧٠هـ/ ٦٨٩م فأصابوا سبياً كثيراً، وقتلوا ونهبوا ورافق ذلك قدوم عسكر زهير بن قيس البلوي والي أفريقية إلى برقة فأخبروهم الخبر، فأمر عسكره بالمسير إلى الساحل طمعاً في ان يدرك سبي المسلمين، وينقذهم، من أسر الروم، وإذا هم في خلق عظيم فلم يقدر على الرجوع، وقد استغاث المسلمون وصاحوا والروم يدخلونهم في السفن فنادى زهير بأصحابه النزول فنزلوا وكانوا اشرف العابدين فالتحوا مع الروم حتى تكاثروا عليهم فقتل زهير بن قيس البلوي ومن كان معه[٢].

٢- عطاء بن رافع:

ويبدو أن هذه الحادثة قد زادت أصرار المسلمين على تحرير هذه الجزيرة والسيطرة عليها، ففي سنة ٨٣هـ/ ٧٠٢م بعث عبد العزيز بن مروان والي مصر من قبل عبد الملك بن مروان حملة بحرية بقيادة أمير البحر عطاء بن رافع الهذلي على صقلية[٣]، وهذه الحملة ذكرها ابن قتيبة[٤] بالتفصيل فيقول أرسى عطاء بن رافع بميناء بسوسة فأخرج موسى بن نصير إليه الأسواق وكتب إليه أن ركوب البحر قد فات في هذا الوقت من هذه السنة، فاهتم بمكانك حتى يطيب، قال فلم يرفع عطاء وكتاب مرسل راسا وشحن مراكبه ثم رفع فسار حتى أتى جزيرة يقال لها (سلسلة) وافتتحها وأصاب فيها مغانم وأشياء عظيمة ثم انصرف قافلاً ففاجأته ريح عاصف فطرق عطاء وأصحابه، وأصيب الناس ووقعوا بأفريقية، وهذه الرواية تدل على معرفة موسى بالبحر ووقت الابحار، على الرغم من أن هذه الرواية لم يذكرها المؤرخون.

٣- محمد بن أوس الأنصاري:

وفي سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م تحركت حملة بحرية بقيادة أمير البحر محمد بن أوس الأنصاري[٥]،

---

(١) العريني، القوى البحرية، ص ٩٨.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان ، ص ٢٢٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٢٠٩.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩، ص ٥١.

(٤) الامامة والسياسة، ج٢، ص ٥٧٦.

(٥) محمد بن أوس الأنصاري : محمد بن أوس الأنصاري، يكنى أبو الأسود، وغزا مع موسى بن نصير، وكان على بحر تونس، وتم توليته ولما قتل أمير أفريقية يزيد بن أبي مسلم أجتمع أهلها فامروا عليهم محمد بن أوس توفي سنة ١٠٣هـ/ ٧٢١م. الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ج٩، ص ٤٥٣.

إلى صقلية ولكن هذه الحملة عادت بسبب الأحداث التي جرت في أفريقية ومقتل الوالي يزيد بن مسلم سنة ١٠٢هـ/ ٧٢٠م على يد البربر[١] في خلافة يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥هـ/ ٧١٩-٧٢٣م)[٢].

٤- بشر بن صفوان:

أصبح النشاط البحري في بلاد المغرب العربي واضحاً وجلياً في عهد والي المغرب بشر بن صفوان(١٠٢-١٠٩هـ/ ٧٢٠-٧٢٧م) ، فقد كانت الحملات متواصلة على جزر البحر المتوسط ،ففي سنة ١٠٩هـ/ ٧٢٧م قام هذا الوالي بحملة بحرية إلى جزيرة صقلية قادها بنفسه[٣]، وتمكن من تحقيق أهدافه والعودة إلى تونس على الرغم من الظروف الجوية الصعبة التي واجهت الحملة في طريق العودة[٤].

٥- المستنير بن الحارث سنة ١١١هـ/ ٧٢٩م[٥]، وثابت بن خثيم سنة ١١٢هـ/ ٧٣٠م[٦]، وبكر بن سويد سنة ١١٥هـ/ ٧٣٣م[٧].

ومن الحملات غير الموفقة أيضاً في اتمام فتح صقلية الحملة التي قادها أمير البحر المستنير بن الحارث سنة ١١١هـ/ ٧٢٩م وفي عهد والي افريقية عبد الرحمن السلمي[٨]، إذ أن قائد هذه الحملة قد بقي في صقلية حتى حل الشتاء، واشتدت أمواج البحر وعواصفه، فغرق الاسطول والمسلمين ولم ينج منهم إلا القليل، فتعرض قائد الحملة للتوبيخ من والي المغرب[٩]، ولقد كرر الوالي الحملات على هذه الجزيرة فأرسل سنة ١١٢هـ/ ٧٣٠م حملة بحرية بقيادة أمير البحر ثابت بن

(١) خليفة ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٢٢٦؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٤٢.
(٢) خليفة ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣٢١؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٤٢.
(٣) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٢٢٨؛ البلاذري، فتوح البلدان ، ص ٢٢٩.
(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ١٨٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص ٤٩.
(٥) خليفة ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٢٤١.
(٦) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٨، ص ١٦٧.
(٧)خليفة ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٤٦.
(٨)خليفة ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ج١، ص ٣٤١.
(٩) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٣٨، ص ١٦٦.

خثيم[١]، وحملة أخرى سنة ١١٥هـ/ ٧٣٣م بقيادة أمير البحر بكر بن سويد[٢]، ولم تتمكن هذه الحملات من تحقيق أهدافها نتيجة تعرض المراكب العربية الإسلامية إلى رشقات النار الاغريقية، وكان من نتائج هذه الحملات أن تمكنت القوات البحرية العربية الإسلامية من شل حركة الروم والزامهم جانب الدفاع في جميع جزر البحر المتوسط[٣].

٦- عثمان بن أبي عبيدة وأخاه حبيب وابنه عبد الرحمن بن حبيب:

في عهد الوالي عبيد الله بن الحبحاب[٤] (١١٦-١٢٣هـ/ ٧٣٤-٧٤٠م) تم ارسال أمير البحر عثمان بن أبي عبيدة قائد الحملة البحرية إلى صقلية، فالتقى بالبيزنطيين في معركة وهزمهم[٥]، وفي سنة ١٢٢هـ/ ٧٤٠م غزاها أمير البحر حبيب بن عبيد الله وأبنه عبد الرحمن، وقام حبيب بارسال ولده عبد الرحمن على الخيل فلم يلق أحد إلا وهزمه حتى انتهى أمره إلى سرقوسة وهي دار الملك فقاتلوه فهزمهم وحطم باب المدينة بسيفه فهابه النصارى، ورضوا بالجزية فأخذها منهم، ثم توجه إلى أبيه فرجع إلى أفريقية[٦].

ولقد كان القائد حبيب عازماً على البقاء في الجزيرة، إلى أن يستكمل فتحها ولكن والي أفريقية عبيدة الله بن الحبحاب استدعاه لقمع ثورة ميسرة المطغري الذي تزعم بعض القبائل المغربية مظهراً مبدأ الخوارج[٧]، وتعد هذه الحملة من أهم الحملات التي شنها ولاة المغرب العربي الإسلامي على صقلية ؛ لأنها حققت انتصارات كبيرة على نصارى صقلية، ولكنها لم تتمكن من اتمام فتحها، لتتوقف حملات المسلمين البحرية على الجزيرة بسبب الحروب والفتن الداخلية في بلاد المغرب حتى عهد الأغالبة[٨].

---

(١) خليفة ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ج١، ص ٣٤١.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٢١٠.

(٣) سعد زغلول، تاريخ المغرب الكبير، ص ٢٧٧.

(٤) خليفة ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٢٤٠؛ خطاب، قادة فتح الأندلس، ص ٣٨.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٢٢٥؛ ابن خلدون، العبر، ج٣، ص ١٤٠.

(٦) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣، ص ١٦٦.

(٧) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٤٤؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٧، ص ٤١٦.

(٨) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، تحقيق: محمد زينهم محمد، ط١، دار الفرجاني، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ١٠٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص ٥٤؛.

٧- أسد بن الفرات وفتح صقلية في عهد الأغالبة سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧م:

تعد امرة الاغالبة إنموذجاً لتلك السياسة الانفصالية التي سادت كيان الدولة العباسية وما ترتب على هذه الظاهرة الجديدة من نشاط بحري قوي، وتنسب تلك الاسرة إلى ابراهيم بن الأغلب[١] التميمي، الذي ولاه الخليفة هارون الرشيد شؤون المغرب سنة ١٨٤هـ/ ٨٠٠م وأطلق يده في تدعيم شؤون تلك الولاية[٢]، وهنا تفتحت عينا ابراهيم بن الاغلب على الامكانيات الهائلة التي تشتمل عليها ولايته ولاسيما في الناحية البحرية فوجه همه على الفتن فيها ليستطيع التفرغ لبناء مجد بحري له ولاسرته[٣].

وسارت سياسة ابراهيم بن الاغلب وخلفائه من بعده على تدعيم أقدامهم في المدن الساحلية التي اشتهر أهلها بالشغب وحب الثورات، واتصف أبنائه عبد الله الأول وزيادة الله الأول بالقوة والحزم في تنفيذ تلك السياسة لاسيما بإخمادهم للفتن والقلاقل في المدن الساحلية، حتى صارت البلاد تدين لهم بالطاعة[٤].

واتجهت اسرة الأغالبة بعد ذلك إلى الاستفادة من المميزات البحرية لولايتهم وأعادوا إلى قاعدة تونس البحرية نشاطها وأهميتها[٥].

وظهرت نتائج الأغالبة البحرية على عهد زيادة الله الاول، إذ صار له اسطول قوي مرهوب الجانب، وقد اتخذ الاسطول الأغلبي من صقلية ميداناً يعيد فيه قصة الفتوحات البحرية الكبرى التي حدثت زمن الأمويين على عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) وخلفائه[٦]، وكان تجاه الاسطول الأغلبي إلى صقلية متمماً لسياسة العرب المسلمين البحرية الهادفة لسيارة البحر المتوسط، وذلك أن

---

(١) ابراهيم بن الأغلب : ابراهيم بن الأغلب التميمي، أمير المغرب دخل القيروان فبايعوه وانظم إليه خلق فأقبل يلاطف نائب القيروان هرثمة بن أغنب ، فاستعمله على ناحية الزاب واستعمله على المغرب الرشيد، كان فصيحاً شاعراً وفقه وحزم وشجاعة، توفي سنة ١٩٦هـ/ ٨١١م. الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٧، ص ٥٥٢.

(٢) البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص ٦٨٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ٣١٨.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص ٩٢.

(٤) محمود ،اسماعيل، الأغالبة، ط٣، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص ٢٣.

(٥) اليعقوبي، البلدان ، ص ١٨٧؛ العدوي، الأساطيل العربية، ص ٧٧.

(٦) البلاذري، فتوح البلدان ، ص ٣٤٨.

جزيرة صقلية صارت هدفاً لحملات العرب البحرية منذ استقرارهم على شواطئ الشام ومصر، وأرسلوا لهم أساطيلهم لتدمر قواعد الروم فيها(١).

ومنذ ظهور البحرية العربية الإسلامية في الشمال الأفريقي، والأساطيل تخرج لمحاولة الاستيلاء على صقلية، إذ أدرك العرب مدى خطورتها كقاعدة للروم، وضرورة انتزاعها من أيديهم، ولم يبق أمامهم غير انتهاز الفرصة المؤاتية على عهد زيادة الله بن الأغلب الذي وانتهت له وادخل المغرب بالطاعة والولاء الذي صار صاحب اسطول عظيم في مياه البحر المتوسط الغربي، وذلك ان والي صقلية من قبل الامبراطور البيزنطي دأب على الاغارة على سواحل أفريقيا منتهزاً انشغال الأغالبة بتدعيم سلطانهم هناك، وما أن أنتهى زيادة الله الأول من مشاكله الداخلية حتى عمد إلى الانتقام من حاكم صقلية العنيد(٢).

يضاف إلى ذلك أسباب أخرى عجلت بفتح الاغالبة لصقلية منها:

١- العامل الديني و هو الجهاد في سبيل الله، وكان الخروج لمواقعة الروم في صقلية أقصى ما يتمناه العابدون الصالحون، ولا شك أن موافقة زيادة الله بن الاغلب على اختيار القاضي اسد بن الفرات(٣)، مصنف الأسدية في الفقه المالكي على مذهب مالك(٤)، قائداً للحملة يعد اصدق تعبير عن روح الجهاد المسيطرة على الفاتحين، فلقد ولاه زيادة الله قيادة الجيش وأقره على القضاء مع القيادة فخرج معه أشراف أفريقية من العرب والجند والبربر والأندلسيين وأهل العلم والبصائر(٥).

٢- يمكن اعتبار غزو صقلية وفتحها بمثابة محاولة للقضاء على غارات الروم وعودة إلى سياسة الغزو في أراضي الروم وهي السياسة التي جرى عليها ولاة بني أمية(٦).

---

(١) ابن الفقيه، البلدان، ج١، ص ١٣٤؛ العدوي، الأساطيل العربية، ص ٧٨.

(٢) البكري، المسالك والممالك، ج١، ص ٤٥٥؛ محمود، الأغالبة، ص ٨٩.

(٣) أسد بن الفرات: أبو عبد الله أسد بن الفرات بن سنان قاضي القيروان ، ولد بحران في الشام ،رحل أبوة من حران إلى القيروان في جيش الأشعث وأخذه معه وهو طفل فنشأ بها وتفقه وتلقى العلم بإفريقية ،توفي وهو محاصر سرقوسة سنة ٢١٣هـ/٨٢٨م. لابن حوقل، صورة الأرض، ج١، ص ٦٠؛ البكري ،المسالك والممالك،ص٤٨٥.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص ١٣.

(٥) سالم، المغرب الكبير، ص ٣٨٠.

(٦) سالم، المغرب الكبير، ص ٣٨٦.

٣- كانت صقلية تمثل أراضي جديدة يمكن فتحها واستغلالها[١].

٤- أراد زيادة الله بن الأغلب أن يظهر أمام رعيته بمظهر المجاهد الثائر في سبيل الله فيكسب بذلك قلوبهم، ويوطد مكانته ومنزلته في نفوسهم بعد أن عانى كثيراً من ثورات الجند، فأراد أن يكسر شوكتهم ويتخلص منهم باشراكهم في هذه الغزوة[٢].

ذكر ابن الأثير[٣] أن قائد الاسطول البيزنطي بصقلية (فيمي) ثار على الامبراطور البيزنطي ميخائيل الثاني و استولى على سرقوسة ثم أعلن نفسه ملكاً على صقلية، ولكن اتباعه خرجوا عليه وتفرقوا عنه، وتمكن والي الروم من هزيمة فيمي والاستيلاء على سرقوسة، فركب فيمي ومن معه سفنهم وتوجهوا إلى أفريقية فكان استنجاد فيمي بزيادة الله سبباً مباشراً في اغراء زيادة الله على فتح هذه الجزيرة، وفتح صقلية من هذه الناحية يشبه فتح الأندلس ؛ لأن فيمي يقابل يليان الذي ساعد المسلمين على دخول الأندلس[٤]، وكانت جزيرة قوصرة التي الاستيلاء عليها منذ ولاية موسى بن نصير قد صارت قاعدة أمامية المهمة لأسطول الأغالبة تجاه جزيرة صقلية ومن ثم صار زحف الاسطول الأغلبي ميسراً وأمناً، فأعد زيادة الله الأول سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧م أسطولاً يتألف من مائة سفينة تحت أمرة أسد بن الفرات قاضي القيروان لفتح جزيرة صقلية تحت ستار مساعدة يوفيموس (فيمي) إليها الثائر على امبراطور الروم[٥].

وذكر المؤرخون[٦] أن زيادة الله الأول احتفل بخروج المسلمين لغزو صقلية احتفالاً عظيماً في ربيع الاول سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧م ، وأقلع الاسطول الأغلبي الذي كان يحمل عشرة آلاف مقاتل و٧٠٠ فرس من ميناء سوسة وبدأ الغزو العربي الحقيقي لجزيرة صقلية، وقد ألقى الاسطول مرساه عند مازر، ثم تقدم نحو سرقوسة وألقى عليها الحصار، غير أن أسطول الروم جاء لنجدة تلك المدينة.

---

(١) خليفة ابن خياط، خليفة بن خياط ، ص ٣٢٦؛ سالم، المغرب الكبير، ص ٣٨٥.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ١٨٧.

(٣) الكامل في التاريخ، ج٥، ص ١٨٧.

(٤) عباس،إحسان(ت ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) ،العرب في صقلية، ط١، دار الثقافة، بيروت، ١٩٠٧م، ج١، ص ٣٢.

(٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٤١٧؛ العدوي، الأساطيل العربية، ص ٧٨.

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ٤٩٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج١٢، ص ٩٦؛ إحسان، العرب في صقلية، ج١، ص ٣٢.

وفجعل الحصار العربي الإسلامي مهمة شاقة، ولكن تحامل المسلمين، وهزموا الروم هزيمة نكراء، وفر بلطة منافس فيمي بصقلية إلى فلورية[١] فقتل بها، واستولى المسلمون على عدة حصون في الجزيرة ثم حاصر أسد بن الفرات مدينة سرقوسة براً وبحراً وجاءته الإمدادات من أفريقيا لنجدة المسلمين[٢].

ولكن والي بكرم زحف على المسلمين في سرقوسة فخندق المسلمون على انفسهم، وحفروا خارج الخندق حفراً كثيراً ، فلما دخل الروم على المسلمين سقط منهم عدد كبير، وقتل الكثير، وشدد المسلمون الحصار على سرقوسة، ولكن وباًء شديداً أصاب المسلمين، فهلك بسببه قائدهم اسد بن الفرات وعدد من الجند في سنة ٢١٣هـ/ ٧٢٨م [٣] فدفنه المسلمون في مدينة قصريانة[٤].

وكادت تلك الحملة البحرية أن تفشل لولا أسطول أندلسي ساقه الله من الاندلس إلى جزيرة صقلية، وتلك الحقيقة تكشف عن ظاهرة مهمة، وهي أن التعاون البحري قد بدأ بين أساطيل المغرب وأساطيل الاندلس، في تلك المرحلة الجدية من نشاط المسلمين البحري في البحر المتوسط [٥].

ثم جاءت النجدات من افريقية واستولى الأغالبة بزعامة أمير البحر زهير بن غوث[٦] وأستولى المسلمون على قصريانة بلرم عاصمة صقلية سنة ٢١٦هـ/ ٨٣١م، وقد هيأ سقوطها قاعدة

---

(١) فلوريه: جزيرة في شرق صقلية وأهلها فرنج ولها مدن كثيرة وبلاد واسعة، ينسب إليها فيما أحسب أبو العباس القلّوري، ياقوت الحموي ،معجم البلدان،ج٤،ص٢٩٢.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١٢، ص ٩٦.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص ١٤٤.

(٤) قصريانة: من أعظم مدائن الروم بصقلية وأكثرها جمعاً، مدينة كبيرة بجزيرة صقليّة على سنّ جبل يشتمل سورها على زروع وبساتين وعيون ومياه، فتحها العباس بن يزيد بن الفضل بن يعقوب بن المضا العامل بصقلية لأبي إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب صاحب القيروان، وكان العباس وجه سرية إلى بعض النواحي فغنموا وأخذوا أعلاجاً .ياقوت الحموي ،معجم البلدان،ج٤،ص١٤٤؛الحميري، المعطار في خبر الأقطار،ص٤٧٥ .

(٥) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص ٤٢٦؛ العدوي، الأساطيل العربية، ص ٧٩.

(٦) زهير بن غوث: زهير بن غوث ابن أيمن الهميسع ، كان له أيضاً ابنان، واحد يسمى حضرموت والأخر حضرمي، ابن حزم، جمهور أنساب العرب،ج١،ص٤٣٢.

بحرية مهمة للأسطول العربي في صقلية ؛ بسبب ما تتمتع به من موقع استراتيجي ممتاز، وأصبحت مركزاً لتلقي المساعدات لشد ساعد القوات العربية في الزحف منها على سائر صقلية[١].

وتابع الأغالبة سياستهم البحرية تجاه صقلية، على الرغم من المتاعب الجمة التي واجهتهم واستولوا سنة ٢٢٩هـ/ ٨٤٣م على ميناء مينا على الرغم من شدة مقاومة الروم وصار اسطولهم قريباً من ايطاليا آخر ممتلكات الروم في هذا الشطر الأوسط من البحر المتوسط ولعلهم وجهوا همهم للاستيلاء على صقلية وسرقوسة تلك القاعدة البحرية الأولى التي استعصت عليهم أثناء طلائع هجومهم على صقلية، واستبسال الروم في الدفاع عنها، وفي محاولات متكررة تمكن الاسطول الأغلبي من الاستيلاء عليها سنة ٢٦٥هـ/٨٧٨م[٢]، وعندما فاجأ اسطول الأغالبة سفن الروم وغنم منها مائة من غنائم [٣]، وتخلى الروم نهائياً عن سرقوسة، وفي سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م سقطت طبرمين[٤] آخر الحصون المهمة في صقلية وتم للأغالبة السيادة التامة على تلك الجزيرة العظمى[٥].

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ٤٩١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ١٣٥.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ١٢٢.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١٦، ص ٢٥٥.

(٤) طبرمين: حصن بصقلية منيع، بينه وبين مسيني مرحلة، وهو بلد شامخ رفيع أزلي من أشرف البلاد، وهو على جبل مطل على البحر، وبه مرسى حسن، والسفر إليه من كل الجهات، ويحمل منه كثير من الغلات وفيه منازل وأسواق، وتجتمع فيه القوافل الواصلة من مسيني، وبه ضياع صالحة ومزارع طيبة، وبه معدن الذهب، وبه الجبل المشهور المسمى بالطور. الحميري، الروض المعطار،ص٣٨٥.

(٥) الخلف، سالم بن عبد الله، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ط١، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ج٢، ص ٧٤؛ طه، عبد الوحد ذنون وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٠م، ج١، ص ٣٦٢؛ العدوي، الأساطيل العربية، ص ٨٤.

المبحث الثاني: أمراء البحر في الأندلس

لقد تناول الكثير من الباحثين الفتح العربي الإسلامي للأندلس، وفصلوا فيه ولهذا لن افيض في الشرح حول هذا الموضوع فقط سأتناول أمراء البحر الذين كان لهم دور متميز في الفتح وهم:

١-عبد الله بن نافع:

ذكر بعض المؤرخين [١] بأن أول نشاط بحري حدث في عهد الخليفة عثمان بن عفان(ﷺ) سنة ٢٧هـ/٦٤٧م كان يستهدف استراتيجية ذكية تقوم على أساس محاصرة القسطنطينية من الشرق والغرب ،إذ أمر الخليفة عثمان بن عفان(ﷺ) أمير البحر عبد الله بن نافع الحصين[٢] أن يسير من أفريقيا إلى الأندلس فأيتاها من البحر ،وكتب عثمان بن عفان (ﷺ) إلى من أنتدب معهما،" أما بعد فأن القسطنطينية أنما تفتح من قبل الأندلس وانكم أن افتتحتموها كنتم شركاء من يفتحها في الأجر والسلام فخرجوا ومعهم سكان المغرب فأتوها في برها وبحرها ففتحها الله على المسلمين"[٣] .

كان الخليفة عثمان بن عفان(ﷺ) يهدف من هذه العملية إلى السيطرة على الأندلس بحراً، ثم إشراك من ينتدب من أهل الأندلس في فتح القسطنطينية والالتفاف على سواحل البحر المتوسط من جهة أوربا الجنوبية بعد أن يتم فتح سواحله الشمالية من جهة شمال أفريقية يصبح البحر المتوسط بسواحله الشمالية والجنوبية بحراً عربيا خالصاً[٤] ذكر الأعظمي [٥] بأن مثل هذه الفكرة وأنه حاول تحقيقها ، كانت موجودة في ذهن الخليفة عثمان بن عفان(ﷺ) وأنها لم تتحقق ولكنها رسمت للمسلمين الطريق لتحقيقها في المستقبل القريب.

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم ،ج٣،ص١٧٧؛ابن الأثير، الكامل في التاريخ ،ج٢ ،ص٤٦٢ ؛ ابن كثير ،البداية والنهاية،ج٧،ص١٥٢.

(٢) عبد الله بن نافع: بن الحصين الفهريان ، قادة خلال عمليات الفتح الإسلامي ،وكان له لقب من خلال هذه الفتوحات وهو فاتح أفريقية ،وكان عقبه بن نافع عمل على تأسيس مدينة القيروان توفي في سنة ٦٥هـ/

(٣)ابن الأثير ،الكامل في تاريخ ،ج٢،ص٤٦٦.

(٤) الأعظمي ،الجذور التاريخية،ص٥٣.

(٥) الجذور التاريخية ،ص٥٥.

٢-طريف بن مالك:

وصلت رسالة الإذن من الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/ ٧٠٥-٧١٤م) فجهز موس بن نصير سرية من خمسمائة رجل، جعل على قيادتها أمير البحر طريف بن مالك [١]،سار طريف على رأس خمسمائة من العرب المسلمين و أربعمائة راجل معهم مائة فارس نحو الأندلس ، وأستقل أربعة مراكب في سنة ٩١هـ/ ٧٠٩م[٢]، إذ قام طريف بمهمته على أكمل وجه في دراسة المنطقة الجنوبية من الأندلس التي نزل فيها الجيش الإسلامي وعرفت هذه الجزيرة باسم جزيرة طريف[٣]، ثم عاد إلى موس بن نصير وشرح له ما راه، بعد سنه من الحملة الاستطلاعية الناجحة التي قادها أمير البحر طريف بن مالك ،وبعد أن أنتهى موس بن نصير من وضع خطة فتح الأندلس في سنة ٩٢هـ/٧١٠م[٤] .

٣-طارق بن زياد:

كان لذريق عند معرفته بالنكبة التي حلّت بقوات ابن أخيه بنج [٥]، وقعت وقوع الصاعقه عليه ،فجمع جيش قومه مائة ألف من الفرسان ، وجاء بهم من الجنوب إلى الشمال يقصد الجيش العرب المسلمين، وكان طارق بن زياد في سبعة آلاف من العرب المسلمين فقط ،وعدد محدود من الخيل ،فلما أبصر أمر لذريق وجد صعوبة في المواجهة ؛الأن جيش سبعة آلاف أمام جيش لذريق مائة آلاف، فأرسل إلى موس بن نصير يطلب منه المدد ،فبعث إليه طريف بن مالك على رأس جيش خمسة آلاف آخرين من الرجالة [٦]، وصل طريف إلى طارق ،وأصبح عدد الجيش الإسلامي اثنى عشر ألف مقاتل ، بدأ طارق بن زياد يستعد المعركة ؛فكان أول ما بحث عن أرض تصلح

---

(١) طريف بن مالك: أبو زرعة، مسلم من البربر، طريف بن مالك، قائد عسكري خلال الفتح الإسلامي للأندلس ،يعتبر أول مسلم دخل جزيرة الأيبيرية في مهمه عسكري. خطاب ،قادة فتح الأندلس،ج١،ص٢٣٤.

(٢) ابن خلدون،العبر،ج٤،ص١٥٠؛ خطاب ،قادة فتح الأندلس،ج١،ص٢٣٤.

(٣) جزيرة طريف: جزيرة صغيرة في بحر الزقاق (مضيق جبل طارق)، وهي جزيرة صغيرة محصّنة، يربطها بشبه جزيرة الأندلس حالياً جسر بحريّ. خطاب، قادة فتح الأندلس،ج١،ص٥٨.

(٤)الحميري، الروض المعطار ، ص٣٥.

(٥) خطاب، قادة فتح الأندلس،ج١،ص٢٤٧.

(٦) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار،ص٣٥.

للقتال ،إذ وجد منطقة تسمى وادي برباط، وتسميها بعض المصادر أيضا(وادي لكة)[١]؛لأنه أبعاد استراتيجية وعسكري مهمة، كان عن يمينه ومن خلفه جبل شاهق ،فلا يستطيع أحد أن يلتف حوله[٢].

وجاء لذريق ومعه مائة ألف فارس، جاء ومعه البغال محملة بالحبال، لتقييد المسلمين وأخذهم عبيداً بعد موقعة وادي برباط، وقد جلس على سرير محلى بالذهب يحمل على بغلين، وهو يلبس التاج الذهبي والثياب المغشاة بالذهب، فهو لم يستطع أن يتخلى عن دنياه حتى في لحظات القتال والحروب[٣].

عبر طارق بن زياد المحيط بسفن المسلمين وما أنضم إليه من سفن يوليان والي سبتة ،إذ بلغ عدد من عبر معه حوالي اثنى عشر ألفاً مقاتل وانتصر على قوات لذريق سنة ٩٢هـ/ ٧١٠م دارت معركة بوادي برباط ،وهي من أشرس المعارك في تاريخ العرب المسلمين وانتهت المعركة بانتصار كبير لصالح القوات العربية الإسلامية[٤].

٤- عبد الله بن موسى بن نصير:

الذي أرسله والده موسى بن نصير على رأس حملة بحرية سنة ٩٨هـ/٧١٦م لفتح جزر البليار وهي مجموعة الجزر التي تقع غربي البحر المتوسط أمام الساحل الشرقي لشبه الجزيرة الأيبيرية (الأندلس) وكانت جزيرتي ميورقة ومنورقة[٥] أهم تلك الجزر وأتم عبد الله بن موسى فتح الجزيرتين[٦].

---

(١) وادي لكه: موضع من أرض الجزيرة الخضراء من ساحل الأندلس القبلي، فيه التقى طارق بن زياد مولى موسى بن نصير وجموعه الداخلون الأندلس مع لذريق طاغية الأندلس آخر ملوك القوط .ابن عذاري، البيان والمغرب ،ج٢،ص٨؛الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار ،ص٦٠٥؛خطاب ،قادة فتح الأندلس،ج١،ص١٣٣.

(٢) ابن خلدون ،العبر،ج٧،ص٢٧٣.

(٣) ابن عذاري ،البيان المغرب،ج٢،ص٧.

(٤) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ، ص ٢٣٢؛ الادريسي، محمد بن محمد بن عبدالله (٥٦٠هـ/١١٦٥م)، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ط١،عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، ص ١.

(٥) ميورقة ومنورقة: هما جزيرتين بين صقلية والأندلس وافتتحهما عبد الله بن موس في غزوته التي عرفت بأسم غزوة الأشراف، كان معه أشراف القوم . خليفة ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣٠٢.

(٦) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣٠٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص ١٦٢.

٥-عقبه بن الحجاج :

تحديدآ في ولاية عقبه بن الحجاج [١](١١٦-١٢٣هـ/٧٣٤-٧٤٠) بدت نشاطات الفتوحات بأن أتخذ من مدينة سرقسطة قاعدة لتنظيم قواته، وإمداده بالجند في سنة ١١٧هـ/٧٣٥م من خلال البحر[٢] وعلى أثر محاولة الجيوش الفرنجية استعادة مدينة أربونة من المسلمين مرة أخرى أرسل أيضاً والى الأندلس عقبه بن الحجاج جيشا لنجدتها عن طريق البحر في سنة ١٢٠هـ/٧٣٧م [٣] ؛ أن سبب الذي دعا هذا المدد إلى سلك الطريق البحري هو صعوبة سلك الطريق البري لانعدام الأمن فيه ؛بسبب وجود قبائل البشكنس[٤] فيه، وقبائل أخرى ،ولذلك لم تجد القوات الإسلامية وسيلة أكثر أمانا في وصول نجدتها ألا عن طريق البحر، على الرغم من أن الأسطول الأندلسي لم يكن قويا في هذا العصر، إذ ظهر الاهتمام به وبشكل فعلي بعد هجوم النورمان[٥] على الأندلس سنة ٢٩٩هـ/ ٩١١م.

تعرضت شواطئ الأندلس الغربية إلى هجمات النورمان لأول مرة في أواخر عام ٢٢٩ هـ/٩١١ م، وذلك في عهد إمارة الأمير عبد الرحمن الثاني، فقد هاجم أسطول نورماني قوامه عدد كبير من المراكب والقوارب مدينة أشبونة، ولبثوا في مياهها نحو ثلاثة عشر يوماً التحموا فيها مع المسلمين في معارك عدة [٦].

---

(١)عقبه بن الحجاج: من بني صعصعة من هوازن والي الأندلس بتكليف من عبيد الله بن الحبحاب والي الدولة الأموية ،توفي سنة ١٢٣هـ/٧٤١م.عبد الحكم ،فتوح مصر،ج١،ص٢٣٦.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج٣،ص٢١٢.

(٣) ابن الأثير، الكامل في تاريخ،ج٤،ص١٢٢.

(٤) البشكنس :هم سكان بلاد النافار في شمال أسبانيا .الحميري ،الروض والمعطار في الأقطر،ج،ص٦٩.

(٥) النورمان :من الام البحرية التي تسكن البلاد الإسكندنافية ونورماند تعني سكان الشمال اطلق العرب عليهم المجوس؛ لانهم كانوا يوقدون النار في أماكن تواجدهم. طه ،تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ،دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م ،ص١٣١.

(٦) طه، تاريخ العرب،ص١٣١.

الخاتمة

الخاتمة

بعد أن مَّن الله سبحانه وتعالى علينا الانتهاء من الدراسة الموسومة " أمراء البحر في الدولة العربية الإسلامية إلى نهاية القرن الثالث الهجري" تم التوصل إلى جملة من النتائج أهمها :

١. أوضحت الدراسة أن الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة حثت المسلمين على ركوب البحر والجهاد فيه .

٢. بينت هذه الدراسة جغرافية العالم الإسلامي البحرية وامتدادها منذ صدر الإسلام الى نهاية القرن الثالث الهجري ،والتي ظهر فيها بأن البحر المتوسط هو الميدان الأهم للأعمال البحرية الإسلامية وأن الجزر المترامية في هذا البحر هي أهم مقاصدهم الحربية البحرية ،ولا سيما جزر كريت ،ورودس، وسردينيا ،وصقلية.

٣. اثبتت الدراسة أن بدء انطلاق الحملات البحرية الإسلامية كانت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) وتأسيس الاسطول الإسلامي بشكله المتكامل في عهد الخليفة عثمان بن عفان (ﷺ).

٤. شهد الاسطول الإسلامي تدرجاً مع السرعة في تشكيله حتى أصبح الاسطول البحري الأقوى في البحر المتوسط في سنوات قليلة من تأسيسه .

٥. كانت سنة ٣٤هـ / ٦٥٤ م اول نصر حقيقي للاسطول الإسلامي على البيزنطيين في معركة ذات الصواري وفي خلافة عثمان بن عفان (ﷺ) .

٦. شهد العهد الراشدي على الرغم من حداثة تشكيل الاسطول البحري الإسلامي ظهور عدد من أمهر أمراء البحر الذين شهد لهم التاريخ بجهودهم العظيمة في نشر الإسلام ، والدفاع عن السواحل الإسلامية ، ولا سيما من غزوات الروم البيزنطيين أمثال: هرثمة بن عرفجة الأزدي ، والحكم بن أبي العاص الثقفي ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، ومعاوية بن أبي سفيان .

٧. تميز العهد الأموي بتطوير الاسطول البحري ، وانشاء عدد من الموانئ البحرية ، ومراكز لصناعة السفن استخدم فيها افضل صناع السفن مع أرقى أنواع الخشب.

٨. بذل الأمويون جهوداً مضنيةً تكللت في فتح عدد من الجزر في البحر المتوسط ،ولم يكتب لهم التوفيق في فتح القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية على الرغم من التعبئة العسكرية مع استمرار الحملات البحرية بقيادة أمراء بحر أفذاذ.

٩. تميز عدد من أمراء البحر في العهد الأموي بالكفاءة العالية، وحققوا منجزات بحرية كبيرة منهم أمير البحر سفيان بن عوف الغامدي، ومسلمة بن عبد الملك .

١٠. تميز الاسطول البحري بمشاركته الواسعة مع القوات البرية الأموية التي نجحت في فتح المغرب العربي والاندلس ،ونشر الإسلام فيها، ومن أشهر امرائها الأمير طارق بن زياد فاتح الأندلس الأول .

١١. ركزت الدولة العباسية في بداية تكوينها ونشأتها على القوات البرية ولكنها مع ذلك لم تهمل الاسطول البحري؛ لأنها تحملت أعباء ثقيلة مما تركته لها الدولة الاموية من عداء بحري كبير مع الدولة البيزنطية ،اذ كثفت الأخيرة جهودها البحرية في فترة عدم الاستقرار السياسي للدولة الإسلامية ابان افول نجم الدولة الاموية، وارتقاء نجم العباسيين ،فحقق الاسطول البيزنطي عدد من الانتصارات على الدولة العباسية ،إلا أن العباسيين تداركوا الأمر وحققوا انتصارات بحرية كبيرة على البيزنطيين .

١٢. لمع نجم عدد كبير من أمراء البحر في العصر العباسي لمجهودهم البحري ،ودعمهم حركة الفتح الإسلامي والمحافظة على حدود الدولة الإسلامية من الاعتداءات البحرية البيزنطية وغيرهم ،ومن أشهر هؤلاء الأمراء خازم بن خزيمة، وعبد الملك بن شهاب المسمعي ومالك بن عبد الله الخثعمي، وأبو حفص عمر بن شعيب الربضي .

١٣. وتغير مركز القوى البحرية في العصر العباسي من بلاد الشام ومصر والمغرب إلى الخليج العربي وبلاد الهند لما شهده هذا العصر من فتوحات وحركات تمرد في تلك الأراضي .

١٤. اثبتت الدراسة البعد الستراتيجي في فكر القادة وأمراء البحر المسلمين باحترافهم باختيار الأماكن الأكثر ملاءمة لحركة الأساطيل الإسلامية وصناعتها ،كما فعل حسان بن النعمان عندما أسس ميناء تونس .

١٥. على الرغم من الارتباط الأسمي للامارات المستقلة أو شبه المستقلة في المغرب الإسلامي ،إلا أنها أثبتت أن رسالة هذه الامة واحدة على مر التاريخ، وهي نشر الإسلام في ربوع الأرض ورفع الظلم عن الناس جميعاً، فنجحت امارة الاغالبة في فتح جزيرة صقلية بارسالها حملة بحرية احتفلت بها أعظم احتفال بقيادة الفقيه اسد بن الفرات .

ثبت المصادر والمراجع

تبث المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً: المصادر الأولية

- **ابن الاثير، أبو الحسن عز الدين علي بن الجزري(ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)**

١- أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٢- الكامل في التاريخ ، تحقيق :عبد الله القاضي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

- **ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات (ت ٦٠٦هـ/١٢١٠م)**

٣- النهاية في غريب الحديث، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطناحي،ط٤،مؤسسة إسماعيل للطباعة والنشر ،طهران،٧٦٦هـ / ١٣٦٤م.

- **احمد بن ماجد، شهاب الدين (ت٩٠٦هـ/١٥٠١م)**

٤- الفوائد في أصول علم البحر والقواعد ، تحقيق: محمد عمر الصوفي، ط١، دار الكتاب الجامعي، القاهرة ،١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

- **ابن الأخوة ،محمد بن محمد بن أحمد القرشي (ت٧٢٩هـ/١٣٢٧م)**

٥- معالم القربة في أحكام الحسبة ، تحقيق: محمد محمود شعبان ،ط١،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

- **الادريسي، محمد بن محمد بن عبدالله (ت٥٦٠ هـ/١١٦٥م)**

٦- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١،عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

- **ابن أعثم ،أبو أحمد الكوفي (ت٣١٤هـ / ٩٢٦م)**

٧- الفتوح، ط١، دار الندوة الجديدة، بيروت،د.ن.

- **البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن المغيرة (ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م)**

٨- صحيح البخاري ،تحقيق: محمد زهير الخاصر ، ط١، دار طوق ، المنصورة ،١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م.

- **البحتري، ابو عبادة الوليد بن عبيدة الطائي (ت ٢٠٤هـ/٨٢٠م)**

٩- ديوان البحتري، ط١١، مطبعة هندية بالموسكي، القاهرة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م.

- **البكري، عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)**

١٠- المسالك والممالك، مطبعة ادولف، الجزائر، ١٣٣٠هـ /١٩١١م.

١١- المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١.

- **البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحي بن جابر(ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)**

١٢- جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

١٣- فتوح البلدان، تحقيق: عبد القادر محمد علي، ط١،دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

- **ابن تغري بردي، جمال الدين(ت٨٧٤هـ /١٤٦٩م)**

١٤- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ن.

- **الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٨م)**

١٥- اللطائف والظرائف ، ط١، أبربل ، ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م.

- **ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين (ت٥٩٧ هـ/١٢٠١م)**

١٦- سيرة عمر بن عبد العزيز، تحقيق: محي الدين الخطيب، مطبعة المؤيد، القاهرة، د.ت.

١٧- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطآ ومصطفى عبد القادر عطآ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

- **ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حميد(ت ٨٥٢هـ/١٤٤٩).**

١٨- الاصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد، ط١،دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م

- **ابن حزم ،أبو محمد علي بن أحمد (ت٤٥١ هـ /١٠٦٣م)**

١٩- جمهرة أنساب العرب، تحقيق: لجنة العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

- **الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم(ت٩٠٠هـ/١٤٩٥م)**

٢٠- الروض المعطار في خبر الأقطار، ط٣،تحقيق: إحسان عباس، مؤسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٤٠١هـ/، ١٩٨٠م.

- **ابن حنبل، أبو عبد الله احمد بن حنبل بن هلال الشيباني(ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)**

٢١- مسند الإمام احمد بن حنبل، ط١، مؤسسة قرطبة، القاهرة، د. ن.

- **ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت ٣٨٠هـ/٩٧٠م)**

٢٢- صورة الأرض ، ط١، مطبعة بريل، ليدن ، ١٣٨٧هـ /١٩٦٧م.

- **ابن خرداذبه، أبو القاسم عبد الله بن أحمد (ت ٢٨٠هـ/٨٩٣م)**

٢٣- المسالك والممالك ،ط١، دار صادر،بيروت ،١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

- **ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن جابر(ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)**

٢٤- العبر ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي لشأن الأكبر ، تحقيق: خليل شحادة، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م.

٢٥- المقدمة، ط ٣، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

- **بن خياط ،أبو عمرو العصفري (ت٢٤٠هـ /٨٥٤م)**

٢٦- تاريخ خليفة ابن خياط، تحقيق: مصطفى نجيب فواز وحكمت كتلي فواز،ط١،دار الكتب العلمية،بيروت،١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٢٧-الطبقات، تحقيق : سهيل ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤ هـ / ١٩٩م.

- **أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥ هـ/ ٨٨٨ م)**

٢٨- سنن أبي داود ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت.

- **الدينوري، أبو حنيفة احمد بن داود (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م)**

٢٩- الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، ط١، دار احياء الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

- **الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)**

٣٠- سير أعلام النبلاء، ط١، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٣١- العبر في خبر من غبر ،تحقيق :أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت.

- **الزبيدي ، محمد بن محمد المرتضي (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)**

٣٢- تاج العروس من جواهر القاموس ، ط٤، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

- **ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن منيع البصري (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)**

٣٣- الطبقات الكبرى، تحقيق: احمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

- **أبن سعيد الاندلسي، ابو الحسن علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)**

٣٤- المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، ط٣، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

- **أبن سيدة ،أبو الحسن علي بن أسماعيل(ت٤٥٨هـ / ١٠٦٥م)**

٣٥- المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

٣٦- المخصص ،ط١، بولاق ، القاهرة ،١٣٢١هـ/١٩٠٣م.

- **السيوطي، جلال الدين أبي بكر بن محمد (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)**

٣٧- تاريخ الخلفاء ،ط ١،دار ابن حزم ،بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٣٨- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ،تحقيق :محمد أبو الفضل،ط١،دار الكتب العربية ،القاهرة، ١٣٨٧هـ /١٩٦٧م.

- **ابن شاكر الكتبي، محمد بن شاكر بن احمد (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)**

٣٩- فوات الوفيات، تحقيق: احسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت، د.ت.

- **الطبراني، سليمان بن احمد بن أيوب (ت ٣٦٠ هـ / ٩١٨م)**

٤٠- المعجم الأوسط ، تحقيق : عبدالمحسن بن ابراهيم الحسيني وطارق بن عوض الله بن محمد ، دار الحرمين ،القاهرة، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.

- **الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٣م)**

٤١- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمدأبو الفضل ابراهيم، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م.

٤٢- جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق :أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، د.ن،١٤٢٠هـ /٢٠٠٠م.

•العباسي، الحسن بن عبد الله (ت٧١٠ هـ /١٣١٠م)

٤٣- آثار الأول في ترتيب الدول، تحقيق: عبد الرحمن عميرة،ط١، دار الجيل، بيروت ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

• ابن عبد الحكم، أبو القاسم المصري عبد الرحمن بن عبد الله (ت٢٥٧هـ / ٨٧١م)

٤٤- فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ،١٤١٥ هـ / ١٩٩٤م.

٤٥- سيرة عمر بن عبد العزيز، تحقيق: احمد عبيد، ط١، مطبعة الرحمانين، القاهرة، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م.

• ابن عبد ربه ، أبو عمر شهاب الدين احمد بن محمد(ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م)

٤٦- العقد الفريد، ط٣، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

• ابن عذاري ، أبو عبدالله أحمد بن محمد المراكشي (ت ٦٩٥هـ/١٢٩٥م)

٤٧- البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب ، تحقيق: عبد القادر زمامة وآخرين، ط١، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

• ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن (ت ٥٧١هـ /١١٧٥م)

٤٨- تاريخ دمشق، تحقيق: سكينة الشهابي، دمشق ،١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

• ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن احمد بن محمد (ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)

٤٩- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ط١، دار ابن كثير، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

- **ابن فضل الله العمري، شهاب الدين (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)**

٥٠- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ط١، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠١م.

- **الفيروز آبادي ، أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/ ١٤٦٥م)**

٥١- القاموس المحيط ، تحقيق :أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، ط ٢، دار المعارف ،القاهرة ،١٤٠١هـ/١٩٨٠م.

- **ابن قانع ،أبو الحسين عبد الباقي بن مرزوق البغدادي(ت٣٥١هـ / ٩٦٢م)**

٥٢- معجم الصحابة، تحقيق: أحمد فتحي عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت ، د. ن.

- **ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله الدينوري (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)**

٥٣- الإمامة والسياسة، تحقيق: خليل المنصور، ط١، دار الكتب، بيروت، د.ن.

٥٤-المعارف،تحقيق:ثروات عكاشة ،ط٢،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة ،١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- **بن جعفر، قدامة بن زياد البغدادي (ت ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م)**

٥٥- الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، ط٢، مكتبة البيان، القاهرة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

- **ابن القلانسي، حمزة بن اسد بن علي (ت ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م)**

٥٦- تاريخ دمشق، تحقيق: سهيل زكار، ط١، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- **القلقشندي، احمد بن علي بن احمد (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)**

٥٧- صبح الأعشى في صناعة الأنشاء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ن.

- **ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)**

٥٨- البداية والنهاية، ط١، دار الفكر، القاهرة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

- **ابن الكردبوس، عبد الملك بن محمد (ت ٥٤٦هـ/ ١١٥١م)**

٥٩- تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط، تحقيق: احمد مختار العبادي، معهد الدراسات الاسلامية، مدريد، ١٩٧١م.

- **ابن ماجة ، أبو عبدالله محمد بن يزيد القرشي القزويني (ت ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م)**

٦٠- سنن ابن ماجة ، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ، دار أحياء الكتب العربية ، القاهرة ، (١٣١٣هـ/ ١٩٨١م).

- **مجاهد بن جبر، أبو الحجاج التابعي المكي القريشي المخزومي (ت ١٠٤هـ / ٧٢٢م)**

٦١- تفسير مجاهد، تحقيق: محمد عبد السلام، ط١، دار الفكر الإسلامي ،القاهرة، ١٤١٠هـ /١٩٨٩م.

- **مجهول**

٦٢- أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده، تحقيق: عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلي، دار الطليعة، بيروت، د.ت.

- **مجهول**

٦٣- العيون والحدائق، مكتبة المتنبي، بغداد، د.ت.

- **المرتضى، علي بن الحسين الموسوي العلوي (ت ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م)**

٦٤- امالي المرتضى، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط١، دار الاحياء الكتب العربية، القاهرة،

١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

- **المزي، يوسف بن عبد الرحمن (ت ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)**

٦٥- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

- **المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن بن علي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م)**

٦٦- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط١، دار الأندلس ، بيروت ،١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

- **مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م)**

٦٧- تجارب الأمم ،ط١، نشر أمدروز ، مطبعة شركة التمدن الصناعية ، القاهرة ١٣٣٣هـ/١٩١٥م.

- **المقريزي، تقي الدين أحمد (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)**

٦٨- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ،ط٢، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٩٨هـ/١٩٦٩م.

- **المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله البشاري (ت٣٨١هـ/٩٩٠م)،**

٦٩- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط٣، دار إحياء، التراث العربي ، بيروت ،١٤٠٠هـ/١٩٧٩م.

- **ابن مماتي،شرف الدين أسعد بن مهذب(ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م)**

٧٠- قوانين الدواوين،ط١، تحقيق : عزيز سوريال عطية ، دار المعارف ، القاهرة١٣٦٤هـ/ ١٩٤٣م.

- **ابن منظور ،أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/١٣١١م)**

٧١- لسان العرب ،تحقيق: عبد الله علي الكبير وهاشم محمد الشاذي وآخرين ،ط٢،دار المعارف، ،القاهرة، ١٣٠٠هـ |١٨٨٢م.

٧٢- مختصر تاريخ دمشق، تحقيق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد ؛ وآخرون، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٤م.

- **النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)**

٧٣- نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط١، المكتبة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م .

- **الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي(ت٢٠٧هـ/٨٢٢م)**

٧٤- فتوح الشام،ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

- **ياقوت الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)**

٧٥- معجم البلدان ،ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٢١هـ / ١٩٠٦م .

- **اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب (ت ٢٩٢هـ/٩٠٤م)**

٧٦- تاريخ اليعقوبي، مطبعة العزي،النجف،١٣٥٨هـ/١٩٤٠م.

ثانياً: المراجع الحديثة

- **أبراهيم، مصطفى وآخرون**

١- المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، د.ت.

- **الأعظمي، عواد مجيد**

٢- الجذور التاريخية في تطلعات العرب المسلمين لفتح القسطنطينية في عصر صدر الإسلام، بغداد، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥.

•بروكلمان ،كارل

٣- تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه امين فارس ومنير البعلبكي، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٤٦هـ/ ١٩٦٨م.

• توفيق، عمر كمال

٤- الدولة البيزنطية، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

• الجنزوري ، علية عبد السميع

٥- الثغور البرية الإسلامية علي حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى ،ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

• حرب ،محمد

٦- الدولة العثمانية ، ط١، دار الراقي، بيروت ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

• حمودة، عبد الحميد حسين

٧- الدولة العربية الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

• الحموي ،محمد ياسين

٨- تاريخ الأسطول العربي ، ط١،دمشق ،١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م.

• خانكي ، جميل

٩- البحرية المصرية ، ط١،دار الكاتب العربي ، القاهرة، ١٤١٣هـ /١٩٩٢م.

• الخربوطلي، علي حسني

١٠- الإسلام في حوض البحر المتوسط، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

- **خطاب، محمود شيت (ت ١٤١٩هـ/١٩٩٨)**

١١- قادة فتح الاندلس، ط١،مؤسة علوم القران، الموصل، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

- **الخطيب، محمد محمد عبد القادر**

١٢- دراسة تحليلية في تاريخ الدويلات الإسلامية، ط١، دار الجيلاوي، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

- **الخلف، سالم بن عبد الله**

١٣- نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ط١، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

- **سالم ، السيد عبد العزيز**

١٤- تاريخ العرب قبل الإسلام،ط١، منشأة المعارف ،الإسكندرية ،١٤٠٠هـ/١٩٧٠م.

١٥- تاريخ المغرب العربي في العصر الاسلامي، مكتبة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

١٦- الدولة العربية الإسلامية ، ط١،دار النهضة العربية ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

١٧- الصلات التاريخية بين الشام ومصر في العصر الإسلامي ،مجلة العلوم ،بيروت، العدد الخامس ،مايو١٣٨٤هـ /١٩٦٤م.

١٨- طرابلس الشام في التاريخ،الإسكندرية،١٣٨٣هـ /١٩٦٢م.

١٩- العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

- **السامرائي، خليل ابراهيم وآخرون**

٢٠- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، د.ت.

- **سلامة، أمين**

٢١- الأساطير اليونانية والرومانية، هنداوي، د.ت.

- **الشامي ،أحمد**

٢٢- الخلفاء الراشدون ،ط٣، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

٢٣- الدولة الإسلامية في العصر العباسي الأول، ط١، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٠٩٨هـ/ ١٦٨٦م.

٢٤- أحمد، الدولة الإسلامية في العصر العباسي الأول، ط٢، دار الاصلاح، القاهرة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

- **شهاب، حسن صالح**

٢٥- أحمد بن ماجد والملاحة في المحيط الهندي، مركز الدراسات والوثائق،١٤٢٢هـ /٢٠٠١م.

- **شير ،أدي**

٢٦- الألفاظ الفارسية المعربة، ط١، دار المعارف ، القاهرة ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

- **الصابوني، محمد علي**

٢٧- صفوة التفاسير، دار الصوابني، القاهرة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

- **صالح، زهر الدين**

٢٨- موسوعة معارك العرب ،المركز الثقافي ، بيروت، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

- **الصرفي ،حسن**

٢٩- حاشية ديوان البحتري، ط١، دار المعارف ، القاهرة ، ١٤٠١هـ/١٩٧١م.

- **الصلابي ، علي محمد**

٣٠- معاوية بن أبي سفيان، دار ابن كثير، بيروت، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

- **طه، عبد الوحد ذنون وآخرون**

٣١- تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٠م.

٣٠-دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي ،دار المدار الإسلامي ،بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

- **عبابنة ،علي إبراهيم مصطفى**

٣٢- خلافة سليمان بن عبد الملك ٩٦-٩٩هجري، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية ،جامعة فيرجينيا،١٤٣٣هـ /٢٠١١م.

- **عبادة، عبد الفتاح**

٣٣- سفن الأسطول الإسلامي، القاهرة، ١٩١٣م.

- **العبادي، أحمد مختار، سالم ، السيد عبد الغزيز**

٣٤- تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام ،دار النهضة العربية ،بيروت،١٤٠٢هـ / ١٩٨١م.

- **عبد الحميد، سعد زغلول**

٣٥- تاريخ المغرب العربي، مكتبة نشأة المعارف، الاسكندرية، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

- **عبد الغفار، حسن**

٣٦- هارون الرشيد الخليفة المفترى عليه ، مكتبة النافذة، القاهرة، ١٤٣٢هـ /٢٠١٠م.

- **أبو عبية، طه عبد المقصود**

٣٧- موجز عن الفتوحات الإسلامية، ط١،دار النشر للجامعات، القاهرة، د. ن.

- **عثمان ،فتحي**

٣٨- الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، الدار القومية ،القاهرة، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦ م.

٣٩- الحدود الإسلامية البيزنطية،ط١، الدار القومية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م

- **العدوي ،إبراهم أحمد**

٤٠- الأساطيل العربية في البحر المتوسط،، ط١، مكتبة النهضة ،القاهرة ، ١٣٩٣هـ /١٩٦٩م.

٤١- تاريخ المسلمين في البحر المتوسط الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية ،ط١، الدار المصرية اللبنانية ، ، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٤٢- الدولة الإسلامية وامبراطورية الروم، دار الانجلو المصرية، القاهرة، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

- **العريني، السيد الباز**

٤٣- الدولة البيزنطية، ط١، دار النهضة العربية، بيروت، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

- **عنان، محمد عبد الله (ت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م)**

٤٤- دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

- **غنيم ، اسمت**

٤٥- الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية، دار معارف ،القاهرة، ١٤٠٤هـ /١٩٨٣م.

- **فازيليف**

٤٦- العرب والروم، ترجمة: محمد الهادي أبو شعيرة، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.

- **فاضلوا ،جورج**

٤٧- العرب والملاحة ،ط١، دار الندي، طرابلس ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

- **فهمي، خالد**

٤٨- مصطلحات التاريخ الإسلامي في العربية، تقديم :أحمد محمود ، ط١، دار البشير ،القاهرة، ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م.

- **فهمي ،علي محمود**

٤٩- البحرية الإسلامية في شرق البحر المتوسط من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادي ،ترجمة :قاسم عبده قاسم،ط١ ،دار الوحدة ،القاهرة، ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م.

- **الكريدي، تحسين علي**

٥٠- جزيرة كريت في التاريخ العربي والإسلامي، دار البيروني، ط١، ١٤٣٩هـ/٢٠١٩م.

- **لسترانج، كي**

٥١- بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: يشير فرنسيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

- **لويس، ارشيالد**

٥٢- القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة: أحمد محمد عيس ومحمد تفيق غربال، النهضة المصرية، القاهرة، د. ن.

- **ماهر، سعاد**

٥٣- البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، القاهرة، دار ثقافة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

- **مجموعة من العلماء**

٥٤- الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض،١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

- **محمد كرد علي، عبد الرزاق(١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م)**

٥٥- خطط الشام، ط٣، مكتبة النوري، دمشق،١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

- **محمود، حسن أحمد، والشريف ،أحمد ابراهيم**

٥٦- العالم الإسلامي في العصر العباسي، ط١،دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

- **محمود، شفيق جاسر احمد**

٥٧- الممالك البحرية وقضائهم على الصليبيين في الشام، ط٢١، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

- **محمود ،منى حسن**

٥٨- العلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول ،ط١، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

- **مود ،خضر موس محمد**

٥٩- أدب الرحلات وأشهر أعلامه العرب ونتاجهم، دار الكتب العلمية،١٤٣٣هـ /٢٠١١م.

- **النخيلي ،درويش**

٦٠- السفن الإسلامية على حروف المعجم ،ط١،دار المعارف ، القاهرة ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م.

- **أبو النصر، محمد عبد العظيم**

٦١- الأوقاف في بغداد في العصر العباسي الثاني، ط١، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٦٢- الدولة العباسية ، ط١، شركة نوابغ الفكر ، القاهرة ،١٤٣١هـ/ ٢٠٠٩م.

٦٣- هارون الرشيد المفتري عليه، دار الثقافة، القاهرة، د.ت.

- **هايد**

٦٤- تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، تحقيق: عز الدين فودة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

ثالثاً: الرسائل والأطاريح الجامعية

- **الجنابي ،سعد كاظم**

١- النشاط العسكري العربي في البحر المتوسط خلال العهدين الراشدي والأموي، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ،جامعة بابل ،١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

- **الخفاجي، أياد عبد الحسن،**

٢- اقريطش ودورها في تثبيت نفوذ الدولة العربية الإسلامية في البحر المتوسط ، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

- **طاقة، رنا صلاح طاهر**

٣- قضية الأسرى بين الخلافة العباسية والامبراطورية البيزنطية (١٣٢-٣٧١هـ/ ٧٤٩-٩٧٩م) اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٤م.

- **عبد الجليل، محمد عثمان**

٤- ثورة توماس الصقلبي في الامبراطورية البيزنطية (٢٠٥-٢٠٧هـ/ ٨٢١-٨٢٣م) ،جامعة طنطا، كلية الآداب ، رسالة ماجستير غير منشورة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

رابعاً: البحوث والدراسات

- **حسن حسني، عبد الوهاب**

١- قصة جزيرة قوصرة، المجمع العلمي العربي، مجلة المجمع العلمي العربي، العدد ٢٧، سوريا.

- **الخير، رمزية**

٢- نشاط العرب البحري في البحر المتوسط، مجلة المؤرخ العربي، ع ٣٩، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

- **شتا، محمد فهمي**

٣- ظهور القوة البحرية الإسلامية في البحر المتوسط، مجلة الدارة، ع١، سنة ١٣٥٣هـ/ ١٩٧٥م.

- **الشرقاوي ، مديحة محمد**

٤- أمراء البحر في عصر الدولة العربية ودورهم في النشاط البحري في البحر المتوسط (١٤-١٣٢هـ/ ٦٣٥-٧٤٩م) ،بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي ،العدد ١٥٤،القاهرة،٢٠٠٢م.

- **مختار ،عبدالمنعم**

٥- أضواء على معركة ذات الصواري ،مجلة المجمع العلمي العربي ، العدد٤١، دمشق ، ١٣٨٥هـ ١٩٦٦م.

جامعة الأنبار
المكتب الاستشاري للغات والترجمة
UNIVERSITY OF ANBAR
The Consultative Bureau For Languages And Translation

Abstract:

The thesis includes between its two covers a scientific university study about the princes of the sea in the Arab Islamic state until the end of the third century AH, and this period affected the march of the Arab Islamic state, which can be considered as the golden period for the Arab Islamic naval power. As soon as the Muslims heard the call of jihad, they quickly responded to it, to be a mercy to the worlds, to lift people from their fetters, and to remove the oppressors from their path. So Islamic banners spread at the speed of lightning across the land. As soon as the Muslims entered Al Sham and expelled the Byzantine Romans from it, they knew that they were now facing an inevitable matter, which was to go into the seas to ward off the aggressions of their enemies and the spread of Islam in the lands they did not reach, especially when the Muslims in Al Sham said: We hear the crowing of the Byzantine roosters.

Therefore, the energies of Muslims exploded and their activity increased to show the world a number of sea lords who dug their names into the memory of history with their great conquests and noble achievements in the field of the seas.

This immortality is due to the fact that the Muslim Arabs have taken their readiness to ride the sea, according to deliberate plans, far from improvisation, and since they overlooked its waters in the first century AH / seventh century AD, carrying the just banner of Islam.

The thesis was divided into an introduction, four chapters and a conclusion. The introduction tackled the Islamic navy and its emergence was reviewed. The first chapter is devoted to the princes of the sea in Al Rashidi era. It is divided into two topics. In the first topic, the researcher dealt with the princes of the sea during the era of Caliph Omar Ibn Al-Khattab (may God be pleased with him). The second topic is about the princes of the sea during the era of Caliph Othman bin Affan (may God be pleased with him).

جامعة الأنبار
المكتب الاستشاري للغات والترجمة
UNIVERSITY OF ANBAR
The Consultative Bureau for Languages and Translation

In the second chapter, he dealt with the sea lords in the Umayyad era and their efforts in the Islamic conquests, and the chapter is divided into three topics. The first is about the sea lords in the emergence of the Islamic state (41-73 AH / 661-692 AD). The second topic addresses the sea lords in the era of power for the Umayyad state (73-125 AH / 692-742 AD). The third topic includes the princes of the sea at the end of the Umayyad state.

The third chapter came to explain the role of the sea lords in the Abbasid era, and it is divided into three topics. The first deals with the sea lords in the emergence of the Abbasid state, and the second topic talks about the princes of the sea in the era of the two Caliphs Al Mahdi and Harun Al-Rasheed. The third topic includes the sea lords until the end of the third/ninth century AD.

The fourth chapter includes the princes of the sea in the Islamic Maghreb and Andalusia, and it is divided into two topics. The first one explains the role of the sea princes in the Islamic Maghreb, and the second topic deals with the princes of the sea in Andalusia.

Through the conclusion, a number of results were reached, the most important of which are:

1- The study showed that the noble Qur'anic verses and the noble Prophetic hadiths urged Muslims to ride the sea and strive in it.

2- This study showed the marine geography of the Islamic world and its extension from the beginning of Islam to the end of the third century AH, in which it appeared that the Mediterranean is the most important field for Islamic marine activities, and that the islands sprawled in this sea are their most important naval military objectives, especially the islands of Crete, Rhodes, Sardinia and Sicily.

3- The study proved that the launch of the Islamic naval campaigns was during the era of Caliph Omar Ibn Al-Khattab (may God be pleased with him) and the

جامعة الأنبار
المكتب الاستشاري للغات والترجمة
UNIVERSITY OF ANBAR
The Consultative Bureau For Languages And Translation

establishment of the Islamic fleet in its integrated form during the era of Caliph Othman Ibn Affan (may God be pleased with him).

4- The Islamic fleet witnessed a gradation with speed in its formation until it became the most powerful naval fleet in the Mediterranean in a few years of its establishment.

5- The study clarified the great role played by the lords of the sea throughout the historical ages, which had the greatest impact on the renaissance and development of the Islamic navy.

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Anbar
College of Education for Humanities
Department of History

Sea Princes in the Arab Islamic State until the End of the Third Century AH

A Thesis Submitted to the Council of College of Education for Humanities at University of Anbar in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of MA. in History

By:
Ban Aftan Tomah Najim

Supervised by:

Prof. Dr. Modher Abid Ali Al-Jaghifi

جامعة الانبار
المكتب الاستشاري للغات والترجمة
UNIVERSITY OF ANBAR
The Consultative Bureau For Languages And Translation

2022 A. D. **1444 A. H**